الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران أحمد بن بلة 1

كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

الحياة الإجتماعية و الإقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ و الحضارة الإسلامية

إعداد الطالب	إشراف
فرح سعد	ا.د. بن نعمية عبد المجيد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. بوركبة محمد	جامعة وهران 1	رئيسا
أ.د بن نعمية عبد المجيد	جامعة وهران 1	مشرفا و مقررا
د. بحري أحمد	جامعة وهران 1	عضوا مناقشا
أ.د. الحمدي أحمد	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
أ.د. حساني مختار	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د. بوشنافي محمد	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1436-1437ه / 2015-2016


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى من شاركتني وتشاركني المسرات والأحزان زوجتي

إلى أبنائي كل باسمه ضحى وخديجة وعبد الرحمن وغفران وبركة البيت أفنان

إلى كل الأصحاب والأحباب ومن تجمعني بهم أواصر الدين

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

سعد فرح

شكروعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **لا يشكر الناس من لا يشكر الله** " رواه أحمد وأبو داود والترمذي، بعد شكر الله سبحانه وتعالى على منه وتوفيقه، أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور **بن نعمية عبد المجيد** الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ومتابعاته لي في إنجاز هذه الرسالة، فقد كان الأستاذ المؤطر، والأب الصبور علي طوال إنجاز هذه الأطروحة، حاثا وشاحذا لهمتي، كما أشكر الأستاذ الدكتور **الحمدي أحمد**، على مساعدته ودعمه لي في أوقات فترت فيها همتي.

قائمة المختصرات

تح	تحقيق
ج	جزء
د ت	دون تاريخ
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري

op cit	(opus citatum) ouvrage déjà cité
P	page

مقدمة

يقع السودان الغربي بين الصحراء الكبرى شمالا وخط الاستواء جنوبا وبين المحيط الأطلسي غربا إلى مرتفعات الحبشة، ووادي النيل شرقا.

يشمل المناطق الواقعة بين حوض نهري النيجر والسنغال، والحوض الأوسط لنهر النيجر، والمجرى الأعلى لنهر فولتا. هذا الموقع جعله محطة لكثير من الهجرات من مختلف المناطق، إضافة إلى غزارة الأمطار به، وجريان بعض الأنهار به، مثل نهر السنغال، ونهر النيجر، ونهر غامبيا، ونهر فولتا، كل هذا أدى إلى خصوبة الأرض، وتوفر الثرة الحيوانية بمختلف أنواعها، إضافة إلى وجود ثروة معدنية متنوعة خاصة الملح والذهب.

وقد سكن السودان الغربي قبائل متعددة هي القبائل العربية والقبائل التارقية وقبائل السوننك وقبائل الفلان وقبائل التكرور وقبائل الموشي وقبائل الولوف وقبائل الصنغي وقبائل البمبارة. هذه القبائل شكلت تركيبة اجتماعية متعددة العادات والتقاليد.

نتحدث عن السودان الغربي من خلال نوازل أحد أعلامه وهو الشيخ باي بن عمر، حيث أن نوازله برصيدها الضخم من المعلومات التي حفظت الكثير من التراث الإفريقي، الذي لا زال لم يستغل بشكل كافي في الدراسات التاريخية، وبقي مع الكثير من المخطوطات بين الخزائن ولم يخرج إلى الواقع إلا القليل منه. وإذ نساهم في مثل هذا العمل، اخترنا موضوعا يصب في هذا المنوال بعنوان " الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر".

لقد كان من بين أسباب اختيار هذا الموضوع محاولة المساهمة في وضع بصمة أو تجلية عن تاريخ السودان الغربي من خلال مؤلفات أبنائه، والشيخ باي من بينهم، لأن أغلب الكتابات الحديثة كانت بأقلام مستشرقين كتبوا

لأغراض غير التي نكتب لأجلها، والسبب الثاني نصيحة أحد الأساتذة بولوج مثل هذه الدراسات مع تقديم المساعدة في ذلك. والسبب الثالث هو كشف اللثام عن مخطوطات المنطقة الموءودة في خزائنها والتي لم تر النور، وهي تشكل ثروة معرفية في تخصصات تاريخية ودينية وفقهية متعددة عن المنطقة.

كانت إشكالية البحث العامة هي كيف كانت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي؟ وما هي انعكاساتها على نواحي الحياة الأخرى؟. تنضوي تحت هذه الإشكالية إشكاليات فرعية أخرى، أبرزها كيف كانت العلاقة بين تركيبة المجتمع المختلفة؟، وما أهم عادات وتقاليد هذا المجتمع؟، وما مدى تأقلم الإنسان مع طبيعة الصحراء القاسية في ممارسة نشاطاته الزراعية والصناعية؟، وكيف وظف ظروف الصحراء لخدمته؟، وما هي أهم المعوقات التي واجهت الإنسان في صحراء السودان الغربي؟.

نظرا لطبيعة الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي وذلك من خلال وصف أوضاع وأحوال السودان الغربي الاجتماعية والاقتصادية. إضافة إلى المنهج الإحصائي في الجزء الخاص بالحياة الاقتصادية، رغم أن لغة الأرقام غائبة في نوازل الشيخ باي إلا في القليل النادر، خاصة في تحديد كميات المنتوجات الزراعية أو الصناعية، كذلك تحديد الأسعار والأوزان والمكاييل.

وقد تناول الموضوع خمسة فصول.

تناول الفصل الأول التمهيدي جغرافية السودان الغربي من خلال جملة من أقوال الكتاب الأوائل والرحالة الذين زار بعضهم هذه المنطقة، وكذلك مكوناته الاجتماعية وتركيبته التي تعددت عبر الزمن، ثم عرج على النوازل وصاحبها فعرف صاحب النوازل، ثم النوازل في حد ذاتها كونها

مدار الدراسة فتعرض لعدد النوازل ومصادرها مع ذكر ناسخها وسنة الانتهاء من نسخها.

أما الفصل الثاني فتحدث عن العادات والتقاليد التي كانت في المجتمع ابتداء بالتركيبة الاجتماعية حيث أن المجتمع السوداني كأي مجتمع يتكون من فئات تكونه فكان فيه الحكام والعلماء والعامة من حرفيين وجنود وعبيد، ،ثم تناول الأسرة التي هي اللبنة الأولى في المجتمع مع ما في هذه الأسرة من عادات وتقاليد وطقوس في الزواج وما ينجم عنها من إنجاب وإعمار للبلاد ثم ما قد يعترض هذه الأسرة من مشاكل حيث يأتي على رأسها الطلاق وذلك لظروف نشرحها في حينها، كذلك عادات الناس في حياتهم من مأكل وملبس ومشرب ومسكن وتطوره واختلافه من منطقة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر ثم تطرق لاحتفالات المجتمع ومناسباته الدينية كرمضان والأعياد ومولد المصطفى عليه السلام وغيرها.

أما في الفصل الثالث فتحدث عن الحياة العلمية والدينية والتي تنم عن وعي اجتماعي فيبرز في الجانب العلمي وقد أفرد له أربعة مباحث تناولت مراكز التعليم من كتاتيب ومساجد وزوايا ورباطات حيث انتشرت في ربوع السودان وكان لها التأثير الواضح على بروز فئة كبيرة من العلماء نافسوا علماء المشرق والمغرب بما أوجدوه من طرق للتعليم وتشجيع بإجازات كان لها الأثر الفعال في التنافس على طلب العلم، حيث وجدت مقررات علمية مقتبسة من جيرانهم المشارقة والمغاربة وحتى من الحجاز وذلك من خلال الرحلة للحج ولطلب العلم امتثالا لقوله تعالى :" لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا

اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ " ([1]).

أما الفصل الثالث فتحدث فيه عن أسس اقتصاد السودان الغربي، وعلى رأسها الزراعة، التي كانت حرفة الغالب من السكان، وما نتج عنها من محاصيل ومنتجات، بعضها يكفي ويصدر منه، والبعض الآخر لا يكفي إلا حاجة السكان فقط، وتنوع هذه المحاصيل بتنوع المواقع الجغرافية، فزراعة جوانب الوديان والأنهار، تختلف عما هي في الصحاري والجبال، وكذلك الرعي والحيوانات، التي كانت تعتمد عليه، أو تستغلها في حياتها اليومية، وكان على رأسها الجمل، الذي يعد بحق سفينة الصحراء، والذي خفف من أتعاب السكان والرحل والتجار وغيرهم خفف عنهم من معاناتهم وأعبائهم، وظهرت جليا منافعه خاصة لدى التجار والرحل.

أما الفصل الرابع فتناول التجارة في السودان الغربي وما يمكن الرد به على من قالوا بأن الغرب الإفريقي فقير يحتاج إلى المساعدة في حين كان ذهب إفريقيا يصدر إلى أوربا فيغرقها وكانت تجارة الرقيق رائجة في هذه الفترة ومن خلال هذا الباب تم التطرق إلى طرق المواصلات لإيصال سلع الغرب الإفريقي البرية والمائية وكيف كانت تسير القوافل التجارية من إستعدادات واحتياطات وما هي السلع التي كانت تحملها وكذلك تم الحديث عن طرق التعامل التجاري التي كانت سائدة قبل مجيء الاحتلال وما هو التغير الذي طرأ عليها ثم الحديث عن أسواق السودان الغربي الداخلية والخارجية وما هي السلع التي يتم عرضها والاعتماد عليها. وفي الأخير

([1]) سورة الحج الآية 28

المكاييل والأوزان التي كانت تستعمل في وزن وكيل البضائع التي تسوّق والعملات التي يتعامل بها الناس فيما بينهم وتطور هذه العملة ثم خاتمة البحث بنتائج تم التوصل إليها بعد هذا العرض المفصل.

للإلمام بجوانب الموضوع كان من الضروري الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع، تمثلت هذه المصادر في أمهات الكتب التي كتبت عن السودان الغربي في فترات سابقة حتى سنة 1800م.

فكانت المخطوطات أول هذه المصادر، في مقدمتهم مخطوط الشيخ باي بن عمر عمود الدراسة وعمدة المصادر، إضافة إلى مخطوط المختار الكبير الكنتي بعنوان الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، ومخطوط غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل (الغنية البلبالية) للبلبالي محمد بن عبد الرحمن، إضافة إلى مخطوطات أخرى هي لسان حال البلاد.

كما اعتمدنا على كتب الجغرافيين والرحالة لمعرفة الحدود الجغرافية والطبيعية والمناخ، من أبرز هذه الكتابات نجد كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الشريف للإدريسي أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي المتوفى سنة 560هـ / 1154م. كذلك كتاب مسالك الأمصار في ممالك الأبصار لابن فضل الله العمري. إضافة إلى كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان المتوفى سنة 958هـ/ 1550م، أيضا كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة المتوفى سنة 779هـ/1377م.

من المصادر التاريخية نذكر على وجه الخصوص كتاب تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمؤلف مجهول من تنبكت. تناول بالتفصيل فترة

الباشوات المغاربة بعد حملة المنصور على السودان، بداية من الباشا جودر قائد الحملة المغربية على السودان، والكتاب من أهم مصادر القرنين السادس عشر والسابع عشر،اهتمامه كبير بالوقائع السياسية.

كتاب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس لمحمد بن محمود كعت من مواليد(872هـ/1468) بتمبكت، وتاريخ الفتاش ليس مقسما أو مبوبا إلى أبواب وفصول أو أحداث حسب السنين أو ترتيب الشخصيات بل مكتوب دفعة واحدة، بدون فقرات أو مواقف معا لكثير من الاستطراد خاصة في التاريخ الإسلامي عامة، كما أنه لم يفصل الأحداث وإنما جعلها متداخلة وقد ذكر في كتابه الغرض من كتابه

كتاب تاريخ السودان للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي من تمبكت (1004-1066هـ/1596-1655م)، اهتم بالتاريخ ويظهر من كتابه أنه كان يدون ما يسمعه أو يراه وقد أخذ كثيرا عن الذيل لأحمد بابا وكذلك عن محمود كعت. كذلك استعنا بكتاب السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

كذلك كتب الرحالة الأوربيون، والتي نذكر منها: كنتة الشرقيون لبول مارتي الذي استفاض في دراسة الأسرة الكنتية.

وكتاب تنبكت العجيبة لفليكس ديبوا الذي زار السودان الغربي ومكث فيه مدة طويلة عرف الكثير عن سكانها وعن عاداتهم وتقاليدهم، وغيرها كثير من المراجع الأخرى.

ولم يخل هذا العمل من صعوبات، حيث أن دراسة موضوع التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لقطر من الأقطار من خلال نوازل فقهية ليس بالأمر السهل. وعندما يكون الأمر متعلقا بالغرب الإفريقي أو ما يسمى بالسودان

الغربي فإنه يكون أكثر تعقيدا وصعوبة ولعل ذلك يعود إلى الموقع الجغرافي الغير محدود بحكم انتشار القبائل في المنطقة من غير تحديد دقيق لحدودها الجغرافية.

ولأن النوازل في كثير من الأحيان يصعب استخلاص القيمة الاجتماعية أو الاقتصادية منها أو التمييز بينهما، واستخلاص الاجتماعي من الاقتصادي لعموم النازلة.

الفصل التمهيدي

1- النوازل الفقهية وأهميتها في الدراسات التاريخية

2 - التعريف بالمخطوط وصاحبه الشيخ باي بن عمر

3- جغرافية السودان الغربي

تعتبر النوازل مجالا خصبا لدراسة حالة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، فمنها يستنبط الباحث مظاهر المجتمع المتعددة، ونوازل الشيخ باي بن عمر نموذجا لهذه النوازل، من خلال هذه النوازل ندرس الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة مترامية الأطراف من إفريقيا هي السودان الغربي أو كما يسمى في بعض المصادر غرب إفريقيا، وهذا المجال الرحب من إفريقيا تقطنه قبائل مختلفة، حيث لا أثر للحدود الجغرافية عند هذه القبائل، فلها في السودان الغربي امتداد تجاوز الحدود الجغرافية، فنجد الفلان في الجزائر ومالي والنيجر، ونجد الطوارق في كل السودان الغربي، وهكذا. وقد اعتمد الشيخ باي في إجابته على ما كان يأتيه من أسئلة فقهية، وهي ما كان ينزل بالمجتمع، على نوازل مجموعة من العلماء، وعلى مراجع فقهية مالكية بحتة متداولة في السودان الغربي، مثل كتاب المدونة، وكتاب الموطأ للإمام مالك، الرسالة لابن أبي زيد القيرواني وكتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي. بالإضافة إلى بعض النوازل، كنوازل السكتاني ونوازل الهلالي ونوازل الزرويلي ونوازل التشيتي حمى الله ونوازل الورزازي ونوازل الزرويلي ونوازل البرزلي ونوازل القصري ونوازل ابن الأعمش ونوازل الونشريسي، وغيرهم.

1- النوازل الفقهية وأهميتها في الدراسات التاريخية

ا- تعريف النوازل:

النوازل لغة جمع نازلة، وهي اسم فاعل من نزل، قال ابن فارس:" النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه، وأكثر ما يطلق على نزول أمر فيه شدة". فهي تطلق على المصيبة الشديدة من شدائد الدهر التي تنزل بالناس[1]، وهي تعني اصطلاحا معرفة الحوادث التي تحتاج إلى حكم شرعي، وتعني أيضا الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة، كما تعني الحوادث والوقائع التي تنزل بالناس في يومهم، فيتجهون إلى الفقهاء ليقدموا لهم فيها حلولا شرعية مستنبطة من النصوص الفقهية [2]، فالنازلة إذن تعد مشكلة عقدية أو أخلاقية أو دوقية، يصطدم بها المسلم في حياته اليومية، فيحاول أن يجد لها حلا يتلاءم وقيم المجتمع، بناء على قواعد شرعية، فهي لا تنفصل في الممارسة الاجتماعية، ولا تحيد عن محيطه الذي يشكل وحدة دينية [3].

لقد تعددت تسمية كتب النوازل، وكثرت التعاريف الخاصة بها في معظم التآليف، وكان الفقهاء هم من تصدروا الإجابة عن هذه النوازل، فارتبط ذكر النوازل بفقه النوازل. ومن هذه التسميات:

---

(1) ابن منظور،لسان العرب تح عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، القاهرة، دار المعارف ط3، ج 6 - 4401 مادة (نزل) . القزويني أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح وضبط عبد السلام محمد أرون، طبعة إتحاد كتاب العرب 1423هـ/ 2002 ج5،ص 417.

(2) العبادي بن أحمد، فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام من القرن التاسع إلى نهاية القرن الرابع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 1999 ص53.

(3) الفيلالي،" النوازل المغربية "، محاضرات ملتقى القيروان، ص ص 230-231.

الحوادث: جمع حادثة، قال الأزهري:" الحدث من أحداث الدهر شبه النازلة " ([1]).

الواقعات: وهي جمع واقعة، مأخوذة من وقع الشيء بمعنى نزل، من ذلك واقعات المفتين لأفندي المتوفى سنة 1085هـ/ 1674م ([2]).

الفتاوى: ويراد بها الأمر الذي يحتاج إلى فتاوى، من ذلك فتاوى ابن رشد، والذي يعتبر أضخم إرث يتركه فقيه مفت، والتي اعتنى بجمعها تلميذه ابن الوزان ([3]).

الأجوبة: وهي الرد على الأسئلة المرفوعة إلى الفقهاء أو القضاة، ومن أمثلة ذلك الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية لمحمد بن ناصر الدرعي، المتوفى سنة 1085هـ/ 1674م. جمعها عنه محمد بن أبي القاسم الصنهاجي.

المسائل: وهي الأسئلة الواردة على الفقهاء وإجابتهم عنها، ومن ذلك مسائل الأحكام للبرزلي، المتوفى سنة 842هـ/1438م.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 132.

(2) أرشيف ملتقى أهل الحديث ج 1 ص 13600. تم التحميل في محرم 1432هـ/ ديسمبر 2010م http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=15

(3)محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ - 12 إلى 15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الحسن الثاني، عين الشق الدار، البيضاء، سنة 1996، ص 19.

ب- أهمية النوازل:

تتجلى أهمية النوازل الفقهية في:

- التعرف على أحوال المجتمع، نظرا لما تثيره من أسئلة تتعلق بتفاعل مختلف مكوناته وفعالياته، فهذه النوازل تعكس مختلف مظاهر المعاملات والمشاكل التي تترتب عنها بين الناس، وتتطرق لموضوع الجبايات والعديد من القضايا التي تتصل بالحياة الدينية والروحية والعلمية للمجتمع([1]).

- النوازل بالإضافة إلى أهميتها الفقهية، فهي تشكل مصدرا من المصادر الأصلية القيمة لما تتضمنه من مادة غنية في مجال الدراسات التاريخية والحضارية، فهي قضايا رفعت من قضايا مختلف فئات المجتمع إلى القضاة والفقهاء للنظر فيها. وهي عادة ما تذكر النازلة أو القضية كما حدثت، بأشخاصها ووقائعها واسم القاضي أو المفتي الذي رفعت إليه، وأحيانا تاريخ وقوع النازلة، ثم الجواب أو الفتوى حول تلك النازلة أو المسألة الفقهية([2]).

-النوازل مرآة صادقة تعكس هموم ومشاكل أفراد المجتمع وما يشغلهم في تلك الفترة ([3]).

---

(2)محمد فتحة، النوازل الفقهية، ص 19.

(3)كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1998، ص9.

([3])سعد غراب، كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية، حوليات الجامعة التونسية، العدد 16 سنة1987، ص 73.

ولقد تنبه بعض الباحثين المستشرقين منذ فترة إلى أهمية كتب النوازل والفتاوى الفقهية وقيمتها الكبرى في دراسة التاريخ الحضاري للمجتمعات الإسلامية، منهم المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال، والإسباني لوبث أورتيث Lopez Ortiz، وغيرهم.

ارتفاع الفتوى أو النازلة إلى مستوى الوثيقة التاريخية في مرحلة لاحقة عندما تأخذ مكانها الخاص ضمن سلسلة الأنشطة الثقافية والسياسية والاجتماعية التي يمارسها المجتمع الإسلامي، وتتحول بذلك إلى وثيقة متعددة الاستخدامات، يجد فيها الفقيه والقاضي زادا للاستدلال والقياس، ويجد فيها المؤرخ أوجها للاستشهاد والإثبات، كما تمنح عالم الاجتماع ميدانا لمقاربة الأوضاع العامة للشعب والمجال الذي أنتج الفتوى.

تطلعنا النوازل على التراث الذي تعامل به أجدادنا في معاملاتهم، فالنصوص الضائعة وجدت في ثنايا تلك النوازل ([1])، التي مازال الكثير منها عبارة عن مخطوطات لم تشملها عملية البحث للوصول إلى حقيقتها، وما تحتويه من كنوز، وفي الوقت نفسه مازال لها تأثيرها بتداولها في المدارس

---

(1)ابن فضل الله العمري، مسالك الأمصار في ممالك الأبصار، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، 1988م، ج 4، ص 21. محمد المختار ولد السعد، الفتاوى والتاريخ دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل، .بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1 ،2000. ص11.

التي تعتمد عليها في مناهجها التعليمية، بألسنة الفقهاء التي لا تمل من تكرارها في فتاويهم بصورة دائمة ([1]).

تعد الفتاوى والأحكام من أهمّ ذخائر التراث الإسلامي. فإضافة إلى ما لمحتواها العلمي من قيمة قد تكون أعظم من محتويات كتب بكاملها، فإنها تمثل كذلك أصدق وثيقة مكتوبة تعطي معلومات وتصورات واقعية عن شتى تلاوين وتشعبات الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الذي تصدر منه. فهي تبين تاريخ وبُنى المجتمع الذي أنتجها وآلياته الحركية والتنظيمية وطبيعة علائقه وأنسجته الاجتماعية، ثم أهم الانشغالات التي أهمّت أبناءه وشغلت فكرهم.

الفتاوى والنوازل والأحكام الفقهية عناصر إخبارية تعين على تفسير الكثير من القضايا التي طرحت على السكان في أمور حياتهم ومعاشهم.خاصة أن إلحاح أبناء المجتمع على الفقهاء بأسئلتهم عن جزئيات حياتهم اليومية بشتى تفاصيلها، يجعل الفتاوى والأحكام إجابات لها بعد تاريخي واجتماعي ينبغي التنبه إليه.

2- التعريف بالمخطوط وصاحبه الشيخ باي بن عمر:

التعريف بالشيخ باي بن عمر:

---

(1) محمد حوتية، مخطوطات إقليم توات، عرض وتقديم لمخطوط نوازل الشيخ باي الكنتي ،مجلة الثقافة، عدد 117 - 118 سنة 1999 الجزائر. ص324.

ولد الشيخ باي بن عمر بن الشيخ سيدي المختار الكنتي بحدود عام 1282هـ/1865م بأدرار إيفوقاس، منطقة الأزواد من قبيلة كنتة بالولاية الشرقية.كانت أمه عبارة عن جارية من بيلة من قبيلة إيبوغليتن، وهي جارية الشيخ سيدي عمر. تلقى تعليمه الأول على يد والده، وعلى يد شقيقه الأكبر، واشتهر كأديب مرموق، وبعد وفاة والده سنة 1314هـ/ 1896م أوكلت إليه الزعامة الروحية لكنتة أزواد، فانصرف الشيخ باي للعبادة وتفرغ للدراسة وعيشة الزهد فكون أجيالا من كنتة صالحين للحياة والعمل الإسلامي، أشهرهم هوغار موسى آغ أماستان، ونظرا لما يتمتع به الشيخ من علم وتقوى وحسن تسيير، فقد تغلغل نفوذه بعمق في بضع مخيمات للطوارق ([1]) فخضعت له، مثل هوقار تيتوق إيفوقاس، وقد مكنته لغة الطوارق تماشق([2]) التي كان يتحدث بها بطلاقة من ذلك.

شغل الشيخ منصب القاضي للفصل في كثير من النزاعات، وكون الشيخ صاحب سمعة طيبة عند البداة فقد عاش منعزلا عن الأنظار ليحافظ على مكانته، ولم يختلط بالناس إلا في أوقات الصلاة أو في الفصل في الخصومات.

---

(1) بول مارتي، كنتة الشرقيون، تعريب وتعليق محمد محمود ولد ودادي، نواكشوط، موريتانيا، د ت، ص 130.

(2) تماشق:يقول المستشرق دلافوس في كتابه أعالي سنغال والنيجر أنها اللغة الوحيدة من ضمن 31 لغة غير العربية التي لها أحرف في منطقة أعالي نهر السنغال والنيجر ، وهي لغة الطوارق وأحرفها ذات أشكال هندسية دائرية ومستطيلة مع نقط وخطوط مستقيمة وتدعى تيفنيغ ،بول مارتي، المرجع نفسه، ص 130.

عاش الشيخ باي خلال السنوات الأولى من زعامته الدينية كحضري في تلية. وابتداء من 1318هـ/1900م استأنف حياته البدوية، وعندما أصاب هذه المنطقة الجفاف ارتحل الشيخ إلى نهر النيجر حيث موارد الماء وما توفره لهم ولبهائمهم. وبقي بعيدا عن مفاوضات فرنسا ظنا منه أن ابتعاده عن قاو هو سبب كاف لابتعاده عن الفرنسيين([1]). كما لعب دور الوسيط بين هوقار وإيفوقاس، وحثهم على طلب الأمان من المقدم لابيرين، وقد كان خضوع موسى آق أمستن وقبيلته معترفا به ومعروفا في الجزائر ([2])، إضافة إلى كونه داعية للإسلام فيأوساط الطوارق ا يفوقاس ومقدما في الطريقة القادرية([3])،وبعد تحديد مناطق النفوذ الصحراوية بين الجزائر والسودان، أصبح باي تابعا للسلطات السودانية، وظل يبرهن على الإخلاص ذاته. في سنة 1348هـ/1929م كانت وفاة الشيخ باي بمعسكره، تاركا وراءه مؤلفات عديدة من بينها:

- الفرائض الرائقة والأجوبة الفائقة وهو كتاب يحتوي على أسئلة وأجوبة فقهية.

- رسالة موجهة إلى بكات سيدي بكات يطلب منه فيها إيقاف ممارساته الدموية.

---

(1) شخوم سعدي، مخطوط نوازل الشيخ باي بن عمر، عرض لمعالم النشاط العلمي والديني في توات خلال القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد السابع، 2010م، ص243.

(2) بول مارتي، المصدر السابق، ص 133.

(3) محمد حوتية،المرجع السابق. ص 285

- نصيحة موجهة إلى أهل كنتة بالحوض في موضوع النزاع الذي كان بينهم وبين أهل طالب المختار.

- تعليق على الأحاديث التي جمعها محمد المغاري.

- إجازة ممنوحة للشيخ زين بن عبد العزيز الجبهي، ويشهد له فيها بإتمام معرفته في الحديث وموطأ الإمام مالك.

- تعليق منظوم على الأجرومية، وقد اتخذ شكل ملحوظة حول أصل الأجرومية.

- مقال في أصل إمغشارن وألبول والطوارق.

- تاريخ كنتة.

- فتاوى معروفة باسم "نوازل باي" وهو موضوع دراستنا.

وصف المخطوط: المخطوط محفوظ بمسجد مصعب بن عمير بأولف بأدرار، مسجل تحت رقم 10، عدد أسطر الصفحة الواحدة أربعة وعشرون سطرا في الغالب، إلا الصفحة 357 ففيها سطران والصفحة 539 ففيها عشرة أسطر، مع وجود توجيهات على الجانبين يمينا وشمالا .

التعريفبالمخطوط:

يقع الخطوط في سبع مائة وأربعة وثمانون ورقة من الحجم المتوسط مقاسه 21 22X سم، مكتوب بخط مغربي واضح المعالم والحروف، سهل

القراءة مرقم بشكل واضح، استعمل فيه الناسخ الحبر الأسود والأحمر . المخطوط في حالة جيدة،

الناسخ: سيدي محمد بن باد

انتهى من خط شيخنا سيدي محمد بن باد قائلا انتهى من خط شيخه صاحب النوازل أيضا فجزاها الله عنا جزاء لا منتهى له إلا رضاه عنهما آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

تاريخ النسخ:يوم الخميس 16 من جمادى الثانية 1371هـ/1952م.

بداية المخطوط:يبدأ المخطوط "بيسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد فنريد أن نرتب نوازل الشيخ غوث العالمين وخاتمة المحققين شيخنا وسيدنا وملاذنا وعمدتنا شيخنا سيدي باي بن شيخنا سيدي عمر بن شيخنا الشيخ سيدي محمد بن شيخنا وسيدنا الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر على ترتيب أبواب الفقه ولنقتصر على نوازل الأسئلة فقط من غير بعض وصاياه العديدة ورسائله المفيدة إلا ما كان مؤسسا منها ومتسببا عن سؤال فذلك نثبته إن شاء الله لا محالة وعلى الله في ذلك الاستعانة"

نهاية المخطوط: ينتهي المخطوط بـ " انتهى ما وجد من النوازل بحمد الله تعالى وحسن عونه على يدي ناقله من خط سيدي محمد بن حماد بن حبيب الله بن المختار بنعمر بن سيدي المختار الكبير بن أحمد بن أبي بكر الكنتي ثم الوافي جعلنا الله وإياكم ممن سبقت لهم منه الحسنى ألئك عنها مبعدون لا

يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون نقله كاتبه لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده محمد التهامي بن عبد القادر بن الحاج أبي بكر غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولأحبابه والمسلمين ختم له بالحسنى والمقر الأسنى بجاه عين الرحمة سيدنا ونبينا وشفيعنا ووسيلتنا إلى ربنا محمدصلى الله عليه وسلم، وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.تمت المقابلة بحمد الله وعونه وتوفيقه بعد عصر يوم الإثنين من شعبان على يد مالكه ومحمد بن مصطفى التيطي رزقنا الله البركة والنفع بجاه صاحب التآليف آمين .وقد تم نقلها يوم الخميس من جمادى الثانية سنة 1371هـ، ويغفر الله لمن دعا للمتمم بحسن الخاتمة وله الشكر،ويذكر قبله أنه الانتهاء منه عام 1382هـ،وذكر نقله ولم يذكر كتابته أو نسخه ، وعلى هامشه كتب أنه تم مقابلته سنة 1371هـ، وقد يفهم من هذا التصحيح وأن تاريخه يعود إلى ما قبل المذكور في آخر المتن ، على يد أحد أحفاده محمد بن حماد بن حبيب الله بن المختار بن عمر بن سيدي المختار الكبير فالناسخ إذن من العائلة "

ترتيب المخطوط:وقد رتبت أبوابه حسب الترتيب الفقهي المعروف والمعهود من العبادات والمعاملات، وهكذا مع بداية في مسألة عقدية كما درج على ذلك مالكية المغرب والأندلس([1]).

مسائل من التوحيد والأوراد وما أشبه ذلك.

---

(1) شخوم سعدي، المرجع السابق، ص 246.

مسائل مأخذ الأوراد وحقيقتها وما يتعلق بذلك.

مسائل من المعفوات وما ضاهاها.

مسائل الطهارة مائية وترابية.

مسائل الصلاة المكتوبة والنافلة وما يتعلق بهما.

مسائل الجنازة.

مسائل من الزكاة.

مسائل من الصيام.

مسائل من الزكاة وشبهها.

مسائل من النكاح.

مسائل من الطلاق صريحا وحنثا وكناية.

مسائل من الخلع وما يتعلق بع وما يصح به.

مسائل من الرضاع وما يثبت به.

مسائل الحضانة.

مسائل من البيع والسلف والاقتضاء والاستحقاق.

مسائل من القراض والشركة.

مسائل من الكراء والإجارة والجعل.

مسائل من العارية والوديعة واللقطة والضالة.

مسائل منالهبة والصدقة وما تصحان به من الرشد والحوز.

مسائل من الوقف والحبس وما يتعلق بهما.

مسائل من الحجر والتفليس.

مسائل من الغصب والتعدي والسرقة.

مسائل من القضاء والشهادات والصلح.

مسائل مستغرقي الذمم والمدارات.

مسائل من الميراث.

مسائل من الفطرة.

جامع مسائل متفرقة.

مصادر المخطوط: ولقد اعتمد المؤلف على مجموعة من المصادر الفقهية الكثيرة والمتعددة، وهي كتب الفقه التقليدية، كالمدونة، والموطأ للإمام مالك، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، والتلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي، وكتب النوازل المالكية التي أكثر من النقل عنها وهي:

كتب الفقه:

المدونة.

الموطأ للإمام مالك.

الرسالة لابن أبي زيد القيرواني

التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي

كتب النوازل المالكية التي أكثر النقل عنها وهي:

-المعيار المعرب والجامع المغرب على فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (834-914هـ/1430-1508م)([1]).

- نوازل عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (1152–1233هـ/ 1739 – 1818م)([2]).

- النوازل الرسموكية لعبد العزيز بن أبي بكر بن أحمد بن يعقوب بن يحي بن يعقوب بن إسحاق بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن يوسف الرسموكي البرجي، أخذ العلم عن ابن يعقوب السملالي وهو عمدته، كما أخذ

---

(1) محمد بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من القرن العاشر، منشور ضمن موسوعة أعلام المغرب العربي تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ، 1996، ج 2، ص 824.

(2) سيدي محمد بن محمد عبد الله بزيد، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي ، تونس، منشورات سعيدان سوسة 1996م، ص ص 36- 37.

عن أبي مهدي السكتاني، من مصنفاته نظم العلوم الفاخرة (ت1065هـ /1655م)([1]).

- نوازل ابن الأعمش لأبي عبد الله محمد بن المختار بن الأعمش العلوي، مفتي مدينة شنقيط وعلامتها الشهير(ت 1285هـ-1868م)([2]).

- نوازل البرزلي أو جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا بالمفتين والحكام لأبي القاسم بن أحمد البلوي القيرواني المشهور بالبرزلي من مواليد القيروان سنة738هـ/1337م([3]). وتوفي عام 841هـ/1438م وبعد عمر أنهاه وهو كفيف، لكنه لم يتوقف عن التأليف، يعد من كبار فقهاء المالكية، تتلمذ على يد شيخه ابن عرفة المشهور، من مؤلفاته، رسالة رد فيها على الرجراجي، وكتابه جامع مسائل الأحكام ([4]).

- النوازل القصرية للقصري الإيديلبي. وهو الشيخ العالم الفقيه المدرس المفتي القصري بن محمد بن المختار بن عثمان القصري الأيديلبي، الولاتي منشأ

---

(1) محمد المختار السوسي، المعسول، المغرب للنشر والطبع د ت، ج 5، ص ص20 21.

(2) العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، الرباط، المطبعة الملكية، 2001، الطبعة 2، ج 6، ص 19. البرتلي،أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1981م، ط1 ص ص 116، 117.

(3) أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الله الهرامة، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ط 1، ج 1-2 ، ص 368. محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي 2002، ط 1، ص 245.

(4)محمد المختار ولد السعد، الفتاوى والتاريخ دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال النوازل، ص ص45-46.

ووطنا،من علماء القرن الثالث عشر ، فخذ من أفخاذ تجكانت، والإديلبي نسبة إلى جدهم إِدَيْلَب فايد ، معناها أولاد ويلبه هو جدهم الذي ينتسبون إليه، وأصلهم من تجكانت، وهم فخذان ،الزحاحف ويعرفون بأولاد الزحاف، وأصلهم من أولاد مسان تجكانت، والفخذ الآخر أولاد بويحي ومنهم القصري صاحب الترجمة([1]).

- نوازل الورزازي محمد بن محمد بن عبد الله الدليمي الدرعي الفاسي المتوفى سنة1166هـ- 1762م([2]).

- نوازل الشريف حمى الله التشيتي (1107-1169هـ/ 1693-1755م).هو محمدنا الله بن الإمام أحمد بن محمد نض بن أحمد بن هند، نشأ في بيت علم وعمل، أخذ العلم عن أخويه لأمه أحمدو ومحمد ابني فاضل الشريف. قال عنه البرتلي في فتح الشكور: "وله فتاوى مجموعة مشهورة عم النفع بها في إقليمنا لصحتها وبركة مؤلفها وحسن اعتقاده فيها" ([3]). له مؤلفات عديدة من بينها، تخميس أبيات السهيلي، شرح المقدمة للأخضري، تقييد في تاريخ تيشيت، توفي عن عمر ناهز 62 سنة.

- نوازل أبي الحسن الصغير الزرويلي هو أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الحق، الملقب بالصُّغَيِّر، الزرويلي، الفاسي (ت719هـ/ 1320م). قال عنه

---

(1) مؤلف مجهول، الخوض في أخبار وأنساب أهل الحوض، تحقيق محمد الداه أحمد، ص 19.

(2) عبد الكبير الفاسي ، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحادث السنين ضمن كتاب موسوعة أعلام المغرب، تحقيق وتنسيق محمد حجي، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ط1، 1417هـ 1996م، ج 7، ص 2178.

([3])البرتلي، فتح الشكور، ص 111.

المقري في "أزهار الرياض": "كان الشيخ أبو الحسن إمَام وقته في فقه المدونة، وهو المستقل برياستها بعد شيخه الفقيه راشد ... ولم ينظر في الفقه حتى أتقن علم الفرائض، وفنون البلاغة، وتلقى ذلك من أربابه، وارتحل، وانتقل إلى تازة، فلازم أهل اللسان، وفرسان المعارف وقتاً طويلاً، ثم اعتكف على قراءة التهذيب، ولازم الفقيه راشداً، واقتصر عليه، وكان الفقيه راشد لا يُنفِذ -بمدينة فاس- حكماً، ولا جواباً في نازلة؛ حتى يحضره، ويعتني به، وكان لا يَحْجُر عليه في القراءة، بل يقرأ من التهذيب من أيِّ مكان شاء، وقد صدقت فراسته فيه، فكان في ميزان حسناته يوم القيامة"([1])،مشهور عند أهل إفريقية بالمغرب ([2])

- نوازل السكتاني (ت 1062هـ/1652م).المسمى الأجوبة الفقهية([3])، لعيسى بن عبد الرحمان أبي مهدي الرجراجي السكتاني. قال عنه العلامة:" أشهر من نار على علم، صاحب الفتاوى الشهيرة" و " مجموعة فتاويه شهيرة "،وقال عنه أبو العباس الهلالي: "ومن كتب النوازل المعتمدة... نوازل المحقق

---

(1) المقري،شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تح مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي،منشورات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية (بيت المغرب) ، طبعة القاهرة 1358 هـ / 1939. ج3، ص 33. الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج 3، تح الشريف محمد حمزة بن علي. ص ص181- 182.

(2) الكتاني المرجع نفسه، ج3 ص180

(3) عبد الرحمان السكتاني الرجراجي المالكي، الأجوبة الفقهية، تح أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، لبنان، بيروت، دار ابن حزم ط 1 ، 2011.

سيدي عيسى الس لكتاني، لكن فيه فتاوى مجملة تحتاج إلى تفصيل" ، وقال السملالي: " وما زال العمل على وفق اختياره في معضلات النوازل" ([1]).

- نوزال الهلالي هو إبراهيم بن هلال أبو إسحاق الفيلالي السجلماسي(817 - 903 ه -_1414 - 1497م)([2]). كان فقيها عالما حافظا محققا، مؤلفا، مفتي سجلماسة وعالمها، متفننا في العلوم، من فقه، وحديث، وأدب، مولعا بالنوازل حتى صار آية فيها، قال ابن القاضي: " كان رحمه الله آية من آيات الله في النظم والنثر، والنوازل الفقهية المالكية"([3]).

ويلاحظ أن نوازل الشيخ باي قد تكون من إملائه أو نقلت عنه، ويظهر ذلك من خلال ألفاظ الإجابة الواردة في النوازل والمتعددة الذكر وهي:وأجاب عما يظهر من جوابه،

وأجاب عما يعرف من جوابه.

وأجاب عما يفهم من جوابه

---

(1) المراكشي، الإعلام، ج9، ص 414.

(2) ابن هلال إبراهيم بن هلال بن علي أبو إسحاق الصنهاجي نسبا ، الفيلالي السجلماسي، فقيه من علماء المالكية ،كان مفتي سجلماسة في المغرب الأقصى وعالمها ،ووفاته بها ،لهكتبمنها (النوازل،والدرالنثيرعلىأجوبةأبيالحسنالصغير،والأجوبة،وشرحالبخاري،وشرحمختصرخليلوفهرست واختصارالديباجالمذهبلابنفرحون) الزركلي، الأعلام،ج 1، ص 78.

([3])أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المصور للطباعة والوراقة، 1973، ص 97.

3- جغرافية السودان الغربي:

وردت كلمة السودان عند الكثير من كتاب الجغرافيا العرب في القديم، فقد أطلقوا على كل السود الإفريقيين، كما يتضح ذلك من خلال الرسالة التي كتبها الجاحظ تحت مسمى "كتاب فخر السودان على البيضان" وقد خص بذلك الجزء الواقع غرب إفريقيا ([1])

كما أطلق البكري على كلمة السودان في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرقا، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلا إلى بلاد السودان ([2]).

وذكر ابن حوقل في تحديد جغرافية منطقة السودان فقال:" وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف....غير أنه له حد ينتهي إلى البحر المحيط وحد له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب وحد له إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات ([3])

---

(1) الجاحظ عمر بن بحر ،كتاب فخر السودان على البيضان رسائل الجاحظ ، القاهرة، دار مكتبة الهلال، 1906م، ص 64.

(2) البكري أبو عبد الله، كتاب المسالك والممالك. تونس، الدار العربية للكتاب 1992م، ج 2، ص 837.

(3) ابن حوقل أبو القاسم النصيبي ،كتاب صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة 1979م، ص 24.

كما ذكر القزويني أن بلاد السودان هي بلاد كثيرة، وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط. أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها، والحرارة لها شديدة جدا، وأهلها عراة لا يلبسون من شدة الحر، منهم مسلمون ومنهم كفار ([1]).

وقد ذكر الإدريسي أن أكثر هذه البلاد صحاري متصلة غير عامرة وجهات وحشة وجبال حرش جرد لا نبات فيها والماء بها قليل جد لا يوجد إلا في أصل جبل أو فيما اطمأن من سياخها وأهل تلك البلاد يدلون في أكنافها وطرقاتها ويتجولون في ساحاتها ووهادها وجبالها([2]).

أما ابن خلدون فيقول:"والسودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرها بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو، وبعدهم التكرور، ويفصلون بالبحر المحيط إلى غانية" ([3]).

ومنطقة السودان الغربي التي أتحدث عنها، تقع بين الصحراء الكبرى شمالا، وخط الاستواء جنوبا، وبين المحيط الأطلسي غربا، إلى مرتفعات

---

(1)القزويني زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد .بيروت، دار صادر د ت، ص24.

(2) الشريف الإدريسي أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مطبعة لندن 1863، ص 33.

(3) ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر. بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر 1979م، ج5، ص 243.

الحبشة ووادي النيل شرقا ([1]). يتفاوت ارتفاع بعضها عن بعض على سطح البحر من مكان إلى آخر. تنتشر فيها كثبان الرمال، والواحات الكبيرة. كما توجد بها الهضاب الصخرية، والمسالك الفسيحة، وسلاسل الجبال المتقطعة وكذلك الوديان ([2]).

والمتتبع لكتابات المؤرخين العرب في العصور الوسطى، يلحظ عدم وجود أي تقسيم للمنطقة، لكن بعد الاحتلال الغربي، قسم السودان إلى أقسام متعددة، فظهر السودان الغربي، والسودان الأوسط، والسودان الشرقي.

السودان الشرقي: ويمتد من البحر الأحمر شرقا حتى حدود إقليم دارفور غربا، ويضم الحوض الأعلى، والأوسط لنهر النيل([3]).غلب اسم بلاد الزنج عند العرب على هذا القسم من السودان، إلا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا ([4]) .

السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، بين خطي عرض 22 شمالا، و10 جنوبا. وبين خطي طول 10شرقا، و15 غربا.

---

(1) عدنان مراد ، المجتمعات الإفريقية أصولها وتاريخها ، دمشق ، مطبعة أنجاد الكتاب العرب ، 1995، ص 108.

(2) الشريف الإدريسي أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د ت، ج 1، ص 168.

(3) شيخ الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وصنغي، جدة، دار المجمع العلمي، 1979م، ص 41.

(4) زبادية عبد القادر، مملكة صنغي في عهد الأسكيين 1493- 1592، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت، ص 37.

السودان الغربي: ويشمل المناطق الواقعة بين حوض نهري السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر، والمجرى الأعلى لنهر فولتا ([1])،ويعرف أيضا باسم الحوض والساحل. وتعد الآن جزءا من غرب إفريقيا، والجدير بالإشارة أن جغرافيي ومؤرخي القرون الوسطى من العرب، كانوا لا يميزون بين مصطلحي بلاد السودان الغربي وبلاد التكرور، بالرغم من أن بلاد التكرور، هي إحدى مناطق السودان الغربي، وإلى ذلك ذهب صاحب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حيث قال:" وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور، ولو سمع هذا أنف منه، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته، وأحب إليه أن يقال صاحب مالي، لأنه الإقليم الأكبر وهو به أشهر..." ([2])

إن موقع السودان يتميز بإيجابيات كثيرة، جعلته محطة للكثير من الهجرات من مختلف المناطق، وهذه المميزات تمثلت في موقعه .في منطقة غزيرة الأمطار نسبيا، وتجري بها بعض الأنهار، مثل نهر السنغال، ونهر النيجر، ونهر غامبيا، ونهر فولتا ([3]). إضافة إلى تنوع المناخ، وخصوبة

---

(1) شيخ الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص41.

(2) ابن فضل الله العمري، المرجع السابق، ص 34.

(3) فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية افريقيا، دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983م، ص 223.

الأرض، وتوفر الثروة الحيوانية والسمكية، والثروة المعدنية خاصة الذهب والنحاس والملح ([1]).

أما إذا جئنا نتحدث عن التركيبة السكانية للسودان الغربي، فإنها عبارة عن قبائل متعددة، يرجع أصول بعضها إلى الزنجية، وبعضها إلى الحامية، والبعض الآخر إلى السامية،وصلت المنطقة على مر الزمن عن طريق الهجرات، تبعا لظروف الهجرة من طلب للعيش، وظروف طبيعية أخرى، واستقرت بهذه المناطق([2]).

يذكر المسعودي عند الحديث عن التركيبة الاجتماعية للسودان الغربي، أنه لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب، حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا، فسارت منهم طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبحة والزنج، وسار فريق منهم نحو المغرب، وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومركة وكوكو وغانة وغير ذلك من أنواع السودان ([3]).

---

(1) الهادي الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء لصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1999م، ص 267.

(2) محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية، القاهرة، 1966، ص 160.

(3) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج1،مصر، 1303هـ، ص 168.

ا-قبائل السودان الغربي:

أهم القبائل التي سكنت السودان الغربي هي القبائل العربية، القبائل التارقية، قبائل السوننك، قبائل الفلان، قبائل البمبارا، قبائل التكرور، قبائل الولوف، قبائل الموشي، وقبائل الصنغي، نبدأ بتفصيل هذه القبائل تدرجيا على حسب الكثافة

أ -1- القبائل العربية:

وصلت القبائل العربية عن طريق الهجرات القادمة من الشمال الإفريقي بعد اجتياز الصحراء الكبرى لأغراض متعددة، من أهمها نشر الإسلام، ولغرض التجارة، بانتشار الإسلام زاد عدد القبائل العربية نتيجة لاختلاطها بالسكان الأصليين عن طريق المصاهرة، فاكتسبوا صفات جديدة. كما أن جماعة من العرب الحسانية غزوا جنوب مراكش وتقدموا نحو الجنوب حتى وصلوا نهر السينغال، واستقروا على ضفافه ([1]).

تفتخر العديد من القبائل السودانية بنسبها العربي، والقبائل العربية اليوم موزعة بين السينغال ومالي والنيجر، إضافة إلى قبائل انصهرت في بقية المجتمع في أنحاء السودان الغربي، والتي أهمها تبرازة، الرقيبات، المشطوف، جرجنكة، الكونتة، البرابيش، الأنصار، أولاد سليمان، أهل

---

(1) عبلة محمد سلطان ، العناصر المغربية في السودان الغربي ، رسالة دكتوراه ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1999، ص 28.

أروان، أولاد أعيش، الفولانيين، السكاكنة، أولاد غلان، أفوغاس الحساونة وغيرهم كثير([1]).

أ -2 – قبائل الطوارق:

هذه القبائل مختلف في تسميتها، بعضهم إلى طارق بن زياد، وبعضهم يرجع تسميتهم إلى طرقهم. يقول عنهم السعدي أنهم هم المسوفة، ينتسبون إلى صنهاجة، وهم ظواعن في الصحراء، لا يطمئن بهم كنزل ليس لهم مدينة يأوون إليها، ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام، وهم على دين الإسلام([2]). شهد الطوارق صراعات عديدة مع بعض حكام السودان الغربي، وحاولوا الانفصال عن مملكة مالي الإسلامية([3]). كونوا دولتهم في تنبكت ([4]) بعد صراعهم مع السعديين، ثم تعاونوا معهم وحافظوا على مصالحهم الاقتصادية، يعرفون باسم الملثمين.

أ -3 -قبائل السوننك:

هم أحد فروع الماندي،سكنوا الصحراء في بداية أمرهم، ثم انتقلوا بعد ذلك للاستقرار على الأطراف الجنوبية لها في المنطقة المعروفة باسم الساحل

---

(1) إبراهيم طرخان، امبراطورية غانا الإسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973، ص 19.

(2) السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر ، تاريخ السودان .باريس، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، 1981، ص 25.

(3) المرجع نفسه،ص 27.

([4])ترد كلمة تنبكت فيبعضالمصادرتمبكت،وتمبكتوفيمصادرأخرى.

([1]). وقد اعتنق السوننك الإسلام مبكرا نتيجة اختلاطهم بالوافدين من الشمال الإفريقي، ولعبوا دورا كبيرا في نشر الإسلام ([2]).

أ 4 ـ قبائل الولوف:

هم شعوب استقرت في إقليم الولوف، يحده نهران يتفرعان عن نهر النيجر، ويتوغل في عمق القارة ويوجد به عدد من المدن والقرى كثير، وهذه الشعوب تقطن قريبا من نهر السينغال، وهي التي تتشكل منها شعوب التكرور والسرخول ([3]).

أ 5 ـ قبائل الفولاني:

من الشعوب المهمة في غرب إفريقيا، تنتشر بشكل واسع جدا بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة التشاد والكامرون، يطلق عليهم العرب شعب الفلاّن، وهم يسمون أنفسهم الغولاني([4]). بعضهم مستقر يعمل بالزراعة، والبعض بالزراعة وتربية البقر، وبعض ثالث يمتهن الرعي ويمتلك البقر ويسمون فلاني البقر.

أ 6 ـ قبـائل البمـبارة:

---

(1) مسعود عمر علي، تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، ص 28.

(2) إبراهيم طرخان ، المرجع السابق ص 48. شوقي أبو خليل ، أطلس دول العالم الإسلامي ، دمشق، دار الفكر، 2003 ص 36.

(3)مرمول كربخال ، إفريقيا ، تر محمد حجي وآخرون . الرباط ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، 1989م، ج3، ص214.

(4)عدنان مراد، المجتمعات الإفريقية. ص 119.

شعب من شعوب الماندي المنتشرين في المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي حتى منحنى نهر النيجر، وهي تسمية مرادفة للكلمة العربية كافر، ونتيجة للاختلاط بغيرهم من الشعوب والقبائل، خصوصا قبائل الفلاّن تغيرت ملامحهم الجسمانية([1]). وتمتزج لديهم النواحي الدينية والدنيوية حيث توضع بيد رجل واحد يعرف بسيد الأرض، تسكن هذه القبائل في قرى صغيرة وعادة ما تؤلف القرية وحدة واحدة يحكمها شخص له السلطة الدينية والدنيوية ([2])، خضعت تاريخيا لمملكة مالي، ثم لإمبراطورية صنغي، ثم أسست إمارة في مدينة سيغو، خضعت لإمارة تنبكت ثم استقلت عنها عام 1071هـ/1660م وتوسعت، وأخيرا حكمتها أسرة ديارا التي استمرت في الحكم حتى عام 1287هـ/1861م، حيث خضعت لسلطان الحاج عمر الذي قاوم الفرنسيين ([3]) وتعيش هذه القبائل حاليا في أغلب دول السودان الغربي.

أ -7- قبائل التكرور:

يطلق لفظ التكرور([4]) على كل الزنوج في السودان الغربي، ينحدر قبائل التكرور من اختلاط قبائل الماندينغ والفلان مع السكان الأصليين لمنطقة فوتا

---

(1)هوتسي وقتسنك، ليفي برفنصال وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية ، تعريب زكي خورشيد أحمد السناوي عبد الحميد يونس، مادة البمبارة،ج4القاهرة، دار الشعب، د ت، ص 180.

(2) عدنان مراد، المرجع السابق، ص 113.

(3) إسماعيل أحمد ياغي،أحمد شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ،ج2، قارة إفريقية، الرياض، دار المريخ للنشر، 1993م، ص 208.

([4])التكرور: وهي تلي مدينة صنغانة وتقع ما بين الغرب والقبلة، وأهلها سودان وكانوا على المجوسية، وحتى وليهم وارجابي بن رابيس فأسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام وحملهم عليها وحقق

السنغالية ([1]).كانوا أول من اعتنق الإسلام من أهل السودان الغربي، وساهموا في نشره بين القبائل المجاورة ([2])، يعيش أغلبهم اليوم في جمهورية السنغال على الزراعة وبعض المهن الحرفية.

أ -8- قبـــائل المـــوشي:

يذكر عبد الرحمان السعدي بأن قبائل الموشي أقامت مملكة وثنية قوية في منحنى نهر النيجر، وجاورت الممالك الإسلامية في المنطقة، واستمرت على وثنيتها حتى جاهدها الأسكيا محمد ملك صنغي في بداية القرن العاشر الهجري الموافق السادس عشر ميلادي([3]).لم ينتشر فيها الإسلام إلا في نهاية هذا القرن على يد التجار وبنسب قليلة، وتشكل قبائل الموشي غالبية سكان جمهورية بوركينافاصو اليوم.

أ -9- قبائل الصنغي (السنغي):

ويرجع أصل قبائل الصنغي إلى قبيلة نشأت على ضفاف نهر النيجر الأوسط حين غزت قبائل الضيا وهي إحدى قبائل البربر تلك المناطق وأسسوا

بصائرهم فيها، فهم من ذلك الحين مسلمون. ينظر: أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، حققه وقدم له أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، دار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، ط 1992، ج 2، ص: 868.

(1)هوتسي وقتسنك، ليفي برفنصال وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية ، تعريب زكي خورشيد أحمد السناوي عبد الحميد يونس، الجزء الخامس، مادة التكرور، ص 422.

(2) البكري أبو عبيد، كتاب المسالك والممالك، ص 172.

(3) السعدي عبد الرحمن بن عبد الله، تاريخ السودان، ص74.

أسرة حاكمة هي أسرة ضيا وتولى الملك أول ملك لهذه القبائل وكان اسمه ضيا العالمين ([1])، وظلت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية وتمتهن صيد الأسماك وزراعة الدخن وقد عرف الزراع منهم بسادة الأرض وصيادو الأسماك بسيادة المياه([2]). كانت عاصمتها مدينة كوكيا على نهر النيجر الأدنى وهي لا تبعد عن جاو الحالية سوى مائة وخمسين كلم ([3]). وقد انتشر الإسلام في بلاد الصنغي نتيجة الإمتزاج السكاني مع هجرات القبائل الصنهاجية الوافدة من الشمال الإفريقي، تعيش قبائل الصنغي في جمهوريات مالي والنيجر ونيجيريا وهي تتحدث لغة الصنغي التي تكتب بالحرف العربي([4]).

ب ممالك السودان الغربي:

ب 1- مملكة مالي الإسلامية:

أسس هذه المملكة شعب زنجي هو شعب الماندنجو بمعنى المتكلمون بلغة الماندي ([5])، يلقبها بعض المؤرخين بلقب مليل أو ملل([6])، بينما يسميها

---

(1) جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تعريب مختار اليوسفي،القاهرة. دار الكتاب المصري 1984، ط1، ص 81.

(2) عبد القادر زبادية، مملكة صنغي في عهد الأسكيين 1493 - 1592، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،د ت ، ص 25.

(3)المرجع نفسه، ص 251.

(4) السعدي، تاريخ السودان، ص 3.

(5)السعدي، المصدرنفسه. ص 106. الهادي الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا، ص 112.

(6) البكري، كتاب المسالك والممالك ص 178.

البعض الآخر بمالي ([1]).وتقع بين بلاد برنو شرقا والمحيط الأطلسي غربا وجبال البربر شمالا وفوتاجلون جنوبا ([2]) وقد اشتهرت مالي باسم بلاد التكرور، وهي أحد أقاليمها الخمسة التي اشتملت عليها المملكة زمن قوتها وازدهارها، وكان كل إقليم منها عبارة عن مملكة مستقلة استقلالا ذاتيا لكنها تخضع لسلطان مالي، وهذه الأقاليم هي:

-مالي ويتوسط أقاليم المملكة.

-صوصو: ويقع إلى الجنوب من مالي.

-غانة: ويقع شمال مالي ويمتد إلى المحيط الأطلسي.

-كوكو: ويقع شرق إقليم مالي.

-تكرور: ويقع غرب مالي حول نهر السنغال([3]).

وعن ظروف نشأة مملكة مالي، نتحدث عن ذلك منذ اعتناق ملوك الماندنجو الإسلام، حيث أنشئوا دويلة صغيرة، استقلت عن مملكة غانة استقلالا ذاتيا، وإلى هذه القبيلة يعود الفضل في تكوين دولة مالي الإسلامية، مستغلين الأوضاع التي كانت سائدة حينها بين المرابطين وبين مملكة غانة ([4]). واستطاع ملوك الماندنجو توسيع مملكتهم أواخر القرن الثالث عشر في

---

(1)الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ص 38.

(2) كولين ماكيفيدي، أطلس التاريخ الإفريقي، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987، ص 95.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى،ج5 ص292.

(4) ابن خلدون ،كتاب العبر ، ج6، ص200. القلقشندي، المرجع السابق، ج5، ص293. الهادي الدالي، المرجع السابق، ص48.

اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي، مثيرا لحفيظة الممالك الأخرى، وبالخصوص مملكة صوصو، التي بدأ ملكها يبسط نفوذه، فاستطاع القضاء على دولة غانة الإسلامية عام 600هـ/ 1203م ([1])، وكاد أن ينجح في الحصول على ملك الماندنجو، لولا أن سندياتا ملكها (الماندنجو أو مالي)، الذي عرف بماري جاطة استطاع أن يقتله في إحدى المعارك عام 632هـ /1235م، وضم إقليم صوصو إليه، ثم وسع نفوذه شمالا، ليستولي على ما بقي من مملكة غانة عام 638هـ / 1240م، وبهذا يعتبر سندياتا المؤسس الحقيقي لمملكة مالي الإسلامية ([2]).

ب- 2- مملكة غانا:

سماها الفزاري الذي زارها عام 200هـ/816م أرض الذهب ([3]). بحسب رواية الرحالة الذين زاروا المنطقة، فقد عرفت الحديد وصناعة الأسلحة. كما عرفت الذهب، الذي يتاجرون به مع أهل الشمال، ويبادلونه بالملح وبعض السلع الأخرى. وكان اعتمادها على تجارة منظمة، قال البكري :" إن أهل غانة لم يتعلموا التجارة فقط، بل مارسوا فنونها ووضعوا قواعد للضرائب والرسوم الجمركية. فمثلا كانت الحكومة تفرض دينارا من ذهب على كل حمل حمار من الملح يدخل المدينة"([4])، وفي موضع آخر يقول :"وفي وسع

---

(1) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج6، ص244.

(2) أحمد شلبي،المرجع السابق. ص 244.

(3) أحمد نجم الدين فليجة، إفريقية دراسة عامة وإقليمية ، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ، 1978م، ص 39.

(4) البكري، المسالك والممالك. ص179.

مليكها أن يجهز للقتال 200000 محارب، يحمل على كل 40000 منهم الرماح والنبال"([1]).

ب- 3- مملكة سنغي (صنغي):

قامت على نهر النيجر الأوسط، عاصمتها جاو، وأول زعمائها ضياء بن قس399هـ/1009م، بعد اعتناقهم الإسلام، اهتموا بالأدب والعلوم والتدوين.تكون شعب الصنغي من قبيلتين: السوركو، والجابيبي. عملت الأولى في صيد الأسماك، وعرف أهلها "بسادة النهر"، واشتغلت الثانية بالزراعة وعرفوا "بسادة الأرض"،حيث تحيط بضفتي النهر أماكن خصبة، تصلح للزراعة والرعي فضلا عن غنى النهر في مجراه كله بالأسماك ([2])، اتسعت حدود الدولة حتى وصلت غانة، ومالي.

من أشهر ملوكها سني علي 864هـ/1460م، وأسكي العظيم، واسمه محمد توري 893هـ/1488م، وهو الذي نظم مملكته في الغرب والشمال، ونظم إدارتها تنظيما لم يسبقه أحد من قبله، ووحد كلمتها، وقضى على العصبيات. بدأ حكم هذه المملكة يتدهور، عندما بدأت الحملة البرتغالية على إفريقية عام 1000هـ/1592م([3]).

---

(1) المصدر نفسه. ص 180.

(2)Bovill .E.W. the Niger And The Songhay, Empire, The Journal Of The Royal African Society, Vol 25, No 98 (Jan 1926), pp 138-139.

(3) أحمد نجم الدين فليجة، إفريقية دراسة عامة وإقليمية،ص 44.

الفصل الأول:

العادات والتقاليد الاجتماعية

1 - المجتمع وتكويناته

2 - الزواج ونظام الأسرة

3 - المأكل والمشرب

4 - الملبس والمسكن

5 - الاحتفالات الاجتماعية والمناسبات الدينية

6 - آفات المجتمع وقيمه

إن دراسة عادات وتقاليد المجتمع السوداني من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر هي صلب الموضوع، حيث تناول الموضوع المجتمع ومكوناته، من علماء الذين هم زبدة المجتمع وإليهم يرجع الناس في أمور دينهم، وتجار وعامة وأصحاب الحرف، من بنائين وحدادين ونجارين وعبيد والعلاقة القائمة بينهم. كما تناول الزواج ونظام الأسرة، حيث عرضنا عادات أهل السودان الغربي في الزواج واختلاف هذه العادات من مكان لآخر، ثم ما يعترض هذه الأسرة من مشاكل متمثلة في الطلاق والخلع والنشوز وأسباب ذلك وما ينجم عنها من خلاف في حضانة الأبناء والنفقة عليهم. في مبحث لاحق ذكرنا ما كان يميز السودان الغربي في المأكل والمشرب من خلال ملاحظات بعض الرحالة القدامى والمحدثون، كابن بطوطة والحسن الوزان وفيليكس ديبوا. ثم ما تعلق بالملبس والمسكن، وما تميز به السودان الغربي عن جيرانه من المغرب والمشرق، ثم عرضنا في مبحث آخر الاحتفالات الاجتماعية والمناسبات الدينية وما أكثرها، حيث أن أهل السودان عرفوا بميلهم للبهجة والسرور، فكانت هذه المناسبات متعددة منها أعياد الفطر والأضحى، ورمضان، والمولد النبوي الشريف، وعشرينيات أبي زيد الفازازي. كما ذكر ما كان في المجتمع من آفات اجتماعية كظاهرة السلب والنهب وانتشار السحر والشعوذة وغيرها، وما كان منتشرا من أمراض وأوبئة وكيف عولجت، رغم هذا فالمجتمع لم يخل من قيم اجتماعية كتمسك الناس بالإسلام الذي نتج عنه مظاهر متعددة من إصلاح ذات البين والتكافل الاجتماعي والجود والكرم.

1- المجتمع وتكويناته

عرف السودان منذ القديم نظام الطبقات في مجتمعه الحضري والريفي والقبلي على حد سواء، فمن جهة كان متسامحا إذا ما انتقل شخص من طبقة لأخرى بفضل ما قد يكتسبه هذا الشخص من مال أو علم أو ترقية في الجيش، ومن جهة أخرى كان كثير التشدد إذا ما رغب منتسب لطبقة معينة من تجاهل القيود التي يفرضها عليه انتماؤه لطبقته، كأن يزوج ابنته من فتى دون مركزها الاجتماعي، أو يوصي لعبد من عبيده بتركته أو ببعضها.

رغم جهود الإسلام في محو هذه القيود، إلا أنه لم يحصل إلا توفير الاعتبار لمن نطق بالشهادتين من العامة،فأصبح أخا للملك أو الأمير أو القائد بشكل مبدئي، وتمكين العلماء من أن يكسبوا قدرا من التقدير والاحترام في نظر الناس ([1]). وكان تقسيم المجتمع يختلف من شعب إلى آخر، فمجتمع الهوسا ([2]) ينقسم إلى ثلاث طبقات، كل طبقة تضم فئة من الناس، وتحكم كل طبقة عادات معينة لا يمكن الاستغناء عنها في المجتمع. وهذه الطبقات هي: طبقة

---

(1) محمد الغربي ، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص 599.

(2) الهوسا شعوب استوطنت أرجاء القارة الافريقية تمتد رقعة موطنهم في كل من نيجيريا والنيجر وغانا والكامرون وساحل العاج وتشاد ومالي وبوركينافاصو وغينيا كوناكري وليبيا والسودان، يصل عددهم إلى مائتين وخمسون مليون نسمة، أهم ما يميزهم أنهم شديدو الترحال وخاصة التجار منهم. ينظر الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا، دراسة وثائقية، بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط3، 2009، ص ص 14-201.

الأسرة الحاكمة والنبلاء وهم القلة، وطبقة العلماء والموظفين والتجار، والطبقة الكادحة متمثلة في الحرفيين والعبيد والخدم وهم الكثرة ([1]).

يذكر الشيخباي بن عمر في بعض نوازله مجموعة من فئات المجتمع أهمها فئة العلماء، فئة التجار، فئة العامة.

ا-فئة العلماء:

تعرض الشيخ باي بن عمر ضمن نوازله وفتاويه لبعض فئات المجتمع في السودان الغربي، نستنتج من خلالها الدور الذي كانت تقوم به في حياة المجتمع اليومية، وأول هذه الفئات فئة العلماء والفقهاء الذين يشكلون فئة متميزة في المجتمع السوداني.

لقد اتخذ العلماء في السودان الغربي ألقاب متعددة، فسموا تارة بالمدرسين، وتارة بالفقهاء، وتارة أخرى بالمتفننين، ومرة أخرى بالمحدثين والحفاظ والمشائخ.وهي تعني من بين ما تعنيه وصول العالم إلى مرتبة كبرى من العلم، وكانت ذات مدلول كبير عندما تقترن بكلمة الإسلام، لتصبح شيخ الإسلام، ومن بين الذين حملوا هذا اللقب محمود بن عمر أقيت، ومحمد البكري وعثمان بن فودي ([2]). كما ورد اسم مالم، وهذا اللقب مشهور في بلاد الكانم برنو وبلاد الهوسا، وهو بمعنى كلمة معلم أو العالم العربية، وتطلق

---

(1) الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا، ص ص 202-203.

(2) مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الإستعمار وآثارها الحضارية ، الرياض ، مركز ال ملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية 1419هـ /1998م، الطبعة الأولى، ص ص 511-512-513.

على كل مترسم بزي علماء الدين([1])، كذلك هناك لقب ألفا، أو الفع، وهو اختصار للكلمة العربية "الفاهم"أو "الفقيه"،وهو ما عرف به رجال العلم والأدب والمتعلمون عامة في غربي افريقية ([2])، وأشهر من حمل لقب "ألفع" هو القاضي محمود كعت الذي كان يسمى " ألفع محمود كعت" ([3])، وممن حصل على لقب ألفا الشيخ محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم صاحب كتاب " تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان" ([4]). كما استعمل لقب "قوني" وهي من ألقاب العلماء في البرنو، ويلقب به كل من حفظ القرآن وأجاده وكتبه من أوله إلى آخره عن ظهر قلب. كذلك لقب سيدي أو سيدنا أو السيد الذي أطلق على أصحاب الكرامات والمتصوفة في عباداتهم من أمثال سيدي محمد البكري، سيدي أحمد البكاي، سيدي عبد الله البلبالي، سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي.

وهناك صنفان من العلماء صنف منهم أقام في المراكز الإسلامية وقام بالتدريس وقسم كان ينتقل مع التجار. فكان أحيانا الداعية والتاجر يمثلان

---

(1)مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية،ص 514.

(2)ابراهيم طرخان،دولة البرنو الإسلامية . القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975م، ص183.

(3)محمود كعت ، تاريخ الفتاشمن أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار، ص ص 111-116.

(4) مهدي رزق الله أحمد،المرجع السابق، ص515.

شخصا واحدا يصعب التفريق بينهما ([1]). ولقد لوحظ أن بعض القوافل التجارية كانت تضم بعض أفراد من الدعاة.

ولقد لوحظ أن بعض القوافل التجارية كانت تضم بعض أفراد من الدعاة، وكان يتفاوت عددهم، فيكون أحيانا واحدا فقط([2])، ولكونه متعلم فهو الذي يقوم بحفظ السجلات التجارية، ولأنه رجل عالم بالدين، فهو الذي يتبرك به في اختيار اليوم المناسب لتحرك القافلة، وهو الذي يضفي جوا روحيا وسط القافلة بمواعظه ودعواته وحكمه، حتى يقوى النفوس على مخاطر الطريق ([3]). وما دام غرض هؤلاء المعلمين ليس التجارة فإنهم يتركون القافلة في طريقها، عندما يجدون زعيما محليا يمكنهم أن يقدموا له الخدمات الدينية، فيعطى المعلم زوجة، وغالبا ما تكون بنت الزعيم العشائري، فينشأ مجتمع إسلامي جديد صغير، وهذا دليل على الجهد المثمر للمعلمين والدعاة المسلمين في بلاد غربي إفريقية.

لقد قام هؤلاء الفقهاء بدور كبير في حياة المجتمع السوداني، فهم يؤمون الناس في الصلاة، ويخطبون الجمعة، ويكلفون بجمع الزكاة والصدقات، ويوزعونها على مستحقيها، ويعقدون القران، ويديرون حفلات الزواج، ويسمون المواليد، ويؤمون الناس في صلاة الجنازة، ويفقهون الناس في

---

(1) I M Lewis Islam in tropical Africa ,op cit p 20. E.W. Blyden Christianity ,Islam and the negro race,p11

(2) J. S.Trimingham, The Influence of Islam Upon Africa p 39.

(3) مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص 97.

الإسلام، ويحفّظون الصغار القرآن، ويعلمونهم مبادئ الإسلام. وقد أشار الشيخ باي إلى ذلك في نوازله ([1]).

ولقد كان للفقهاء والعلماء مكانة رفيعة بين أهالي السودان الغربي المسلمين والوثنيين معا، فكانوا يجّلونهم ويعاملونهم بالترحاب في كل مكان، بل لقد كان الوثنيون يلتمسون خيرا على أيديهم ويوكلون إليهم تعليم أبنائهم ([2]) في الماضي، وفي الحاضر أيضا حيث كان المعلمون يعلمون أبناء الظلمة والكفار الكتابة والحساب في الكتاتيب مع أبناء المسلمين، وقد ذكر ذلك الشيخ باي في نوازله حين سئل عن تعليم أبناء الظلمة الكتابة والقراءة فأجاب بأن من جاء من أبنائهم طالبا تعلم فرضه وما يقرب به إلى ربه بتعليم مثل هذا أفضل وأوجب من تعليم غيره لئلا ينقلب على عقبه([3]).

ولقد كان بعضهم قبل كل شيء مصلحا وفاتحا إسلاميا حقيقيا كما هو الحال بالنسبة للشيخ سيدي المختار الكبير، فقد اجتذب علمه إلى خيمته زوايا البيضان الذين منهم انتشر دعاته في كل الأمصار السودانية. وبالتالي تدين لهم الصحراء الكبرى، وبلاد السودان في الوقت الحالي ([4]).وجرت العادة في

---

(1) باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 16 و 139.

(2) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإمام، تر حسن إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، 1970، ص ص 392- 393.

(3) باي بن عمر، المصدر السابق،ورقة 16

(4) بول مارتي، كنتة الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ص 39.

البلاد السودانية أن يلحق بالفقهاء أئمة المساجد وخطباؤها، كما يتصل بفئة الفقهاء والعلماء القضاة ([1]).

لقد كان السودان الغربي يحفل بالفقهاء من المشرق والمغرب، فمثلا شهدت دولة مالي وصول علماء من جميع أنحاء المغرب إلى مدنها، من تلمسان ومن مراكش ومن بجاية ومن مسوفة وجزولة، وكان سلاطين مالي على دراية بقيمة علماء المغرب، فاستقدموا علماء المالكية، وتفقهوا على أيديهم، واخذوا عنهم المذهب المالكي([2]).

تنج عن هذا الاحتكاك بالعلماء، بروز عمالقة في العلم والفقه في السودان الغربي، من بينهم أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد أقيت، جد الشيخ أحمد بابا التنبكتي، رحل إلى المشرق عام 890هـ/1485م، حج ولقي مجموعة من العلماء، منهم الشيخ جلال الدين السيوطي، والشيخ خالد الوقاد الأزهري إمام النحاة ([3])، كذلك محمود بن عمر بن أقيت الصنهاجي المسوفي، قاضي تنبكت. قال عنه أحمد بابا والسعدي: عالم التكرور، وصالحها، ومدرسها، وفقيهها، وإمامها بلا مدافع، كان من خيار عباد الله الصالحين،تولى القضاء في

---

(1) ابن عبدون، رسالة في الحسبة، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي، 1959، ص 09.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى. ج5 ص ص 292 - 297.

(3) البرتلي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ص27.

عهد الملك العادل أسكيا (*) محمد، لازم التدريس خمسين سنة.لقي إبراهيم المقدسي، والشيخ القلقشندي ([1]).

وكذلك المغيلي محمد بن عبد الكريم التلمساني، من مواليد تلمسان. سكن مدينة توات، يصفه أحمد بابا بقوله:" خاتمة المحققين، الإمام العالم العلامة، الفهامة القدوة، الصالح السني، متمكن المحبة في السنة، وبغض أعداء الدين. وقع له بسبب ذلك أمور مع فقهاء عهده، خاصة حين أعلن الحرب على اليهود " ([2]).

أيضا من أبرز العلماء في هذا العصر الشيخ أحمد بابا التنبكتي، من مواليد 962هـ/1555م، هو أحمد بابا بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، من أهل العلم والفهم والإدراك التام، حسن التصنيف كامل الحظ في العلوم فقها وحديثا وعربية وأصولا وتاريخا ([3])، تعرض لمحنةالأسر لما هاجم الجيش المراكشي تنبكت، ونقل إلى مراكش، جلس بجامع الشرفاء بمراكش

---

(1) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ص 343- 344. السعدي، تاريخ السودان، ص ص 38- 39. محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص 75.

(*) لقب أطلق على ملوك الأسرة الثالثة التي حكمت صنغي وعدد ملوكها ثمانية أو تسعة ملوك، أبو بكر إسماعيل ميقا، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ،الرياض، مكتبة التوبة، 1997، ط 1، ص 13.

(2) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 330.

(3) البرتلي: أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ص 33.

للتدريس وازدحم عليه الخلق وأعيان الطلبة، بل تتلمذ عليه قضاة مراكش أنفسهم ([1]).

محمد بن محمود أبي بكر الونكري التنبكتي المتوفى990هـ/1583م عرف بلسم بيغيوغو ، واعتبره الدكتور زبادية حجة الإسلام في السودان حيث طارت شهرته في أنحاء العالم الإسلامي وقال عنه أحمد بابا " كان طويل الروح في التعليم لا يأنف من مبتدئ ولا من بليد، أفنى فيه عمره مع تشبثه بحوائج العامة وأمور القضاء، وقد أدركته أنا يقرئ من صلاة الصبح أولى وقته إلى الضحى الكبير دولاً مختلفة، ثم يقوم لبيته من حيث يقرأ إلى وقت الزوال ثم يصلى الظهر بالناس ويدرس إلى العصر ، وإذا صلى المغرب درس في الجامع إلى العشاء ثم رجع لبيته، وكان مع ذلك محققاً ذكياً فطناً غواصاً على اللطائف ([2]).

تعلم علوم اللغة العربية وعلوم القرآن على يد والده القاضي محمود في تنبكت، ثم هاجر إلى مصر حيث حضر مجالس العلم والعلماء بها على كل من الناصر اللقاني، والتاجوري، ومحمد البكري.وبعد أداء فريضة الحج رجع إلى تنبكت لتدريس الفقه والحديث والبيان والمنطق.

عبد الرحمن السعدي:ولد في عام 1004هـ/1596م بتنبكت من أسرة سودانية ارستقراطية ومن مواطني تنبكت وهو عبد الرحمن بن عمران السعدي، وقد

---

(1) مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ص 343.

(2)احمد بابا التنبكتي،المصدر السابق، ص ص 343 - 344.

اهتم بالتاريخ ويظهر من كتابه أنه كان يدون ما يسمعه أو يراه وقد أخذ كثيراً عن الذيل لأحمد بابا وكذلك عن محمود كعت وكتب في مقدمة كتابه: "ولما رأيت انقراض ذلك العلم ودروسه، وذهاب ديناره وفلوسه وأنه كبير الفوائد كثير الفوائد لما فيه من معرفة المرء بأخبار وطنه وأسلافه وطبقاتهم وتواريخهم ووفياتهم، فاستعنت بالله سبحانه في كتب ما رويت عن ذكر ملوك أهل صنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم، وغزواتهم وذكر تبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك وذكر بعض العلماء والصالحين الذين توطنوا فيها وغير ذلك إلى آخر الدولة الأحمدية الهاشمية العباسية سلطان مدينة حمراء مراكش فأقول وبالله تعالى استعين وهو حسبي ونعم الوكيل: الباب الأول: ذكر ملوك صنغي"([1])، توفي السعدي عام 1065هـ/1655م.

محمود كعت التبكتي: ت 1001هـ/1593م كما يقول في كتابه" تاريخ الفتاش من أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار، انه محمود كعت الكرمنى داراً" التبكتي مسكناً الوهكرى أصلاً ([2]) وقد عاصر السلطان اسكيا محمد الحاج ابن أبى بكر الطوارى أعظم أباطرة صنغي الإسلامية وصحبه في الحج إلى مكة وجعله من بين مستشاريه، وتوفي وهو ابن خمسين عاماً، وقد عاصر الأزمات السياسية التي سبقت الغزو المغربي لبلاد السودان وركز في كتابه على كل ما كان يدور في بلاد الاسكيا وقد اطلع على المراسلات التي دارت بين السلاطين السوداني والمغربي.

---

(1) أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، المقدمة.

(2) السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران، تاريخ السودان، ص 215.

وتاريخ الفتاش ليس مقسماً أو مبوباً إلى أبواب وفصول أو أحداث حسب السنين أو ترتيب الشخصيات بل مكتوب دفعه واحدة بدون فقرات أو مواقف مع الكثير من الاستطراد خاصة في التاريخ الإسلامي عامة، كما أنه لم يفصل الأحداث بل جعلها متداخلة، وقد ذكر في مقدمة كتابه التي يرى البعض أنه لم يقم بكتابتها بل كتبها شخص آخر ذكر الغرض من وضع كتابه حيث قال:" ... وبعد، فلما كان ذكر قصص الأنبياء والسلاطين والملوك وأكابر البلدان من عادة الحكماء والعلماء الأعيان اتخاذاً بسنة القرآن وتذكيراً لما غير من الزمان ورداً للغبن عن الحيف والهوان وعونا للتقي على مساعدة الأخوان ومن الله علينا بأن اظهر لنا في زماننا هذا الإمام الصالح الخليفة العادل والسلطان الغالب والمنصور القائم اسكيا الحاج بن أبي بكر التردي أصلاً الكوكوي داراً ومسكناً فأنار لنا الهدى بعد ظلم الدجى وأحاط عنا الهدى بعد الجبن والردى ...أردت أن نجمع من أحواله فلنطوان مع ذلك ش يء عال المعلون ما سهل على اليد واللسان على الله سبحانه التكلان ، وسميته تاريخ الفتاشفي أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار (1).

وإذا انتقلنا إلى القرن التاسع عشر الميلادي؛ نجد أن إسهام علماء السودان الغربي قد بلغ ذروته من حيث التأليف والتدريس، والجهاد لإعلاء كلمة الله، نجد من بين هؤلاء:

---

(1) محمود كعت، تاريخ الفتاش،ص 9.

عثمان بن محمد فودي([1]):ابن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن جبو بن محمد بن ثنبو بن ماسران بن أيوب بن بابا بن موسى جكلو، من مواليد 1167هـ/1754م بقرية مرت من أعمال غوبر شمال نيجيريا حاليا([2])، هاجرت قبيلته إلى بلاد الهوسا من فوتا تور والتي تقع على نهر السنغال،بلغ إسهام الأفارقة ذروته من حيث التأليف والتدريس، والجهاد لإعلاء كلمة الله في غرب إفريقيا، ففي مجال التأليف نجد أن مؤلفات الشيخ عثمان بن فوديو قد تصل إلى مائة مؤلف، ما بين كتاب ومقالة، ومن أشهرها كتاب (إحياء السنّة وإخماد البدعة) ، وكتاب (تحذير أهل الإيمان من التشبه بأهل الكفر والعصيان)، وكتاب (بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان نصب الإمام وإقامة الجهاد)، وكتاب(بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية)، وكتاب (نجم الإخوان)([3]).

ومنهم الشيخ عبد القادر كن (1140هـ-1728/1225م- 1810) مؤسس الدولة الإمامية في حوض السنغال، وكان للشيخ عبد القادر كن دور كبير في إنعاش الثقافة الإسلامية ونشرها في منطقة فوتا تورو .كان أول عمل قام به لإصلاح وإنعاش الحركة الثقافية؛ أن أقدم على بناء أربعين مسجداً جامعاً في طول البلاد وعرضها، وعين في كل مسجد إماماً راتباً ، ويتولى القضاء في

(1)فودي تعني بلغة الفلانيين الفقيه، أحمد محمد كاني، الجهاد في غرب إفريقيا، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1407هـ - 1987م، ص59.

(2) عبد الله آدم الألوري، الإسلام في نيجيريا، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1978، ص 133.

(3) زين العابدين عبد الحميد السراج، أبرز مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي والقضايا التي تناولتها، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية، 1995م، ص ص 373-377-379-381.

الوقت نفسه، وفي كل مسجد حلقات لدراسة القرآن الكريم والدين واللغويات... ولقد شجع العلماء ،وأولى العلم بالاهتمام([1])، وتعهد بنمو الحركة الثقافية في منطقة فوتا تورو وما جاورها ، حتى وصلت بلاد فوتا في عهده إلى مستوى انتزع فيه قيادة الحركة الثقافية الإسلامية من حوض النيجر ، وقد استمرت الدولة الإمامية في عطائها الثقافي حتى جاء الاستعمار الفرنسي وقضى عليها.

وكذلك كان لقبائل كنته العربية والتي منها شيخنا، الشيخ باي بن عمر صاحب النوازل([2])، في صحراء مالي والنيجر دور مهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية في الصحراء وما جاورها ، وذلك على يدي الشيخ سيدي المختار الكبير ([3])(1141هـ 1226/ 1729م - 1811) وذريته من بعده ، وكانت خيام الشيخ المنتقلة في الصحراء قبلة لطلاب العلم يتوافدون عليها من جميع أنحاء الصحراء لينهلوا من معينه الذي لا ينضب.وللشيخ سيدي المختار الكبير مؤلفات علمية كثيرة في الفنون الشرعية واللغوية ، حتى قيل إنه ألف من الكتب عدداً يساوي سني حياته أربع وثمانون سنة ، في حين ينسب له آخرون312مؤلفاً([4]). ومن مؤلفاته: (تفسير البسملة) ، و (فتح الورود في

---

(1) أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق ص 218.

(2) الشيخ باي بن عمر، صاحب مخطوط النوازل.

(3) الشيخ سيدي المختار بن احمد بن أبي بكر الكنتي ، ثم الوافي رحمهم الله تعالى عالم عابد زاهد يأتيه المريدون من كل فج ومكان ، كان رحمه الله شاعرا مفلقا في سائر ضروب الشعر، جمع في مجلد. ينظر محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ص 152.

(4) بول مارتي، من عرب مالي والنيجر، تعريب محمد محمود ولد دادا، دمشق د ت، ص 5.

شرح المقصود والممدود لابن مالك) ، و (هداية الطلاب)وهو مختصر في الفقه، و(نزهة الراوي وبغية الحاوي)، و(الشموس المحمدية) في التوحيد، و(الرسالة) في علم التصوف، و(يتيمة الليالي في إقحام علماء تنيالي)، غير ذلك.

ومنهم الشيخ المحدث الحافظ صالح بن محمد الفلاني وهو من العلماء الأفارقة الذين اشتهروا في خارج القارة ، لأن إسهاماتهم الثقافية كانت في خارجها، ولد الشيخ صالح الفلاني بإقليم فوتاجالو- غينيا - عام 1166هـ/1753م، ونشأ بها وأخ ذ العلم من علمائها ، ثم ارتحل لطلب العلم وعمره اثني عشر عاماً، فدخل مدينة تنبكت ومكث فيها سنة ، ثم ارتحل إلى الصحراء فمكث عند الشيخ محمد بن سنة عالم الصحراء في وقته ، ومكث عنده ست سنوات ، ثم ارتحل إلى المغرب ، ودخل مراكش ومكث بها ستة أشهر، ثم ارتحل إلى تونس وأخذ من علمائها([1]).

وقد كانت تتبادل المسائل والفتاوى بين العلماء من ذلك ماكتبه الشيخ باي بن عمر إلى أحد العلماء يسمى بكة، جاء فيه: يعود أسنى السلام من محمد عمر عرف بباي بن عمر إلى أخيه وحبيبه بكة، وبعد فإنا بخير وعافية نحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، ولتعلم أن جميع ما ذكرت في الكتب من الحكم والفوائد الحديثية والفقهية كله صحيح حسن مليح ([2]).

---

(1) الكتاني عبد الحي بن عبد الكريم، فهرس الفهارس ، بيروت دار الغرب الإسلامي، د ت، ص 901.

(2) باي بن عمر،مخطوط النوازل. ورقة رقم 27.

ب-فئة التجار:

تعتبر فئة التجار ثاني فئة في المجتمع السوداني الغربي، وهذه الفئة عتيدة فبعد أن وحد المرابطون بين أقاليم المغرب وبين الصحراء وغانة جنوبا والأندلس شمالا أدى هذا إلى فتح أسواق جديدة وعديدة للتاجر المغربي، خاصة وأن اهتمام المرابطين كان بتأمين شبكة الطرق التي تربط بين أجزاء مملكتهم بحيث تتوافر فيها سبل حماية قوافل التجار وراحلاتهم خاصة المحملة بالذهب والرقيق ([1])، وكانت تجارة الملح والذهب هي التجارة الرائجة وقد برع فيها التجار المغاربة فكانوا يحملون الملح الذائب إلى غانة من مسوفة وسلى وتكرور وبريس ([2])،ويبيعونه في أسواق غانة حتى يشتد الإقبال عليه من تجار المناطق المجاورة في ونقارة التي يقول كعت أن أصلهم من المغرب ([3])،وكان أكثر أهل المغرب دخولا لونقارة هم تجار ورجلان ([4]).

أما أكثر المناطق انتعاشا اقتصاديا وتجاريا فكانت غانة لشساعة مساحتها، يصفها الإدريسي بأنها " أكبر البلاد السودانية قطرا وأوسعها متجرا وإليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة ومن سائر بلاد المغرب الأقصى" ([5]).

---

(1) عبلة محمد سلطان لطيف، العناصر المغربية في السودان الغربي ودورها السياسي منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغي،القاهرة، الإفريقية الدولية للنشر والتوزيع، 2003، ص 190.

(2) البكري أبو عبيد، المغرب في بلاد إفريقية والمغرب، ص 168.

(3) كعت محمود، تاريخ الفتاش، ج1، ص17.

(4) الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس الحموي، نزهة المشتاق ج1 ص 24.

(5)الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص23.

ثم انتقل التجار إلى تنبكت التي أخذ شأنها يرتفع وكما قال السعدي جاءت عمارة تنبكت خرابا بير ([1])،فقد تركها جميع التجار وقد كانوا من أهل أوجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة ([2]) وتفلالة وسوس وبيط فانتقل الجميع إلى تنبكت قال السعدي:" أخذ الناس يسكنون فيه ويزدادون بقدرة الله تعالى وإرادته في العمارة ويأتيه الناس من كل مكان ووجهة حتى صار سوقا للتجارة" ([3])، أما في جني ([4]) فقد أقام كثير من تجار مسوفة ومن بيط والذين يرجع إليهم الفضل في جعلها مركزا مهما من مراكز تجارة الذهب والملح ([5]) كما وصفها السعدي بأنها سوق عظيم من أسواق المسلمين.

---

(1) بير هي ولاتة أو ولاتنفي بعض المصادر، وهي التي أنشأها التجار المغاربة بعد زوال مملكة غانة.ينظر السعدي، تاريخ السودان، ص21.

(2)درعة: وتعرف درعة بواديها فإنه نهر كبير يجري من المشرق إلى المغرب ومنبعه من جبل درن، وعليه عمارة متصلة نحو سبعة أيام وفيه أسواق كثيرة، وعليه الجنات الكبيرة فيها جميع الفواكه من النخل والزيتون وغيرها. والحناء بدرعة كثيرة ومنها تجلب إلى جميع البلاد لطيبها، وبوادي درعة شجر التاكوت وهو شجر يشبه الطرفاء وبه يدبغ الجلد الغدامسي. ينظر مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ص 206 - 207.

(3) السعدي ، تاريخ السودان، ص21.

(4)جني إحدى مدن السودان الغربي تقع على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تمبكت، وتقع على الضفة اليسرى لنهر بني، أحد روافد نهر النيجر، وتقوم على هضبة صخرية، وسط سهل فسيح تغطيه المياه في الخريف. دائرة المعارف .مادة جني ، بقلم يفر.
وهذا التحصين الطبيعي أ عطى لها الأمن وسهولة الدفاع عنها، مما جعلها مرغوبة عند العلماء والتجار، ينظر.M W.Sharif, Islamin Africa. Lahoor.1964

(5) السعدي، تاريخ السودان، ص ص 11 - 12.

وقد تمتعت فئة التجار الذين أقاموا في السودان الغربي بثراء عظيم في كل المدن التي نزلوها. ففي غانة كان أثرياء التجار من المغرب الأقصى ([1])، وفي ونقارة كان أكثر التجار شراء للذهب هم من تجار ورجلان ([2]).يقول السعدي عن تجار جني:" وجد الناس بركتها في التجارة فانتقلوا إليها وجمعوا فيها من الأموال ما لا يحصيه إلا الله تعالى"([3]). وكان هذا النجاح في إعمار المدن والثراء في جمع المال وإنعاش السوق السودانية وتطورها إلى حد كبير يعود إلى العديد من الأسباب لعل أهمها:

تشجيع الحكام التجار بالإتجار في هذه المناطق، وفتح الدروب لهذه المملكات لتعبرها، والتجارات دون فرض قيد أو أي نوع من أنواع الضرائب أو المكوس، يقول ابن أبي الزرع عن يوسف بن تاشفين:" لم يوجد في بلد من بلاده ولا في عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونة ولا خراج في حاضرة ولا بادية" ([4]).

وعلى مدى السنين والعهود من ملوك السودان الغربي، لقي هؤلاء التجار كل عناية، بل وحظوا بامتيازات كبيرة، فأصبحوا من ذوي الجاه والقرب من

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 6.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص8.

(3) السعدي، المصدر السابق، ص12.

(4) ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، ص137.

السلاطين والملوك. يذكر مارمول أن نائب السلطان أسكيا محمد على تنبكت زوج ابنتيه لتاجرين بسبب ثرائهما([1]).

كما كان تأثير التجار تجاوز الحكام إلى العامة، فلئن كان ثراء التجار المغاربة نقدا، فخاصة المجتمع السوداني كان ثراؤهما أصوليا أي ضياعا وعقارات([2]).ولقد كان لهؤلاء التجار على مر السنين وتوالي الأزمان دور كبير في نشر الدعوة الإسلامية في السودان الغربي بعملهم التجاري، فهناك أماكن دخلها الفاتحون المسلمون، وهناك أماكن أخرى نشر التجار فيها الدعوة الإسلامية. ومن أمثلة هؤلاء من ذكرهم الإدريسي، حيث قال عن أهل ورجلان:" أنهم تجار مياسير، يتجولون في السودان إلى بلاد غانة ونقارة ...وهم وهبية إباضية نكار وخوارج..." ([3]).

كما ذكر القزويني أن الفقهاء الذين يجوبون السودان لا يمتنعون عن إلقاء الدروس، لكنهم يستعينون على الحياة بالتجارة([4])، وكانت مهمة التجارة أكثر الوسائل التي توثق الصلة بأولئك الذين يراد تحويلهم إلى الإسلام. فطبيعة عملهم هو التجول في البلاد والتوغل في الأعماق للحصول على السلع كالذهب والملح، فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلى المناطق البعيدة ([5]).

---

(1) مارمول، إفريقيا، ج2، ص202.

(2) عبد القادر زبادية، مملكة صنغي، ص ص 118- 119.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص50.

(4) القزويني، آثار البلاد، ص57.

(5) عبلة محمد سلطان لطيف، المرجع السابق، ص123.

لقد نشط مجموعة من التجار عند استقرارهم في المراكز التجارية المنتشرة عن طريق القوافل في ممارسة شعائرهم الدينية، فنقلها عنهم السودانيون خاصة في المناطق العميقة في السودان الغربي، الذين لجأوا إلى هؤلاء التجار ليتعلموا منهم بعض أحكام الشرع الحنيف([1]).وكما كان لملوك وحكام السودان الغربي دور في تشجيع التجارة في بلادهم، كان لهم دورا بارزا أيضا في تشجيع هؤلاء التجار في ممارسة شعائرهم التي تناقلها عنهم السكان فيما بعد، فها هو ملك غانة الذي كان وثنيا يسمح للمسلمين في الإقامة في مملكته، وترك لهم حرية العبادة، وبناء المساجد، واتخاذ رجال دين وعلم، بل إنه جعل بجوار قصر الحكم مسجدا حتى يلحق المسلمون الذين هم بضيافته بصلاتهم في موعدها ([2]).

ج- فئة العامة:

في مجتمع الصنغي كانت طبقة العامة تتكون من صغار التجار، والصناع، والحرفيين، ومن يشتغلون في مجال الزراعة، والعبيد. أما ثلث طبقة العامة في المجتمع السوداني في شغلها بالكامل العبيد والأقنان، الذين كانوا يشكلون طبقة الإنتاج الأولى في مجتمع السودان الغربي([3])، وكانت طبقة العامة أكثر الطبقات عددا وأقلها اعتبارا في المجتمع.

---

(1) الورجلاني أبي زكريا يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم،تح عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، 1985، ص54.

(2) البكري، المغرب. ص 176.

(3) عبد القادر زبادية، مملكة صنغي. ص 124.

د- صغـــارالتجار:

كان التجار الأجانب عندما يصلون إلى أسواق صنغي يتركون بضاعتهم في مكان عام ويقوم السودانيون بحراستها، وينزلون في ضيافة أحد التجار الأجانب المقيمين، والذي يرتب الصلة بينهم وبين صغار التجار من المحليين، الذين عملوا كوسطاء ووكلاء تجاريين([1]). ومن هنا ظهر دور الوسيط الذي كان له علاقات مع المنتجين والحرفيين المحليين، وكان دوره يتلخص في تجميع السلع وعرضها على التجار.

هـ- أصحاب الحرف:

إن جماعة الحرفيين المتميزة في السودان الغربي تشكلت في الأصل من الشرائح الحرفية الأكثر مهارة من بين الأسرى مثل الحدادين والنساجين وصانعي الجلود لاسيما وأن الدولة في مجملها اعتمدت بشكل كبير على عمل الرقيق الذين زاد عددهم مع كثرة الأسرى كنتيجة للغزوات والحروب المستمرة، وقد تمت الإستفادة منهم في مجالات شتى حيث استخدم أبناؤها في الأسواق وجند بعضهم في الجيش وعمل بعضهم في مناجم الملح في الصحراء ([2])، يذكر الوزان أنه شاهد في تنبكت دكاكين كثيرة للصناع والتجار ([3])، كان من بين

---

(1)أحمد فؤاد بلبع، عبد الرحمان السعدي، عصره وكتابه " تاريخ السودان" المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 1973م، المجلد العشرون، ص89.

(2)Oliver, Roland et Atmore, Anthony, Medieval Africa 1250 -1800 Cambridge, university press united Kingdom 2001, p 99.

(3)الوزان، وصف إفريقيا، ص 165

هؤلاء الحرفيين الحدادون ، فقد شكلوا في صنغي أهم شريحة بين شرائح الحرفيين حيث تمتعوا بوضع متميز نسبيا ([1])، وقد أشار كعت إلى بعض القبائل التي عملت في حرفة الحدادة، فيذكر أن أسكيا محمد الأول عندما انتصر على سني باور، ورث أربعة وعشرون قبيلة دخلوا جميعا في ملك أسكيا محمد، الذي استفاد من هذه القبائل فعمل بعضها في الحدادة، وفرضت عليهم ضريبة يؤدونها للدولة في شكل أدوات مصنعة ([2]).

و- البناءون:

لعبوا دورا كبيرا في تطور السودان الغربي خاصة في الجانب العمراني، يذكر كعت أن أسكيا محمد بعد أن أتم في الحكم سنتين وخمسة أشهر قام بفتح مدينة (زاغ) وأخذ منها خمسمائة بناء. إن وجود هذه الأعداد من البنائين ضرورية لعمران تلك المدن ([3]).

ز- الخياطون والنساجون:

من بين شرائح العامة بحكم وضعيته الاقتصادية فقد شاهد ابن بطوطة أثناء زيارته لدولة مالي، داخل أحد الأشجار حائكا نصب بها مرته وهو ينسج ([4])، واستر وجود الخياطين في عهد دولة صنغي، وقد شاهد الوزان أثناء زيارته

---

(1)Laviolette, andria.Op.Cit.p 6

(2) كعت، تاريخ الفتاش، ص ص55-57. مادهو بانيكار، المرجع السابق، ص418.

(3)كعت، تاريخ الفتاش، ص 61-62.

(4)ابن بطوطة ، تحفة النظار، ج4، ص 247.

لتنبكت دكاكين الخياطين والنساجين ([1])، ولم يرد في فتاوى الشيخ باي عنهم شيئا.

ح- الصيــادون:

كانت تنبكت بلد الصيد، بل وكان صيد السمك من الحرف الرئيسية بها ([2])كما احترف بعض العامة صيد الحيوانات البرية مثل الفيلة، حيث كانت توجد بكثرة في الغابات الكثيفة في جنوب صنغي، فكانوا يقومون بقتلها بالسهام، ويستفيدون من لحومها، ويبيعون أنيابها للتجار العرب، كما كان البعض يصطاد الزرافات الصغيرة دون الكبيرة نتيجة لهروبها، وكانوا يستخدمون جلودها في الزينة ([3]).

طـ الحـمالون:

إضافةإلىالحماليناالذينكانوا يحملون البضائعثمينقلونهابالقوارب عبرنهرالنيجر([4]). كماكانهناكالحمالون الذين يحملون ألواح الملح من معدن تغازة ([5]) في

---

(1)الوزان، وصف إفريقيا، ص 165-166.

(2)كعت، المصدر السابق، ص 57.

(3)جميلة امحمد التكيتك، مملكة صنغي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين، ط1، 1984، ص 106.

(4) Mcintosh.Susan Keech.Op.Cit. pp 12-13.

(5)تغازة: تقع في جنوب المغرب الأقصى بقرب المحيط الأطلسي، على الطريق الرئيسي للقوافل بين المغرب وتنبكت، وأغلب سكانها من مسوفة، وتعتبر المصدر الرئيسي لمعدن الملح. ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 674.

ظروف قاسية ([1])، وعمل بعض الطوارقفي حمل الملح على جمالهم من معدن تغازة إلى صنغي جنوبا، وقتل عدد منهم على أيدي المغاربة في عهد الأسكيا داوود أثناء الصراع بين المغرب وصنغي على مناجم الملح، حيث قتل عدد كبير من حمالي الملح من الطوارق بأمر من السلطان السعدي مولاي أحمد، وهرب عدد منهم إلى صنغي ([2]).

ي- العـــبيد:

يمكنبوجهعامتقسيمالرقيقإلىأربعفئات،فيالقمةيأتيالرقيقفيبيتالإمبراطوروبيوت عليةالقوم،وهؤلاءلايديرونأملاكسيدهمفقط،بليستطيعونأنيصبحواضباطا،وأنيما رسوانفوذاقويا فيالجيش.ويليهمرقيقالجيلالثانيالذينيتمتعونببعضالحقوقولايمكنبيعهم.وإلىالفئةالثال ثةينتميالرقيقالذينيحترفونالمهن.وأخيرايأتيالرقيقالذينيفلحونالأرضأويعملونفيالمن اجم([3]). ولسادتهم عقابهم في حالة التفحش، فقد ورد على الشيخ باي سؤال فحواه ما يلي"ما حكم إقامة الحدود على العبيد في هذا الزمن لأنهم يهربون إن ضربوا إلى الطاغية هل ذلك يسقطها عن سادتهم" ([4]).

---

(1)Cline. Eric. And Takacs, Sarlota. The Ancient Word. Vol 1, Civilizations Of Africa. Sharpe Reference, Malysia, 2007, p 86.

(2)السعدي، المصدر السابق، ص 106. عبد القادر زبادية، مملكة صنغي في عهد الأسيقيين 1493هـ 1591م، ص 46.

(3) مادهوبانكار، الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غربي إفريقيا ، تر أحمد فؤاد بلبع، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1995، ص478.

(4) بايينعمر،مخطوطالنوازل.ورقة653.

كان أغلب العبيد يباعون في أسواق مخصصة لهم، يذكر الوزان أن سوق كاغ (جاو) ([1]) به ساحة يباع فيها أيام السوق عددا لا يحصى من الرقيق ذكورا وإناثا ([2])، وكانت فئة الرقيق من الفئات التي قامت بدور هام في مجتمع السودان الغربي، حيث يذكر لنا الشيخ باي بن عمر في نوازلهوجود هذه الفئة بكثرة في المجتمع والأدوار التي تلعبها،فقد تبوأ بعضهم مكانة رفيعة في المجتمع، وصار باستطاعة الرقيق الارتقاء إلى أرفع المناصب في الدولة وكان مثل هذا الفعل شائع عند مجتمعات السودان الغربي خاصة في حالة الخلافات بين الأسرة الحاكمة، فكانت الكيانات السياسية تعتمد على الرقيق لسببين:

أولهما: أن الرقيق لا ولاء له إلا لمن ملكه

ثانيهما:أن عمل الرقيق في المناصب العليا أفسح الطريق للموهبة والكفاءة فحسب ([3]).

---

(1)تقع مدينة جاو (كاغ) (غاو) إلى الشمال من العاصمة باماكو بجمهورية مالي، كانت خاضعة لسيطرة مالي إبان عصور ازدهارها وتوسعها في منطقة السودان الغربي، كان السلطان منسى موسى قد قام ببناء مسجد إثر عودته من أداء فريضة الحج عام 1325م . ثم أصبحت جاو العاصمة السياسية لإمبراطورية صنغي، ومركزا من مراكز التجارة للسودان الغربي. عبد الفتاح الغني، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، القاهرة، كتبة نهضة الشروق، د ت، ص 144. الهادي الدالي، التاريخ السياسي، ص ص 309-310.

(2) كعت، المصدر السابق. ص 169.

(3) مادهو بانيكار، المرجع السابق. ص 387.

لقد كان وصول بعض العبيد إلى مناصب عليا في الدولة أمر شائع لدى مجتمعات السودان الغربي، فكلما أنس السلطان في عبد من عبيده الكفاءة على عمل من الأعمال أعطاه له وكان معظمهم أمناء سر وكتاب في القصر، وكانت لهم وحدهم إدارة الأملاك الخاصة بالسلطان ولم يسند السلاطين الأعمال الخاصة بالقصر لغير عبيدهم المخلصين وهذا ما يصرح كعت والسعدي ([1]) وكمثال على ذلك أن علي فلن الذي كان عبدا للأسكيا محمد الأول أصبح من أمناء سره المقربين لإخلاصه له ([2]).

في مجتمع الهوسا كانت طبقة العبيد والخدم هي الطبقة الكادحة التي تشتغل في البيوت فهي أداة بناء لا تملك رأيا ولا صوتا في الدولة ([3])، وهم على نوعين أصحاب الحرف والمهن الموروثة، وهم الحدادون والدباغون والنحاتون والجزارون والنساجون. وأصحاب حرف الغناء والمدح وعازفي القيثارات والآلات الموسيقية الأخرى، ويعرفون بأسماء مختلفة ([4]). كان من بينهم من يمدح الأبطال في ساحات المعارك، فيمجدهم ويثني عليهم قبل القتال وبعده، إذ يعتبر الحافز الذي يشجع المقاتلون على خوض المعارك ضد

---

(1) محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، ص ص 75 - 150. السعدي، ملوك السودان أهل صنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، باريس، نشر هوداس، مطبعة أنجي، 1898، ص ص 11- 117.

(2) السعدي، المصدر نفسه14 ص 148.

(3) الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا ص 203.

(4) عثمان برايماباري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ،القاهرة، دار الأمين ، 2000، ص 243.

الأعداء ([1]).وفي بعض الأحيان كانوا عرضة للتمييز، فيتركون من دون تعليم ولا رعاية ([2]).ومنالأمور المحدثة أن كثيرا منالعبيد بعد دخولالاستعمار تركوا سادتهم ولتحقوا بالإدارةالفرنسية كعمال ([3]).

2- الزواج ونظام الأسرة:

تعتبر الأسرة اللبنة الأولى لبناء المجتمع، ولها الدور المحوري في الحياة الاجتماعية. فكيف كان يتم بناء الأسرة في السودان الغربي كونه مجتمعا قبليا من جهة ومسلما من جهة أخرى؟

ا-الزواج:

يعتبر الزواجأول ركن من أركان قيام الأسرة في أي مجتمع من المجتمعات، وقد اختلفت عادات الزواج في السودان الغربي من منطقة إلى أخرى ومن فترة إلى أخرى، ولم يكن الزواج محدد بسن معينة، خاصة بالنسبة للبنت التي كانت تتزوج صغيرة، وأحيانا أقل من عشر سنين، وكان الزواج أثناء الطفولة أمرا شائعا بين الكثير من القبائل، حتى أن البنت قد تطلق قبل الدخول بها لمانع الصغر ([4])، كما كان بعض الرجال يتزوجون وهم صبية ([5]). ولا يشترط قبول الفتاة حتى يتم الزواج،لأنه قد يتم حتى دون

---

(1) الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 20

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 754-755.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 527.

(4) المصدر نفسه. ورقة 325.

(5) المصدر نفسه. ورقة 345.

علمها، فضلا عن علمها أو عدمه، وقد يحدث ذلك حتى مع المرأة الثيب فتطلب فسخ ذلك العقد ([1])، وإذا كان بعض النسوة يرفضن الزواج وحامت حولهن الريبة فإن أهلهن وذويهن يجبرنهن على الزواج، حتى لا يبقين دون زوج ([2]).

ففي حال حرية اختيار الزوجلزوجته لابد منالتفرقة بين الحالتين: الأولى: حالة الفتى الذي ما زال يعيش في كنف أبيه خاضعا لسلطته. والثانية: حالة الرجل الذي سبق له الزواج واستقل عن أبيه ويرغب في الزواج ثانية ([3]).

فبالنسبة للفتى الذي يتزوج للمرة الأولى نجد تفاوتا بين القبائل فيما يتعلق بمدى الحرية التي يتمتع بها في اختيار عروسه.

فمن القبائل ما تقر تقاليده للابن بالحق في أن تكون ميوله ورغباته موضع اعتبار بحيث لا يجوز تزويجه من فتاة ينفر منها أو لا يميل إليها، فهذه القبائل لا تعترف للأب بحق الجبر بالنسبة لزواج ابنه.

ومن القبائل ما يجعل على النقيض من ذلك، أمر زواج الابن بين يدي أبيه كلية، بحيث يتولى الأب اختيار الفتاة التي يراها مناسبة لابنه، وعلى الابن أن يرضخ لإرادة أبيه ويرضى باختياره، حتى ولو كان في قرارة نفسهغير ميال إلى الفتاة التي اختيرت من أجله. وإرادة الأب في هذه القبائل وفي أغلب

---

(1)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 331.

(2) المصدر نفسه، ورقة 338.

(3)محمد سالم زناتي، الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقية، ص49.

القبائل هي وحدها اللازمة لانعقاد الزواج، أما إرادة الابن فلا وزن لها ولا حاجة إليها ([1])..

فلدى التسوانا مثلا كان الوالدان يرتبان أمر زواج ابنهما ثم يخبرانه بأنهما قد عثرا له على زوجة قد لا يكون رآها من قبل، و لم يكن من حق الأبناء اختيار زوجاتهم وكانوا ملزمين بالخضوع لرغبات آبائهم([2]).

ولدى الكمبا كثيرا ما يقال أن زوجة الرجل ليست زوجته وإنما زوجة أبيه تعبيرا عن دور الأب في اختيارها([3]).

ولدى البمبارا ينعقد الزواج بموافقة رب أسرة الفتى ورب أسرة الفتاة. أما موافقة الزوجين المقبلين على الزواج فليست لازمة على الإطلاق([4]).

ولدى المندي كان ينظر إلى الزواج قديما بوصفه عقدا بين الأقارب من الجانبين. أما الرجل والمرأة نفساهما فكانا طرفيين عرضيين ([5]).

وفي بعض المجتمعات المحافظة كمجتمع الأزواد، كان ينظر إلى المرأة على أنها شرف الأسرة والقبيلة والاعتداء عليها جرم خطير عواقبه وخيمة. وقدأوصى الشيخ المختار في قصيدة له بصون البنات والمحافظة عليهن،

---

(1)محمد سالم زناتي، الإسلام والتقاليد القبلية في افريقية .ص 49-50.

(2)المرجع نفسه، ص50.

(3)المرجع نفسه، ص 50

(4) المرجع نفسه، ص 50

(5) المرجع نفسه، ص 50.

وتزويجهن في حالة مجيء الزوج الكفء، صاحب الخلق والدين، كما يدعو لعدم غلاء المهور، جاء في القصيدة:

بناتـك صن تكـن ندبا كريـما على العلات مصطبرا شكورا

وأن يخطب الكفء إليك زوج فـهي الميـت حفت بـالنـسور

وسـدد في الصـداق ولا تكـثر فإن اليـمين فـي نزر المـهور

وذات الديـن فاختـرها تـوفـر وحاول بيت صالحة الحجور([1]).

كما كانت جماعة المسلمين تتولى تزويج من غاب والدها وكانت في كفالة أمها، ذكر ذلك الشيخ باي في نوازله([2]).

ب-**الخطبة:**

هي أولى مراحل بناء الأسرة، ففي مدينة جني كانت طقوس الزواج تبدأ بأن يخطب الرجل الفتاة من وليها أو من ينوب عنها ويقدم العريس إلى عروسه صداقا يختلف من شخص لآخر حسب القدرة المادية لكل شخص، وكان مهر العروس بالنسبة للطبقة الميسورة الحال عادة ما يكون من ستة إلى سبعة من الإبل مع أشياء أخرى مصاحبة للمهر متمثلة في ملابس وحلي

---

(1)جعفري مبارك، المرجع السابق. ص 171.

(2) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 335.

وعطر للعروس، أما الطبقة المعسرة فإن مهر الفتاة كان عبارة عن رأسين من الماعز ونحوه ([1]).

وتتم الخطبة في بعض الأحيان وفق شروط معينة لأحد الزوجين أو كليهما، كأن تشترط الزوجة على زوجها أن طلاقها معقود في رأي الشهود إياه في بيت ضرتها ([2])، أو أن لا يخرج بها من بلدها الذي تسكنه أو من حيها وعشيرتها ([3])،أو عدم الضرر بها، أوألا يضربها ومتى ضربها فهي طالق ([4])، لكن رغم ذلك انتشرت ظاهرة ضرب الأزواج لنسائهن وكثر التطليق لأجل ذلك ([5])، ونتيجة لذلك زاد تمادي نساء هذه الزمان في الغي بسبب ضرب أزواجهن لهن ([6]).أو هي طالق إن رجع إلى زوجته الأولى([7])، أو أن يكون أمرها بيدها ([8]).وفي بعض الأحيان تلجأ المرأة إلى رد الصداق الذي

---

(1) الغلاوي مصطفى بن احمد، العمل المشكور في جمع نوازل التكرور،مخطوطة بمعهد أحمد بابا التنبكتي، مدينة تنبكت مالي، ج1، ورقة 100-101.

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 325.

(3)المصدر نفسه. ورقة 335.

(4) المصدر نفسه. ورقة 420

(5)المصدر نفسه. ورقة 379.

(6) المصدر نفسه. ورقة 388.

(7)المصدر نفسه. ورقة 421

(8)المصدر نفسه. ورقة 343-344.

أخذته إلى زوجها إذا أرادت أن تطلق ([1]). ومن المظاهر السلبية استرسال العوام في أخذ أموال نسائهم بغير وجه حق، وكثرة حيلهم ([2]).

كان يتم تجهيز العروس ببعض الأبقار والجمال بحسب مقدرة أهلها، وذلك بعد أن يدفع الزوج الصداق، وقد ضمت عقود الزواج بعض الشروط، منها أن الزوج لا يحق له أن يتزوج بأخرى، والجمع فيها نادر. وقد أورد لنا الشيخ باي في نوازله ما يتعلق بهذه الفكرة حيث جاءه سؤال عمن خطب امرأة وهي تعلم أن عنده سرية وامتنعت من النكاح إلا أن يعتقها، فأجاب أما المخطوبة التي امتنعت من التزويج إلا بعتق السرية، وقال أنها أعتقت في الشهر الماضي فهي حرة كما قال، ولا يقبل منه نية الإخبار، لأن النية لها لا له، قلت ولا فرق بين العتق والطلاق ([3]).

كما كثرت الأسئلة المتعلقة بالزواج على الزوجة الأولى وأن هذا ليس من عادة البلاد في فتاوى السابقين للشيخ باي، وفتاوى الشيخ باي أيضا لأهمية هذه القضية
([4]).وقدكانالصداقفيكثيرمنتلكالبلادمجهولاوالمذكورليسهوالمقصود ([5])، وفي

(1) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 414.

(2)المصدر نفسه. ورقة 451.

(3)المصدر نفسه. ورقة 425.

(4)المصدر نفسه. ورقة 364.

(5)المصدر نفسه. ورقة 398.

بعض الحالات أن صداق المرأة ينقص منه الثلثفي الحياة وبعد الممات، ولا يدفع إلا جزء يسير ([1]).

أما في تنبكت وأروان فإنه من عوائدهم في النكاح أن من أراد الزواجبامرأة، يخطبها له أهله أي والده أو والدته أو من يقوم مقامهما، فعند الخطبة يرسل الخاطب شيئا من الطنبول، أي الكور يسمونه كور الخطب ([2]).

أما في بلاد الهوسا فإن الشاب الهوسي كان لا يختار مخطوبته، وإنما يتم الأمر بين والد الولد ووالد البنت، وإذا اتفقا يخبر الوالد ابنه بذلك عن طريق الأخ الأكبر، وفي الغالب لا يعارض الإبن باعتبار الوالد أكثر خبرة ودراية بأمور الحياة، فلدى الهوسا مثلا يقول:" إن ما يراه الشيخ وهو جالس لا يراه الابن حتى ولو كان على الشجرة"([3])، ويقول الأب لابنه الزوجة الأولى اخترتها لك وعندما تختار الزوجة الثانية سوف تلاحظ الفرق بينهما ([4]).

وهذا يدل على أن تعدد الزوجات كان سائد في بلاد الهوسا من السودان الغربي.ثم بعد ذلك ترك الآباء إلى أبنائهم اختيار الخطيبة، يمهلونهم مدة

---

(1) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 321.

(2) محمد محمود الأرواني، تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان، دراسة وتحقيق وتقديم الهادي المبروك الدالي ، بنغازي، ليبيا .دار الكتب الوطنية 2008، ص 308.

(3) الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا دراسة وثائقية ، بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية ، ط3، 2009، ص 206.

(4)المرجع نفسه، ص 206.

شهر، فإذا عجزوا تدخل الوالد واختار له زوجة، وفي الماضي كان الخطيب لا يتعرف على خطيبته إلا ليلة الدخول بها، لشدة حياء قبائل الهوسا([1]).

وقبل أن ينطلق الموكب إلى بيت العريس تحدث مساجلات بين أسرة العريس وأسرة العروس بأن يقول أهل العروس لأهل العريس أين أموال الأجداد؟ فيحدث حوار ساخن فيقول وفد العريس: نقدم لكم ألف سيف فيرد وفد العروس هل ابنتنا من الطين؟ عليكم أن تزيدوا فيزيد الطرف الثاني ثلاثة آلاف سيف وهذا الحوار ليس معناه البيع والشراء وإنما المقصود منه زيادة تعرف الطرفين ([2]).

وقد كانت عادة كثير من تلك البلاد أن يكون الصداق مجهولا والمذكور ليس هو المقصود، يورد لنا الشيخ باي بن عمر واعلموا أن الواجب كون الصداق شيئا معروفا لا جهل فيه ولا غرر وما هو العادة عندكمبل وعند الكثير من أهل أرضنا كونه مجهولا إذ المذكور ليس هو المقصود والذي يدفع فيه عوائد مهبطة له وذلك غير حق([3]).

وفي بلاد الهوسا يبدأ الفرح من يوم السبت إلى الجمعة، ينتقل في اليوم الأول العريس إلى أعمامه والعروس إلى أعمامها للتحمير([4])، والغرض من

---

(1)الهادي المبروك الدالي،قبائل الهوسا دراسة وثائقية. ص 207

(2)المرجع نفسه. ص 208.

(3) باي بن عمر،مخطوط النوازل. ورقة 398.

(4) وهو غسل العريس والعروس بالحناء والعطور. الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا، ص 207.

ذلك تغيير البشرة إلى الحمرة وأن يصدر الجسم رائحة زكية، ويستمر الأمر إلى يوم الخميس موعد الزفاف والعرض، فيجتمع العريس وزملاؤه ويقيمون الألعاب يطلق عليهم العرّاسة ويوم الخميس يتم عقد الزواج وعادة ما يكون في المسجد، أين توزع فيه المشروبات والشاي والحليب، وفي يوم الزفاف يأتي العريس إلى العروس على جواد أبيض تزف عليه، بعد أن تكون قد تزينت بشتى أصناف الحلي، وتحيط بها كوكبة من الفرسان وثلة من النساء، والفرسان يقومون بعروض بهلوانية فرحا بهذا اليوم([1]).

أما في مناطق أخرى من السودان الغربي فحين بدء عقد القران يجتمع الناس كلهم الحراطين والحرطانيات وأهل البارود فيعقدون العقد الشرعي، فعندما يفتحون الفاتحة بعد الطلب يرعد أهل البارود مدافعهم ويولول الحرطانيات ([2])، وعن أخذه إلى بيته يرعدون البارود خلفه ويلعبون الطبول خلفه والطلبة من أصحابه والأشياخ يقرؤون له الزروقية ([3]).

يذكر الشيخ باي بن عمر في نوازله، أن الإماء كن يروحن عن أنفسهن في اجتماعاتهن بالغناء واللهو واللعب،وفي مناسبات الفرح،خاصة في الأعراس،فيقول :"وأما حكم ما يفعله إماء بلادكم من اجتماعهن للعب،

---

(1) الهادي المبروك، قبائل الهوسا، ص 208.

(2) الأرواني، تاريخ الصحراء والسودان، ص ص 308- 309 .

(3) ترجع الزروقية إلى الشيخ أحمد الزروق المولود بمدينة فاس. المتبحر في العلم، ارتحل إلى تنبكت وتونس ومصر وكانت نهايته في ليبيا في مدينة مصراتة حيث توفي هناك سنة 899هـ. محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978،ص 48.

وقولهن آهي النبي يا محمد ويرفعن أصواتهن بذلك مع الضحك والصفق، فإن العلماء نصوا على

كراهةذكر النبيصلىاللهعليهوسلمفيتشهير الأعراس،وفيالبيعإذاكانذلكعلىوجهيقتض يالاستخفاف. وقد تعظم المفسدة فيمنع ذلك منعا"([1])، وقد كانت الأعراس بالأغاني الجماعية بين الرجال والنساء، بأزياء متبرجة،وفي ذلك يرد ما يوافق ما قلناه من ردود الشيخ باي، من ذلك قوله :" ثم إذا انضاف إلى ما ذكر اجتماع ذكورهن وإناثهن على وجه تحصل معه المزاحمة والمماسة فليس إلا المنع"([2]).

أما في المجتمع الفلاني([3]) فإن هناك عادة حافظ عليها أبناء المجتمع وهي تفضيلهم زواج الأقارب، فإذا كان لدى الشاب ابنة عم أو ابنة خال فإنه يتحتم عليه الزواج منها حتى وإن كانت أكبر منه سنا، أما إذا كان بها عيب معين فإن زواجه منها يكون فرض عين ولا يقبل المناقشة، وفي حالة رفض الشاب الزواج منها فإنه يلقى الاستهجان والسخط من عائلته أولا ومن أقاربه،

---

(1) باي بن عمر،مخطوط النوازل،ورقة 23

(2) المصدر نفسه. ورقة 24

(3) الفلان: هو الاسم الذي يطلقه العرب في إفريقيا الغربية على شعب يطلق على نفسه فولبي. كما يسميهم العرب أيضا ايفلان. ويسميهم الطوارق فولاني وفولاوا. والهوسا: فلاتا، وفيلاتا، والماندي: فولا. والولف: بّل ولهم لغة مشتركة مع التكارير وهي البولارية . والشعبالفولاني أكثريته مسلمة بالرغم من اتساع الأرض التي سكانها والتي تغطي كل أفريقيا الغربية وجزءا من الوسطى. ومعظم المؤرخين يعتبرنه ساميا، ومن الهجرات التي أتت من المشرق. كما أن معظم العائلات الفولانية تدعي الانتساب إلى الشام واليمن. ينظر بول مارتي ، كتاب البرابيش (بن و حسان)، تعريب وتعليق،محمد محمود ولد ودادي، ص 33.

وفي بعض الأحيان تعاقبه أسرته بالطرد منها ([1]). وليس للعروسين حق إبداء الرأي إيجابا أو سلبا إزاء ما يقرره كبار العائلة في شأن الزواج، فهو مصير فرضته العادات والتقاليد الفلانية ([2]).

إن نظام الزواج في المجتمع الفلاني تميزه عادات وتقاليد متعلقة بالمجتمع يبدأ بطريقة التعارف وهذا خاص بالعائلتين، ثم البيان وفيه تجهز العائلتين متطلبات البيان والتي هي عبارة عن قمح وشعير والسليح(قربة مملوءة بالزيت)، إلى جانب أعداد من الماشية يقدر عددها ما بين خمسة إلى عشرين تذبحها أهل العريس لإطعام الضيوف ويوم البيان هذا حلقة التعارف بين العروسين وأهل الحي لتطبيق صلة الرحم ([3])، ثم يوم التشوير والذي يقصد به يوم التبليغ أو الإخبار عن يوم العرس والذي تقوم به عائلة العريس ([4]).

ويوم الكسوة وهو يوم يقوم فيه أهل الشاب بحمل مهر العروس على جمل أو بقرة قوية يتدلى على جانبها غرارتين فيهما القمح والشعير والزبيب، إضافة إلى بعض الملابس التي يقدمها العريس لعروسه وتدعى الكسوة، ويقاد الجمل إلى دار الفتاة وسط جمهرة من الرجال والنساء وهم يرقصون ويغنون.

---

(1) الهادي المبروك الدالي، قبائل الفولاّن، بنغازي، دار الكتب الوطنية ص23.

(2) عثمان برايما باري، ج ذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، القاهرة، دار الأمين،2000، ص 258.

(3) إبراهيم موسى جوب، انتشار الإسلام وتأثيره على تطور العلاقات الفلانية العربية. رسالة دكتوراه، طرابلس، جامعة الفاتح، 2004، ص 258.

(4) المرجع نفسه. ص 259.

وعند الوصول إلى دار العروس يتقدم رجلان ويقومان بإقعاد الجمل وإنزال الكسوة الخاصة بالعروس ([1]).

ثم يأتي يوم الوشامة، والوشامة عادة قديمة وهو علامة اجتماعية تميز المرأة المتزوجة عن البكر خصوصا في القرى والبادية، وهي تسمح للمرأة بالعمل خارج المنزل في الحقل أو المرعى، كما يشكل الوشم مرحلة الإعداد النفسي لتأخذ دورها كزوجة، إلى جانب كونه وسيلة للتجميل ([2]).وقد كان الوشم بالنار عادة قديمة عند بعض القبائل، وقد أشار الإدريسي إلى أن جميع أهل مالي إذا بلغ أحدهم الحلم وشم وجهه وصدغاه بالنار، وذلك علامة لهم ([3])

يأتي يوم الدخلة، وله هو أيضا طقوسه، منها أن الجمل الذي يحمل العروس يدور سبع مرات حول بيت العروس، تعبيرا عن وداع الفتاة لبيت أبيها. كذلك ما يلاحظ في هذا اليوم عند بيت العريس، أن الوليمة التي يقيمها لا يأكل منها أهل العريس، ولا الأغنياء من الضيوف. ومن أكبر العيوب أن يرى الأغنياء، أو ذوي الأحوال الميسورة، وهو يأكل من وليمة العرس([4]).

---

(1) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، دولة سوكوتو، رسالة دكتوراه، القاهرة، معهد البحوث والدراسات الافريقية، 1982، ص 415.

(2) ابراهيم جوب، المرجع السابق، ص 261.

(3)الإدريسي، المصدر السابق. ص 19.

(4) إبراهيم جوب، المرجع السابق. ص 261. الهادي الدالي، قبائل الفولان، ص 23

ومما يلاحظ أن ظاهرة التعدد لم تكن منتشرة بكثرة في البوادي، خاصة عند متوسطي الدخل. وأكبر دليل على ذلك أن أغلب الشيوخ ذائعي الصيت عند قراءة تراجمهم لم تكن له سوى زوجة واحدة، لكن بالنسبة للتجار فإن الوضع يختلف لأن أغلبهم له عدة زوجات في المراكز التجارية التي يتردد عليها، فقد كان تعدد الزوجات في تنبكت هو القاعدة، ومعظم الرجال لديهم أكثر من زوجة ([1]).

ج-الزواج بالإيماء:

لم يكن بناء الأسرة بالزواج فقط، بل كان أيضا بالتسري بالإيماء اللائي كن يتحصل عليهن عن طريق الشراء، أو الغصب في الحروب والنزاعات، فقد ذكرت لنا كثير من المصادر أن كثير من سادة القبائل السودانية كانت أمهاتهم إماء([2])، مثل الشيخ بادي شيخ قبيلة كنتة كانت أمّه أمة زنجية، والشيخ باي بن عمر كذلك كانت أمه جارية تسمى العافية منقبيلة إيبوغليتن، رغم ذلك كان الشيخ باي الزعيم الديني على كنتة آدرار إيفوقاس ([3]).وهذا الأمر لم يؤثر في مكانة الشيخ ولا في قيمته، بل لم ينظر إليه على أنه نقيصة.

د- مشاكل الأسرة في السودان الغربي:

---

(1)جعفري مبارك، المرجع السابق، ص ص 177-178.

(2)القشاط محمد سعيد، من نقائض الشعراء العرب في الصحراء، بيروت، لبنان، دار الملتقى للطباعة والنشر، د ت، ص 142.

(3)بول مارتي، كنتة الشرقيون، ص 130.

تعترضالأسرةفيالسودانالغربيمجموعةمنالمشاكليوردهاالشيخبايفينوازلهمن خلالالفتاوىالتيوردتإليه،لعلأبرزهاالطلاق وما يسببه من هدم للأسرة، ونشوزوخلع وما يدفع إلى ذلك، ونتيجتهما الحتمية وهي ضياع الأطفال وفيمن يحضنهم وكيف ينفق عليهم والميراثومايحدثفيه من ظلم وتعد على حدود الشرع وخصومات تصل أحيانا إلى الاقتتال.

سنحاولجمعموادهذاالعنصرمننوازلالشيخبايالتيتجمعالكثيرمنهذهالحالاتوكيفبينال شيخ رأي الشرع فيها.

د- 1- الطلاق:

ورد في النوازل بصيغ مختلفة، يكونموجهإلىالزوجةبشكلمباشربلهجاتمختلفةكأنيقول أحدهم لزوجته" كيغاكتهوضوينتيدغحرّمنين" ([1]) وتعني أن يحرم الرجل من تحت إمرته، أو "هار تنجمض" من ألفظ الطلاق ([2])، أو " تنهرمد " والتي تعني الطلاق بالثلاث ([3]).أو تمزيد تنّحرمد لفظ يقال للطلاق ([4])،وكذلك أن امرأة حدث بينها وبين زوجها تلاسن حول عجل لها فقالت " أكفيفك كي الوكينك إكيت نسن"، فقال لها " أرماسفر"([5]).يريد بذلك الطلاق.

---

(1)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 404.

(2)المصدر نفسه. ورقة 403

(3)المصدر نفسه. ورقة 419.

(4)المصدر نفسه. ورقة 436.

(5)المصدر نفسه. ورقة 438.

وأحيانايكونالطلاقلأسبابتافهةكأنيقوللزوجتهأنتطالقإنشربتمنتلكالبئر ([1]).وفيبعض الحالاتيطلقالرجلزوجتههازلا،فيقعالطلاق([2])،لحديثالنبيصلىاللهعليهوسلمالذي رواه الترمذي وابن ماجة وأبو داود
:"ثلاثةجدهنجدوهزلهنجدالطلاقوالنكاحوالرجعة".
وبعضهمحلفلزوجتهعلىعدمفعلشيءوفعلتهقاصدةالخروجمنعصمته([3])،وعمنجاء لرجلعلىبئرهوحلفعليهبالطلاقبلفظامرأتيطالقإنسقيت
منهاوأناعليهوحنث([4])،وعمنحلفلزوجتهيمينالطلاقعلىأنلاتهبولاتتصدقمنمالهافت صدقت([5])، أحدهم يقول لزوجته إن راجعت زوجتي الأولى فأنت طالق ([6])، وآخر حلف بالطلاق عن مساكنةأحد هل يحث بجوار المحلوف ولو كان قريبا له ([7])،وكذلكعنرجلحلفبالطلاقعلىزوجتهإنرآهاجالسةمعرجلعلىفراشواحدفيحالالغ ضب،ولميعرفحينالحلفهلجميعالرجالأمالأجانبفقط ([8]).هذاعنصيغالطلاقباللفظ الصريح أماألفاظالتحريمففيهاأمثلةكثيرةنذكربعضها،
منهاأنأحدهمحلفبالحرامعلىشيءأنه له فتبين الحالبخلافه

---

(1) المصدر نفسه. ورقة 400-412

(2)المصدر نفسه. ورقة 400.

(3) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة405.

(4)المصدر نفسه. ورقة412.

(5)المصدر نفسه.ورقة413.

(6)المصدر نفسه. ورقة421.

(7)المصدر نفسه. ورقة431.

(8)المصدر نفسه. ورقة433.

([1])،ومنهاأيضارجلحلفبالحرامأنبيصاتقماشهمنجنسواحدفظهرأن إحداهماتخالف الأخرى وبساطحلفهشحناءبينهوبينغيره ([2]).

د- 2- النشوز والخلع:

يعتبر النشوز والخلعمنمعاولهدمالأسرةفيالمجتمع السودانالغربي. أما النشوز فهو الاستعلاء على الزوج

وأماالخلعالذيأباحهاالإسلاممنخلعالثوبإذاأزاله،لأنالمرأةلباسالرجلوالرجللباسلها، لقولهتعالى:"هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ " ([3])،ويسمىكذلكالفداءلأن المرأةتفتدينفسهابماتبذلهلزوجها.عرفهالفقهاءبأنهفراقبينالرجلوزوجتهببذليحصل له ([4])

إن أسباب الخلعمتعددةلكنأغلبهاسببهاالأهلمنقريبأوبعيدكأنيزوجوهامكرهة،أوتتعرضلأذىج سديأولفظي،وصورهفيالنوازلكثيرةمنها،أنتخلعالزوجةنفسهاعنطريقالقاضيأوال

---

(1)المصدر نفسه. ورقة409.

(2)المصدر نفسه. ورقة 410.

(3)سورة البقرة الآية 187.

(4)سيد سابق، فقه السنة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2006. ج 2، ص607.

جماعة ([1]). أو أن تشتري عصمتها وطلاقها منه بمبلغ من المال، فتقول له كم أعطيك وتطلقني ([2]).

د- 3- الحضانةوالنفقة:

منبينالمعضلاتالتيتواجهالمجتمعفيحالاتالطلاقمعضلةالحضانةوالنفقة، وهي ثمار الطلاق، حيث يقع الطلاق يقع الخلاف على الأبناء عند من يبقون ومن يقوم بكفالتهم وكيف تتم النفقة ومن خلال نوازل الشيخ باي تبرز لنا مجموعة من الحالات التي وقع فيها الخلاف بين الزوجين أو الأسرتين. منها مايفعلهبعضالأباءالذينينزعونالأبناءمنعندأمهاتهمبدافعالشحناءوإلحاقالضرربالزوجةأونتيجةصراعبينهماأوبينحييهما ([3])، ومنها أن المطلقة لا تأخذ الأبناء معها نكاية في زوجها وأنفة وإعراضا عن كل ما يربطها بالزوج ([4]).

3- المأكل والمشرب:

منالخصائصالتيمستالسوادالأعظممنسكانالسودانالغربيالاستهلاكالواسعللسمكوأطباقالأرز ،فقدذكرالإدريسيأنطعامأهلالتكرورالذرةوالسمكوالألبان ([5]). أماابنبطوطةفذكرمنالمأكولاتالدجاجوالسمنوالأرزوالذرةوالسمك([6])،أماالطبقاتا

(1)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 398.

(2)المصدر نفسه. ورقة 452.

(3) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 465.

(4)المصدر نفسه. ورقة 463.

(5)الإدريسي، نزهة المشتاق. ص 18.

(6)ابن بطوطة، تحفة النظار. ص ص395-406.

لمترفةفيالمدنفلمتأكلالسمكبلاستعاضتعنهبلحومالغنموالبقروالجمالوالدجاجوالحم ام،ولميدخلالأرزفيمطابخهاإلابشكلثانوي،حيثأصبحالكسكسالمتخذمنالقمحوالشع يروالذرةالأكلةالمعتمدةفيالموائد ([1]).

أمافيتنبكتفذكرالرحالة ابنبطوطةأنهميكثرونمنالسمنواللبن ([2])، أما العمري فقال أن أقوات أغلب سكان مملكة مالي هو الأرز، والحنطة بها قليلة ([3]).

لقدأوردلناالوزانقصةأنهعندمروره معإحدىالقوافلبأروانجاءهمأميرصنهاجيوررحببهموأمربذبحجمالصغيرةوغنموبع ضالنعامات،وعندماأخبروهأنهملايأكلونلحمالجمال،قال:أنهمنالعيباستضافةالض يوفبالحيواناتالصغيرة،ووضعواأمامهماللحمالمشويوالمطبوخ،ومعهكمياتكبيرةم نالتوابلوالأعشاب،والخبزمعجونمنخالصالدخنوالذرةووضعوابينأيديهمالتمروالل بنوحضرالأميرالوليمةبنفسه ([4]).

منخلالجمعالمعلومات عن الرحالةفالظاهرأنالأمور بقيتعلىحالهاتقريباخلالالقرنالتاسعشر،حيث أن فيليكس ديبوا يذكرأنالوجبةالمفضلةعندأهلجنيهيالأرز ([5]).أماكاييفيقولأنسكانتنبكت

(1)محمد الغربي، بداية الحكم المغربي. ص 612.

(2) الوزان، وصف إفريقيا. ج2، ص66

(3)العمري،كتاب مسالك الأمصار في ممالك الأبصار.ص62.

(4)الوزان،المصدر السابق،ج1، ص ص 58-60.

(5)فيليكس ديبوا، تنبكت العجيبة، ص155.

يتناولونالخبزالمصنوعمنالقمحمعالشايوزبدةالبقرفيوجبتينفياليوم ([1]). ومنالمأكولاتالمنتشرةفيالأزوادالعصيدة،وتصنعمنالدخن،حيثيؤتىويطحنويغربلا لدقيقمنهوماتبقىمنأجزاءصغيرةتوضعفيقدرمعالماءحتىتنضج،ويضافإليهدقيقالدخ ن،وتدلكبدلاكةمصنوعةمنالخشب،وتقدمكوجبة،وقدتصنعالعصيدةمنالذرة،وكانت تقدمحتىللعبيدفيأوقاتالرخاء ([2]).

منالمشروباتالتيكانتكثيرةالاستعمالفيالسودانالغربيالحليبالذيكانالسكانلايستغن ونعنه، لدرجة أن بعض المناطق التي تتناول الحليب باستمرار يصاب ساكنيها بمرض الجنكور([3]).

كذلك من المشروبات الشاي أو التاي أو أتاي، دخل إلى إفريقيا خلال القرن التاسع عشر، وقد وردت نازلة عن الشاي في نوازل الشيخ باي يسأل صاحبها هل ورق أتاي حكمه حكم الطعام فأجاب أنه طعام يجوز فيه ما يجوز في الطعام، ويمنع فيه ما يمنع في الطعام، وبهذا أفتى جماعة المتأخرين ([4]).

في الضحى كان السوداني يتناول الشاي الأخضر المعطر بالنعناع إلى أن تحين الوجبة الرئيسية للغذاء. ولم تخل جلسة أو سمرا من صواني الشاي وعدته،

([1]) René Caillie, Voyage d’un Foux Musulman à travers l’Afrique, Op, Cit, p 104.

(2)جعفري مبارك، المرجع السابق. ص207.

(3)محمد حوتية، قبيلة كنتة بين إقليمي توات والأزواد، ص57.

(4)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 475.

إضافةإلىجانبالشايكانالسودانيونيصنعونأنواعاأخرىمنالمشروباتالساخنةوالباردة ،وقدوجدتحولالمستنقعاتأعشابعرفتمنذالقديمطعمهاقريبا منطعمالشايوفيضمنهاعشبة(كوندو)الشبيهةبالأسلكانسكانديرمايحصدونهاويبخرونهابالحطبثميضعونقطعهافيأكياسلتخزنأوتباعفيأسواقالمدن،وكانشايكوندويشربمعالحليبخلافا للشايالأخضر المستورد، ولكثرة اليهود بمدن السودان فقد شاع شرب الخمر الذي اعتصرمن العنبوالتينوالبلح ([1])، وتحدثنا المصادر السودانية عن تناول المسلمين للخمر سرا وعلانية، في العهد المغربي حتى أن جيش العبيد كان يشربالخمرشاهراظاهر ونهارا ([2])

4-الملبس والمسكن

شهدالسودانالغربيتنوعاملحوظافي اللباسوفيمأوىالناسومساكنهم

ا- الملبس:

كان اللون الأسود والأزرق هما اللونان المفضلان في المجتمع الإسلامي السوداني في عهد المرابطين، ثم لما حج موسى كانكان اتخذ اللون الأخضر شعارا للدولة وانشر استعماله في دولة مالي، ولكن بقيت الألوان الداكنة رواجها واتساع استعمالها، وكان اللون الأبيض مع عمامة زرقاء اللباس التقليدي للعلماء والأمة ([3])، إلى أن أصبح شعارا للدولة في بداية القرن السابع

---

(1)السعدي، تاريخ السودان. ص28.

(2)مؤلف مجهول، تذكرة، ص28.

(3) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي، ص 609.

عشر، وغدا كبار القادة والموظفين يتخذونه في المناسبات الرسمية، حتى شاع استعماله بين مختلف الطبقات ([1]).

إلا أن هذا ليس دأب كل العامة، فقد كان بعضهم يعتمد على المواد الطبيعية في تغطية أجسادهم نظرا لضعف مستواهم المادي ([2]).

لقد كانت التغيرات التي طرأت على لباس العامة والخاصة ترجع إلى تأثير الثقافة العربية الإسلامية في منطقة السودان الغربي، وخاصة التأثير المغربي، فقد ذكر القلقشندي عن لباس أهل مالي : " ... ولباسهم عمائم بحبك مثل العرب، وقماشهم بياض من القطن يزرع عندهم وينسج في نهاية الرفع واللطف، وزيهم شبيه بزي المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج ([3])، ويتضح الفارق بين لباس العامة والخاصة من خلال ما ذكره الحميري عن لباس العامة في كوكو أو كاغ، حيث ذكر أن هؤلاء العوام يسترون أجسادهم بجلود الحيوان، والتجار يلبسون من قماش منسوج والنبلاء ملابس خاصة (الأزر) ([4])، ثم أشار إلى الفرق الكبير بين العامة والخاصة، فذكر أن الخواص هناك يلبسون الأزر، أما كبار التجار في كاو فيلبسون القداوير والأكسية وعلى رؤوسهم الكرازي ([5]).

---

(1)المرجع نفسه. ص 609.

(2) ابن خلدون، العبر، ج 1، ص 70.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ص 299 . الحميري، الروض المعطار، مقدمة المحقق ص ص 1-2.

(4) الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 139

(5) الحميري، المرجع السابق، ص 502

نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي شهدته بلاد السودان الغربي، وخاصة في عهد مملكتي مالي وصنغي الإسلاميتين، فقد تألق الناس في ملابسهم وظهر لديهم الاهتمام بصناعة الملابس والأقمشة المحلية التي توفرت خاماتها المحلية بتوفر القطن. فضلا عن استجلابهم الملابس القطنية والحريرية المطرزة المحلية ذات الألوان الزاهية أو المستوردة من الخارج ([1])، وخاصة من الشمال الإفريقي، يباهون مواطنيهم الوثنيين بملابسهم البيضاء النظيفة ([2]).

وصف الوزان أهالي منطقة السودان الغربي الذين زارهم وتعرف على أحوالهم بأنهم يلبسون لباسا حسنا، ويتلثمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق يغطون به حتى رأسهم، ولكن الأئمة والفقهاء يتلثمون بلثام أبيض اختاروه لأنفسهم ونشأوا عليه وتوارثوه ودرجوا عليه سلفا عن خلف ([3]).

يصف ابن بطوطة ملك السودان وهو يخرج من باب في ركن قصره وقوسه بيده، وكنانته بين كتفه، وعلى رأسه شاشية ذهب، مشدودة بعصابة من ذهب، لها أطراف مثل السكاكين رقاق، طولها أزيد من شبر، وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمى المطنفس ([4]).

---

(1) أحمد فؤاد بليغ، عبد الرحمان السعدي عصره وكتبه، المجلة التاريخية المصرية. العدد 20، القاهرة.1973، ص 94

(2) نعيم قداح ، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام. الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2 1974، ص 173.

(3) الوزان، وصف إفريقيا،ج2 ص 163.

(4) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ص 446.

أورد الشيخ باي بن عمر في فتاويه مسألة ذكر فيها أن بعض الناس كان يلجأ إلى لبس الملابس المستعملة، وذلك في جوابه لمن سأله عمن اشترى من متهم بعدم الطهارة هل يغسله أم لا؟ بما نصه إن شك في إصابة النجاسة لم ينضح ([1])، واللجوء إلى هذه الملابس المستعملة ليس لكل الناس وإنما لمعسوري الحال.

كذلك كان بعض الناس يلبسون ملابس مصبوغة بألوان مختلفة، حيث يرد ذكر ذلك في نوازل الشيخ باي أن أحدهم سأله عمن لبس مصبوغا بالصبغ الأسود كالطار وما في معناه([2]).

عند الطوارق كان اللباس يعتمد على القطن المحلي أو المستورد، فبالنسبة للرجال فيتمثل اللباس في سروال فضفاض وقميص وعمامة إما مصنوعة من قطعة طويلة من القماش الأبيض الخفيف بالنسبة للتوبو أو من قماش خاص أحمر مصبوغ بالأسود كما هو الحال عند الطوارق، ففي الأوساط الطوارقية يعطى للتغلموس (العمامة) بعد شبه طقوسي، يجب على الفرد أن يلبسها منذ سن البلوغ، كما أنه كلما ذكر الطوارق ذكر اللثام، كونه من العادات المتوارثة، حتى صار السكان يعرفون به، يضعه الرجال دون النساء.

هناك رأي آخر هو أن الصنهاجيون المقيمون بالصحراء كانوا أهل لثام في قديم عهودهم؛ ولذلك غلب عليهم اسم الملثمين، ونسبت إليهم الأرض

---

(1) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 92

(2)المصدر نفسه. ورقة 132.

فسميت " صحراء الملثمين ". وقد مدحهم الشاعر أبو محمد بن حاتم الكاتب فقال:

قوم لهم شرف العلى من حميرٍ *** وإذا انتموا لمتونة فهم هم

لما حـووا أحـواز كل فضـيلةٍ *** غلب الحياء عليهم فتلثموا([1]).

هناك روايات متعددة عن سبب وضع رجال الطوارق اللثام دون النساء، من بين هذه الروايات، ما ذكره صاحب الحلل الموشية، أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم، فخالفهم العدو إلى بيوتهم، ولم يكن بها إلا الصبيان والشيوخ، فعمد الشيوخ إلى حيلة وأمروا النساء أن يلبسن لباس الرجال، ويتلثمن ويحملن السلاح، فلما جاء العدو ظنهم رجال فقالوا نكتفي بالغنائم ونمضي، وبينما هم على ذلك الحال رجع الرجال فبقي العدو بينهم وبين النساء، وقتلوا عددا كبيرا منهم، ومنذ ذلك الحين بقي اللثام فلا تعرف الصبي من الشيخ ([2]).

هناك رواية أخرى فحواها أنه في إحدى المرات هاجم العدو مخيمات الطوارق، وانهزم الرجال، فخرج النساء ولبسن العمائم وملابس الرجال، وركبن ظهور المهاري وطاردن العدو، ومنذ ذلك الحين وضع الرجال اللثام

---

(1) الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1978، ص ص18، 19.

(2)مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص ص 18-19.

لتغطية عار الهزيمة، وكشفت النساء على وجوههن ([1]).كما انتشرت العمائم كلباس للرأس، وقد ذكر الشيخ باي أن "العمائم تيجان العرب ومن الزي المستحسن"([2]).

ولا يحصل هذا عند التوبو، الذين يعتبرون العمامة علامة على المقام السامي، حيث لا يلبسها إلا الديردي (شيخ التوبو)، وقد صارت لباسا عاما فيما بعد، ولا ترفع من رأس صاحبها إلا في حالة الغضب والتذمر فإنه يطرحها أرضا، كما يرتدي التوبو قبعات من الجلد.

هذا عن لباس الرجال أما عن لباس النساء فقد كان يتمثل في خمار وقميص قصير لا يغطي إلا الصدر، وقطعة صغيرة تحيط بالجسد من الخصر إلى الساقين، وقطعة كبيرة تنزل إلى العرقوب. كما استعمل الطوارق ملابس النيلة ([3]).

كانت القلنسوة من بين ما يلبس في السودان الغربي، ويظهر ذلك مما ذكره الشيخ باي عندما قال أما القلنسوة فمن زي بعض الناس دون بعض، وما

---

(1)مؤلف مجهولالمصدر نفسه. ص ص 128-129. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص330.

(2) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 730.

(3) النيلة هو قماش أسود يصبغ جلد لابسه بلونه، وتلبسه النساء كلحاف لهن، كما يستعمله الرجال كعمائم. و اسمه مشتق من الشجر الذي يصبغ من ورقه، و اسمه النيل. وشكل قديما بضاعة تبادل أساسية بين الأوروبيين وسكان المنطقة قبل الاستعمار. وما يزال يستعمل إلى اليوم حيث أق يهت له مصانع في البلاد المجاورة.ينظر بول مارتي، كتاب البرابيش (برو حسان) ص 37

كان كذلك فالأولى للإنسان أن يلزم فيه عادة بلده، إذ في مخالفة ذلك آفات لا تؤمن غائلتها ([1]).

أما عند التوبو فقميص النساء طويل بحيث يصل إلى الكعبين وتغطي نساء التوبو أجسادهن بقطعة قماش طويلة تسمى (إيبي) ([2]). أما الحلي فإنه رغم بعض الاختلافات يتمثل في الخلاخل والدمالج والأقراط المصنوعة من الفضة والنحاس والجواهر المتعددة الألوان المخيطة على الجلد والأطواق المصنوعة من العنبر والصدف. أما الأحذية الأكثر استعمالا فهي النعال المصنوعة من الجلد.

ب ــ المسكن:

شهد السودان الغربي على مر الزمن تنوعا في المسكن، وقد اختلف باختلاف طبقة السكان واختلاف المناطق، ففي الحضر سكن الناس بيوتا مصنوعة من الطوب الأحمر المشوي على النار.

اختلفت المساكن في السودان الغربي من فترة إلى أخرى حسب المدينة وحسب طبيعة الحكم. فقد عرفت المدن العريقة كتمبكت، وجني، وجاو،

---

(1) باي بن عمر، مخطوط النوازل ورقة 728.

(2) الحضارة الإسلامية في النيجر، نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أو *الإيسيسكو* (بالإنجليزية: *ISESCO*) هي منظمة متخصصة تعمل في إطار منظمة التعاون الإسلامي، تعنى بميادين التربية ص 126.

وأودغست([1])، وولاتة وسجلماسة، بنايات راقية بسبب وجود الحكام والأمراء بها. إذ تعتبر مدينة جاو إحدى المدن العظام، حيث بلغت من الإتقان والجمال المعماري ما يدل على حضارتها.

وجدت الزخارف في منازل الأثرياء نتيجة انعكاسات الفن المصري، أما المنازل الخاصة فبسيطة لم تشيد من الأحجار أو الجرانيت مثل مباني المعابد والقصور لكن شيدت من الطوب الخشن([2]). كما برع أهالي كوكو في صناعة البيوت من وبر الإبل ([3]).

كانت للتأثيرات المغربية الخالصة وزنها في المجتمع السوداني منذ القرن الخامس عشر في اتخاذ البيوت المبنية بالطين المشوي مع أساس حجري، واتباع أساليب معينة في التصميم وفي وضع الأبواب والسقوف وطلاءها بجملة من الأصباغ. حيث كانت قبل هذه الفترة السكنى في المدينة أو القرية الكبيرة ضمن الخيام والأكواخ من النبات أو الطين أو الأخشاب، وكان الفناء الخارجي للسكن محاطا بأكوام الشوك القصيرة ([4]).

---

(1)أودغست: مدينة من السودان الغربي، كانت تعتبر حاضرة من حواضر غانة، قال عنها البكري بأنها :" تقع بين الزنوج ومدينة سجلماسة ، وتبعد عن القيروان بمائة وعشر مراحل"، وشبهها ابن حوقل بمكة فقال :" أودغست مدينة لطيفة أشبه بلاد الله بمكة بين جبلين ذوي شعاب". البكري، المسالك والممالك، ج2، ص851. ابن حوقل، صورة الأرض، ص24 .

(2) فيليكس ديبوا، تمبكت العجيبة، ص 140

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص ص 111-115.

(4) السعدي، تاريخ السودان، ص 21.

في بعض المدن كانت البناية مكونة من طابقين، يصفها لنا ديلافوس وصفا دقيقا، فيقول أن قممها تبنى بالطمي، مع تثبيت أحجار بداخلها. وهي على نوعين، مستطيلة الشكل أو دائرية،وتحيط جدرانها بمساحة تتراوح بين خمسين ومائة متر، وتقسم إلى غرف مختلفة، كغرفة المطبخ وغرفة تستخدم كمخزن، فهي رحبة ومريحة، فضلا عن أنها مزخرفة بعناية، وبها نقوش وقباب وأروقة وأعمدة ذات تناسب قريب للغاية من مثيله في أي مكان آخر ([1]).

كانت الأحواش واسعة تظلها شرفات واسعة، تضم محنيات من الجوانب الأربعة مثل المنازل الإسبانية، درجة حرارتها معتدلة والرطوبة مناسبة بينما درجة الحرارة في الشارع رهيبة ([2]).

كانت أولى المنشآت العمرانية الراقية في غاو وتمبكت ونياني من تصميم وإشراق المهندس والشاعر الأندلسي إبراهيم الساحلي ([3])،وقد وصف ابن بطوطة المساجد التي بناها الساحلي، ووصف القصر الملكي في نياني الذي ضم قاعة مجلس السلطان التي أنشأها على شاكلة قصور مراكش وغرناطة،

---

(1) مادهو بانيكار، الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا، ص 489.

(2)فليكس ديبوا، المصدر السابق، ص 207.

(3) إبراهيم الساحلي المعروف بالطويجن شاعر أندلسي صحب منسا موسى إلى بلاده وبنى له قبة مربعة الشكل أودع فيها كل مهاراته. مادهو بانيكار، المرجع السابقص 489.

واستعان بمهندسين مغاربة في تعليم صناع سودانيين، وأخذ تقنيات النقش والحفر ([1]).

على العموم فقد كانت مراكز الاستقرار المدني وبناء حسب المواصفات الحضرية تنحصر في المدن السودانية الكبرى، أما في الأرياف والقرى فاحتفظت البيوت بالشكل السوداني القريب من البدائية، وكانت تقام الحقول في الغالب. وفي بعض المناطق كمنطقة تويدني وهي أكثر المناطق جفافا في إفريقيا الغربية حيث لا توجد أشجار ولا زرع والمياه الموجودة فيها مياه مالحة لا توجد كميات من الطمي الصالح لبناء المساكن لذا تبنى المساجد والمنازل من الصخور، وتغطى أسقفها بجلد الأغنام ([2]).

المقياس الوحيد الذي يمكن إعطاؤه لنشوء أو توسع المدن الثانوية هو عدد السكان لا عدد الأبنية ([3]). ويمكن ملاحظة عدة أشكال هندسية في البناء، الهندسة السودانية السواحلية، وهندسة شمال افريقيا، والهندسة الشرقية، والهندسة الفرنسية نهاية القرن التاسع عشر ([4]).

5-الاحتفالات الاجتماعية والمناسبات الدينية

---

(1) نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،ص ص 154-160.

(2)فيليكس ديبوا، تمبكت العجيبة، ص 201.

(3) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص 625.

(4)جعفري مبارك، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، ص 154.

كان لدى سكان السودان الغربي ميل غريزي إلى البهجة والفرح والسرور، فوجدوا مجالا يعبرون فيه عن هذه الفرحة من خلال الأفراح الروحية التي أقاموها أو حضروها أو اشتركوا فيها مع غيرهم. ففي بلاد الفلاّن كان هناك احتفالات بمناسبات معينة كمناسبة ولادة طفل جديد في الأسرة أو الاحتفال بختان الصبية، وكان هناك احتفالات أخرى تقام في الأسواق العامة والتي تعرف في المجتمع الفلاني بالليالي السمر التي تعقدها الفرق الموسيقية، وفي هذه الاحتفالات يقوم الأفراد المصاحبين للفرق الموسيقية بالغناء والرقص على الأصوات الموسيقية ودق الطبول وفي نهاية عروضهم يتلقون مكافئة على ما قاموا به ([1]).

من العادات الإسلامية التي سادت في مجتمع سوكوتو تسمية المولود في اليوم السابع وسط حفل كبير يذبح فيه والد الطفل خروفا أو ثورا و جرت العادة على تسمية الطفل باسم أحد الأنبياء أو الصحابة ([2]).

أما الاحتفالات الدينية فتمثلت في الاحتفال بقدوم شهر رمضان المبارك، والاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، والاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وبداية العام الهجري وعاشوراء، وكان أكثرهم انتشارا واهتماما اعتناء سكان تنبكت وأهلها بإنشاء عشرينيات ابن أبي زيد الفازازي وت خميسها في المساجد

---

(1) محمد حسن علي منيسي، دولة ماسينا الإسلامية في الفترة من عام (1815-1863)، رسالة دكتوراه، القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1999، ص 131.

(2)محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار هومه، د ت، ط ، ص 212.

والبيوت على شكل جماعات وبأصوات مرتفعة وهو نوع من أنواع الفرح في البلاد في مناسبات معينة

ا- **الاحتفال بشهر رمضان وليلة القدر:**

يحظى شهر رمضان باهتمام خاص في السودان الغربي، فيخرج الناس إلى الصحراء لرؤية الهلال وبعد ذلك يتجه العدول الذين رأوا الهلال إلى المشور ليدلوا بشهادتهم.يقوم العلماء بقراءة كتاب صحيح البخاري على الحاضرين طيلة الشهر، ويختمونه في السابع والعشرون منه، وتمنح كسوة سنوية للقاضي والمداحين بعد الإنهاء من سرد الصحيح ([1])، كما يقرؤونكتاب الشفا للقاضي عياض ويختمونه يوم الفطر، ويقوم القاضي بتقديم الهدايا ويوزعها على المحتاجين، وفي ليلة القدر يطبخ القاضي الطعام ويجعل المطبوخ في قدحكبير يحملها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان المكتب فيأكلون وهم قائمون تعظيما لهم ([2]).

ب- **عيد الفطر:**

بعد التأكد من هلال شوال وإعلان رؤية هلال عيد الفطر، تدق الطبول وتطلق الأبواق التي تصنع من سن الفيل، ويتسارع الناس إلى الطرقات مصطحبين معهم الأطفال يحملون الفوانيس المضاءة في تجوالهم لشراء لوازم العيد من أطعمة

---

(1) ابراهيم جوب، انتشار الإسلام. ص 270.

(2) محمود كعت، تاريخ الفتاش . ص 180.

وملابس وهدايا، في العادة تعلق هذه الفوانيس لتنير الطرقات طيلة أيام العيد، يحرص الناس في هذا اليوم على لبس الجديد بألوان مختلفة يغلب عليها اللون الأبيض ([1]).

وكان الناس يخرجون زكاة الفطر وقد وجد في النوازل من يسأل عن مقدار الزكاة فكان جواب الشيخ " أن تقدير زكاة الفطر إنما ورد عن الشارع بالصاع ولم يزد عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابةتحديد ما في الصاع من الحفنات"([2]). وفي هذه المناسبة يقوم المداحون بإلقاء أغاني المديح على الرسول صلى الله عليه وسلم ويتناوب الفقهاء والعلماء في ألفاظ المديح والسيرة النبوية الشريفة والشعر وتصاحبهم آلات عزف موسيقية صنعت محليا من القصب والقرع ([3]).

ج- عيد الأضحى:

من الأعياد التي يحتفل بها سكان السودان الغربي، عيد الأضحى فشأنه شأن عيد الفطر من لباس ومديح، إلا أن هذا العيد يضحي فيه الناس في الغالب بالإبل، أو الجواميس أو البقر أو الغنم أو الماعز كلًّا حسب قدرته، ويتبادل الناس الهدايا من اللحم ([4]). وقد ورد عند الشيخ باي أن الناس كانوا يتبادلون الهدايا في مثل هذه

---

(1) ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار، ج 2، ص ص 447-448.

([2]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 287.

(3) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص 84.

(4) أحمد فتوح عابدين، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا، رسالة دكتوراه، القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1989، ص 340.

المناسبات في قوله " ومن ذلك أيضا ما جرت به العادة من تهادي الجيران اللحم في الأعياد وأكل بعضهم عند بعض"([1]).

كما جرت العادة في هذا العيد أن يقوم المداحون بإلقاء أغاني المذبح والشعر، والملاحظ أنها كانت تلقى باللغة العربية، إلا في بعض الحالات التي لا يتقن فيها بعض الناس اللغة العربية، يقوم مترجم خاص بترجمتها ليشارك الجميع هذا الاحتفال ([2])

د- **المولد النبوي الشريف:**

هو من المناسبات العظيمة الشأن عند سكان غرب افريقيا، ينتظرونها مع أبنائهم كأنهم ينتظرون ضيفا عزيزا قادما إليهم، وكان من عوائدهم في هذه المناسبةأنه منذ رؤية هلال صفر يأتي الشيوخ والعلماء من أهل الفضل إلى دار القاضي كل عشية، فيقرؤون ربعا من ميمية البوصيري، وهكذا لغاية ظهور شهر ربيع الأول، كما تزين المساجد وتضرب الطبول ويقوم العلماء بإلقاءالمواعظ والدروس على الناس، والتعرض لحياة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال قص سيرته للعظة والاعتبار ([3]). وقد أورد الشيخ باي ذلك في نوازله عندما سئل عن حكم الاحتفال بالمولد النبويالشريف فقال " وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يكون مما يفهم منه الشكر لله تعالى على نحو ما تقدم ذكره وإنشاد شيء من مدائحه وما ألحق بها من الأشعار الوعظية والزهدية المحركة للقلوب على فعل الخير والعمل

([1])باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 603.

(2) آدم الألوري عبد الله، الإسلام في نيجيريا،القاهرة، دار المعارف، ص 30.

(3) أحمد امطير سعد غيث، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، بيروت، المدار الإسلامي، 2005، ص 329.

للآخرة، وأما ما يكون مع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان منه مباحا بحيث يقصد به السرور بذلك اليوم فلا بأس به"([1]).

هـ- الاحتفال بعشرينيات أبي زيد الفازازي([2]):

حفل السودان الغربي بالعديد من الشخصيات ذات الفضل على المنطقة وسكانها من بين هذه الشخصيات أبي زيد الفازازي، حيث يتجلى ذلك عشرينيات أبي زيد، وهي كما قال كارل بروكلمان عن مؤلفها الفازازي :" لأن هذا الكتاب كثير التداول في السودان لصقت بصاحبه أسطورة أنه رسول الإسلام هناك" ([3]).

لقي كتاب الفازازي "القصائد العشريات" شروحا كثيرة من بينها "النفخة العنبرية في حل الألفاظ العشرينية" للشيخ محمد بن مسنة البرنوي، "شرح تخصيصات المعشرات الفازازية" لأبي العباس التنبكتي والد أحمد بابا التنبكتي. والقصائد العشرينية قصائد متساوية مرتبة على حروف المعجم الأندلسي يشتمل

---

(1)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 59.

(2)الفازازي أبو زيد عبد الرحمان بن أبي سعيد يخلفتن بن أحمد بن تنفليت الفازازي نسبة إلى جبل فازاز بقبلي مكناسة الزيتون وإليه ينتمي أصله ونسب أسرته إلى يخبش أو يخفش، ولد بقرطبة سنة 550هـ، تعلم في تلمسان قبل 576هـ على يد عبد الله التجيبي المتوفى سنة 610هـ. انتقل من تلمسان إلى فاس وأخذ عن شيخه علي بن عتيق المتوفى سنة 598هـ. توفي الفازازي بمراكش في شهر ذي القعدة سنة 627ه. ترك آثارا أدبية أغلبها في الزهد والمدائح والمواعظ والشفاعات، أهمها ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهي القصائد العشرينية التي ألفها في حاضرة قرطبة سنة 604هـ. وقد خمسها الشيخ أبو بكر بن مهيب. كارل بوكلمان، تاريخ الأدب العربي. نقله إلى العربية عبد الحليم النجار. القاهرة، دار المعارف، ج5، ص 131.

(3) كارل بروكلمان، المرجع نفسه، ج5، ص 132.

كل منها على عشرة أبيات. ذاع صيت تخميس عشرينية أبي زيد الفازازي في جنوب الصحراء الكبرى وبخاصة في غرب إفريقيا يقرأ في عيد المولد النبوي الشريف في مساجد وبيوت المدن المالية بعامة وفي تنبكت بخاصة ([1])، يذكر الشيخ باي الاحتفال بهذه المناسبة فيقول" وقد كان أهل تنبكت من أكثر الناس اعتناء بإنشاد عشرينيات ابن أبي زيد الفازازي وتخميسها في المساجد والبيوت ولم نسمع بإنكار أحد من علمائها الذين بلغوا في العلم والدين الغاية القصوى بل كانوا ممن يتعاطى ذلك بأوراد معلومة فيما بلغنا"([2])،يحتفل بها الناس كباقي الاحتفالات الأخرى.

أول القصيدة قوله:

أيا غافلا والموت بالقرب يطرأ أهمك مرعى في مريبك يمرأ

أجـدّك لم تـعمل بما كـنت تـقرأأجدّت بك الأيام والنفس تهرأ

كأنك من خطب المنون مبرأ ([3])

وآخرها :

يراهم زيوفا ذو الحجا بعد نقدهم يضيعون عمرا في هواهم ورقدهم

(1) عبد الحميد عبد الله الهرامة ، آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي ، نصوص أدبية من القرن الهجري السابع. جمعها بعض تلامذته في حياته، بيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر، 1991، ط 1، ص 16.

([2])باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 61.

(3) عبد الرحمان الفازازي، القصائدالعشريات، بيروت، المكتبة الشعبية، د ت، ص 3.

يضاهون أهل الحق زعما بعقدهم ينادي الحجا أهل الحجا بعد فقدهم

وهيهات ما في الحي بعدهم حي ([1])

و- ختم القرآن:

من المناسبات التي لها شان في السودان الغربي ختم الصبي للقرآن، حيث يقيم له الأسرة وليمة كبيرة، يستدعى إليها الضيوف ويلبس الصبي أحسن ثيابه، ويحمل على دابة ويطاف به في الحي، وكل بيت يمرون عليه يقدم له هدية، وقبل ليلة القدر بأيام يلبس طلبة القرآن أحسن ثيابهم ويطوفون بالقرية، وكل من يأتوه لداره يمنحهم بعض الهدايا للشيخ من نقود أوحبوب ([2])

6- آفات المجتمع وقيمه:

عرف المجتمع السوداني الكثيرمن الآفاتالاجتماعية،والتيكانتلهاأسبابهاوظروفها،لعلأهمهذهالأسباب،الجهلبتعاليمال دين الإسلامي،لكن هذالميمنعمنوجودفيالمقابلالكثيرمن القيمالإسلامية،وهذابفضلجهودعلماءالسودان الغربي.

- **الآفات الاجتماعية:** لم يخل مجتمع السودان الغربي كغيره من المجتمعات، من آفات اجتماعية كما لم يخل من مظاهر إيجابيق، ومن أبرز هذه الآفات:

ا- ظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء:

---

(1)المرجعنفسه. ص ص 155- 156.

(2)مبارك جعفري، المرجع السابق. ص 222.

يذكر ابنبطوطة أن بنات عم السلطان كن يدخلن عليه عرايا، ومصاحبة الرجال للنساء كان منتشرا، حيث يذكر أنه ذهب لزيارة أحد أصدقائه من المسلمين، وبينما هو عنده طرق طارق الباب، ففتحت له امرأة الباب، ثم شاهدهما في خلوة في ساحة البيت،فسال صديقه: من المرأة؟ قال: تلك زوجتي، قال: ومن ذلك الذي معها قال: صديقها، قال: أو تعرف أن هذا حرام في ديننا، قال: "نحن نثق في نسائنا"، فخرج ابن بطوطة غاضبا من عنده عازما أن لا يعود إليه ([1]).

والرضا بمثل هذه السلوكيات لا يعمم، حيث نجد أنه وفي القرن التاسع عشر يشير الشيخ باي في نوازله إلى مثل هذه الحالات، ومنها أنه من عادة النساء في بعض القبائل الجلوس مع الأجانب، لدرجة أن بعض الرجال كانت تأخذهم الغيرة فيحلفون بالطلاق لزوجاتهم إذا وجدوهن مع رجل أجنبي، فقد ورد سؤال إلى الشيخ باي أن رجلا حلف بالطلاق على زوجته إن رأيتك جالسة مع رجل على فراش واحد([2]).

وفي كثير من الأحيان كان الرجل يلجأ إلى ضرب زوجته لأجل ذلك([3])، كما أشار الشيخ باي أيضا في نوازله إلى خروج بعض النساء مكشوفات الأطراف بغير حجاب ومخالطتهم للرجال والتحدث إليهم، ما حكم نسائنا أهل

---

(1)ابن بطوطة، المصدر السابق ص 394

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة433.

(3)المصدر نفسه. ورقة 445

البادية هل يجوز لهن حجب أشخاصهن؟ ([1])، كذلك ترك الزوجة تخرج مكشوفة الأطراف بين السفهاء وهو حرام لا يجب السكوت عليه ([2]).

في موضع آخر أشار إلى وجود بغايا، خاصة بعد دخول المحتل الفرنسي، كن يمارسن الدعارة،وكانيخصص لهن رواتب ([3])، كما لجأ بعض الرجال إلى حيلة الإخوة في الرضاعة للقاء النسوة ومصافحتهن أمام الناس بحجة أنها أخته،وقد أجاب عن حكم من يسلم على امرأة وتسلم عليه على انها محرم له ومكثا على ذلك مدة من السنين وبعد ذلك تزوج بها، بأن زواجه فاسد([4]).

ب- ظاهرة السلب والنهب:

لقد أشار الشيخ باي بن عمر إلى بعض هذه الظواهر في نوازله، وقبل هذا نعرج على هذه الظاهرة، فهي قديمة خاصة في حالة غيابالسلطة الرادعة، يذكر ابن خلدون أن اللجوء لهذا النوع من التكسب في مثل هذه المجتمعات يعود إلى الجدب والجفاف وقلة الوازع الديني، وأن الناس تنتهب ما قدرت عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر، وكل صعب عليهم تركوه لما هو سهل ([5]).

---

(1) المصدر نفسه. ورقة 750.

(2)المصدر نفسه. ورقة 388

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 744.

(4)المصدر نفسه. ورقة 459.

(5)ابن خلدون، كتاب العبر، ج 1، ص 186.

يبدو أن ظاهرة التعدي والسلب قديمة بين قبائل الملثمين في الصحراء، حيث يورد لنا الونشريسي في نوازله مثل هذه الفتاوى، ففي هذه الفتوى أن أهل الصحراء من المرابطين يبغي بعضهم على بعض حول المال المتوارث([1])، وفي فتوى أخرى استفتاء مرابطي الصحراء عن مسألة غصب نزلت عندهم عن ماشية وكيف يمكن التحلل منها([2]).

أما الوزانفقدبالغفيوصفهذهالظاهرةفقال:
"يقضيهؤلاءالقومحياتهمحتىالموتفيالصيد،واختطافجمالأعدائهم"([3]). ويوثق لنا الشيخ باي مثل هذه الغارات فيقول:" أما الحاج عمر رحمه الله، فقد فعل أفعالا عظاما سامحنا الله وإياه، إذ أباد أمما جمة، واستأصل أعيان أهل الشيخ أحمد لب، وقتلت جيوشه علماء أكابر من تنواجب، منهم محمد رار العالم الصالح، وسبا أمما من العرب، واسترق أبناءهم ونساءهم، وقد كان من أهل العلم والاجتهاد في العمل" ([4]).وقال أيضا:" حتى نزل بقرب تنبكت ليكف إخواننا كلّ انتصر عما شرعوا فيه ذلك الزمن من سفك الدماء وهتك الحرمات" ([5]).

---

(1) الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، الرباط، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1981، ج10، ص 449.

(2) المصدر نفسه، ص542.

(3)الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص58.

(4)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 176-177.

(5)المصدر نفسه، ورقة 199.

هذابالر غممنأنهؤ لاءاللصوصوقطاعالطرقكانوايهابونالعلماءوأهلالفضل، ومنشاءتبركته،ولايقتربونمنهمولاممنيحتميبهم خوفامندعائهم، مثل الشيخ عثمان بن عمر الولي بن الشيخ في أروان، والشيخ مولاي زيدان بن محمد بن مولاي أحمد ([1]).

وكثير من القبائل اتخذت من السلب والنهب مهنة تمتهنها، وحرفة تقتات منها، وأصبحوا يشكلون طبقة تعرف بالطبقة المحاربة، عملهما اقتناء السلاح، وما يأخذونه من المغارم، أو ما ينهبونه من الأعداء، وما عدا ذلك فهو عيب عندهم، من تجارة، أو حرث، أو اقتناء ماشية ([2]).

نتج عن غارات السلب والنهب استرخاص الدماء وانتشار ظاهرة الثأر الذي حاربه الإسلام، ففي بعض الحالات يقتل العشرات مقابل شخص واحد، فقد قتلت قبيلة كنتة عشرين فردا من قبيلة الأنصار، مقابل شخص واحد من كنتة([3]). ولئن كان العرب يأخذون الديات مقابل الأرواح، ويصلحهم بذل المال، فإن ذلك من المحال عند الطوارق، وقد ذكر هذا الشيخ المختار الكنتي عن الطوارق في رسالته لرئيس أولاد داوود ([4]).

---

(1)البرتلي، المصدر السابق. ص ص 99-195

(2)محمد المختار ولد السعد، الفتاوى والتاريخ دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2000، ص 65.

(3)جعفري مبارك، المرجع السابق. ص 232.

(4)المرجع نفسه، ص 232.

ج- استفحال السحر والشعوذة:

منالظواهرالسيئةوالسلبيةفي مجتمع السودانالغربيالسحروالشعوذةوقدذكرالرحالةالقداموجودهذهالظاهرةكونالمنطقةلمتكنقدتأثرتبشكلكبيربالإسلاممنجهةومنجهةأخربمجاورةالمسلمينلغيرهممنالوثنيينوممنيعتقدونفيالسحروالشعوذةوسيلةلعلاجالأمراضوطردالأرواحالشريرة،وهومنتشرعندالناسعموما، وعندالنساءخصوصا،حيث يذكر الإدريسي أن مدينة كوغة مدينة مشهورة بالسحر، خاصة بين نسائها، لأنهن به عارفات، وعليه قادرات([1]).

أما العمري ابن فضل الله فيصف المنطقة بأن السحر فيها كثير وفي كل وقت يتحاكمون بسببه ويقال أن فلانا قتل بالسحر([2]). وفي حرب الصنغي ضد جودر، ورغم أن الصنغي مسلمون فقد كانوا يعتقدون اعتقادا كبيرا في السحر، ولذا ذهبوا إلى المعركة يصحبهم جماعة من السحرة ([3]). وقد ورد عند الشيخ باي وعد شديد ولعنة لمن مارسه فقال" فهذا السحر الصريح له تأثيرات وهو ملعون وملعون صاحبه" ([4]).

---

(1)الإدريسي، المصدر السابق.ص27

(2)العمري، المصدر السابق.ص64.

(3)زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968، ص203.

([4])باي بن عمر،مخطوط النوازل. ورقة 561.

وكانمايميزالساحرفيهذهالمجتمعاتأنيحملمعهكيسامنجلدالماعز يجمع فيه أدواته التي يستعملها في السحر من أصداف وقرون حيوانات وخيوط وجذور نباتات وغيرها ثم يضعها على الأرض ويبدأ في تقديم عروضه وخدماته لطالبيها، ثم يبدأ بكتابة طلاسم وتعاويذ وتمائم لاستحضار البركة وإبعاد الشرور وجلب الحظ خاصة لمن فاتها الزواج أو تعطلت أعماله أو يئس من الإنجاب وكذا لمعالجة الأمراض البدنية والنفسية ([1]).

كماعمتظاهرةمقصدهاالعلاجبالقرآنلكناستخدامهايعارضماجاء فيالقرآن،وهومايسمىبالمعزموهوكتابةبعضالطلاسموالتعويذاتفيورقةتسمىالحرز ،حيثتستخدمهذهالحروزفيحلكلمايواجهالشخصمنمشاكلويجلبلهالحظويحققلهالطلبويشفيمنالأمراضوتبعدعنهالعينوكذلكعودةالضالةمنالماشيةأوإيجادماضاعمنأصحابه والذي يعرف في بعض المناطق بالتثقيفة، فحواه أن الدابة الضائعة عندما يتم تثقيفها لا تخرج من الحي ([2])، ثم أخذت هذه الحروز منحى آخر فصار بعضها يدفن مع الميت بزعم أن فيها جواب لمنكر ونكير ملكا القبر فقال" إعلم أن الكتاب الذي يكتبه بعض الطلبة لجواب الملكين لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأمر به ولم يفعله أصحابه بعده ولا أئمة الدين وإنما اعتنى به وبأمثاله عوام الطلبة الذين اشتغلوا بأكل أموال الناس بالباطل"([3]).

د- انتشار التبغ وتعاطي المنط:

---

(1)نعيم قداح، المرجع السابق. ص 40.

(2)باي بن عمر، المصدر السابق، ورقة 563-564.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 228.

من الآفات الاجتماعية التي ظهرت في السودان الغربي والتي يذكرها الشيخ باي انتشار التدخين وتعاطي المنط. فقدظهر التبغ في تنبكت في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، ودخلت إلى الغرب بعد حملة المنصور على السودان، وذلك أن أهل السودان الذين قدموا بالفيلة يسوسونها، قدموا بها يشربون التبغ ويزعمون أن فيها منافع كثيرةفانتشرت في مراكش وبلاد درعة ([1]).

كذلك انتشار تناول مادة المنط، وقد كانت عبارة عن عشبة يتناولها الناس، فبعضهم ترقده، وبعضهم تسكره، وقد اختلف في حرمتها في البداية، لكن لما ثبت أنها تسكر، وأنها تذهب العقل، صدرت الفتوى بحرمتها، وقد أفتى بحرمتها الشيخ باي بن عمر في نوازله، فقال المنط لا علم لنا به وحاصل الأمر أنه إن لم يكن مما يؤثر في العقل فلا كلام في حليته وإن كان يزيل العقل فإنه ينظر فإن كان مرقدا أو مفسدا حرم المؤثر منه في العقل دون ما لا يؤثر فيه، وإن كان مسكرا حرم قليله وكثير هو حكم بنجاسته، واعلم أن المنط جزم لي كثير ممن يعرفه مسكر، وقد قال صلى الله عليه وسلم ما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام، وعلى هذا فالمنط مسكر وكل مسكر خمر والخمر نجس([2]). وقد أفتى غير الشيخ باي بن عمر بحرمة هذه المادة، فقد

---

(1)السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 5، ص 126.

(2) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 86-87-88.

قال الشيخ محمد محمود الأرواني أن المنط من المخدر والمخدر قليله حلال والحرام منه ما يؤثر في العقل، وكذلك إن كان من المرقد.([1]).

هـ- الأمراض والأوبئة في السودان الغربي وطرق العلاج منها:

إن موقع ومناخ السودانالغربي المتباين بين الحرارة والجفاف في الشمال والرطوبة فيما يقابل الأنهار والظروف الطبيعية الصعبة والقاسية، يشكل بيئة مناسبة لانتشار الأوبئة المتعددة والأمراض الكثيرة. فقد ذكر حسن الوزان أن تنبكت يمرض فيها الناس كثيرا بسبب هواها الموبوء ([2])، كما حدثنا القلقشندي عن انتشار مرض النوم، وهو كثيرا ما يصيب السكان، حيث أن المصاب ينام نوما طويلا حتى لا يكاد يفيق وهو يصيب الرؤساء خاصة ([3])، ولما قدم التنلاني عبد الرحمن بن عمر إلى تاودني مرض بسبب ملح مائها وقبح عيشها وقلة زرعها وأشجارها ([4]).

وكثيرا ما تظهر هذه الأمراض وتنتشر، فيسارع الناس إلى أصحاب الفضل وأهل الخير والصلاح يلتمسون منهم الدعاء ليرفع الله عنهم البلاء. وقد انتشرت كثير من الأمراض الفتاكة التي أودت بحياة الآلاف من الناس، ففي 990هـ/1582م ضرب تنبكت طاعونا مات من جرائه خلق كثير([5]). وبين

([1]) الأرواني محمد محمود، أرشيف القاضي محمد محمود الأرواني، ورقة 2.

(2)المصدر نفسه، ج2، ص152.

(3)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص297.

(4)فليكس ديبوا، تنبكت العجيبة، ص201.

(5)السعدي، المصدر السابق، ص113

سنتي (1107هـ-1696/1108-1697م) تعرضت تنبكت لطاعون آخر هلك فيه أناس كثيرون ([1]).

كذلك ظهرت أمراض أخرى إضافة إلى الطاعون، مثل الحمى الشوكية، والحمى الصفراء، والحمى المعوية، والحمى الراجعة وحمى التيفوس ([2])..

في 1307هـ/1890م أصاب الناس في الحمى مات بسببها خلق كثير من الناس حتى صار ذلك العام يسمى عام الحمى ([3]). كما ضربت عام 1241هـ/1826م جائحة من حمى سارية في قبيلة الشيخ سيدي محمد بن المختار الكنتي أدت بحياته وحياة الضابط الإنجليزي لينق وتاجر أغادمسي يسمى باباني كانا في ضيافته ([4])، ومن الأمراض أيضا مرض يسمى المقاطة، وهو طاعون شامل في الصحراء لا يمكث صاحبه إلا قليلا ويموت، وقد ضرب منطقة التكرور ويعود سبب هذا المرض إلا تشنج يصيب المريض فتتمدد أعضاؤه ثم تنقبض، ويصاب بالحمى ثم يموت، ويتسبب هذا المرض في موت الكثيرين ([5])

---

(1)البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص140.

(2)حسن علي إبراهيم وآخرون، معجم المصطلحات الطبية، ط2، ج2، ص ص202-204.

(3)الأرواني، تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان، ص 176.

جعفري مبارك، المرجع السابق. ص158.

([4])بولمارتي،كنتةالشرقيون.ص81

(5)المختار بن حامد، حوادث السنين. ص 230. ابن طوير الجنة، تاريخ بن طوير الجنة، ص 84.

جعفري مبارك، المرجع السابق، ص157.

منالأمراض كذلك مرض الجدري وهو مرض معد وقاتل، يصاب المريض بالعمى وتشوهات خطيرة على الجلد، من أعراضه التعب وارتفاع درجة حرارة الجسم، وظهور طفح على الجلد. وقد أفتى الشيخ باي ويره من العلماء بمنع استعمال الماء خوف الهلاك فقال" من به مرض عرف بالعادة أن صاحبه يستضر بمس الماء لجسده كالجدري إذا اغتسل تصيبه الحمى أو النزلة أو ما هو أعظم من ذلك وأشد فإنه يتيمم وجوبا إن خاف الهلاك ولا خلاف في ذلك" ([1]).

وقد كان الناس يعالجونه بدخان الطرفا فيمنع انتشاره على العين، وكذلك دقيق اللوز إذا ذر في اليوم السابع، وملح الطعام إذا حل في ماء وبل به ثوب المريض وجفف في الشمس ولبسه المريض لمدة سبعة أيام برئ منه، وأفضل الأغذية لصاحب الجدري العدس وجمار النخيل والورد اليابس إذا سحق ناعما وذر على صاحب الجدري والحصبا، كما يحل صدا الحديد بماء ويلطخ به موضع الجدري ([2]).

ومن الأمراض أيضا الجرب، وهو مرض جلدي معدي بسبب بثور صغيرة على الجلد، يعزل من يصاب به عن الناس، ولا يسمح له بالدخول إلى الأماكن العامة والمساجد، كما يخصص له مكان معين حتى يشفى ولا ينتقل إلى مكان آخر ([3]). يورد لنا الشيخ باي بن عمر في نوازله بعض الأمراض

([1])باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 116.

(2)جعفري مبارك، المرجع السابق.ص ص159-164-165.

(3)René Caillie ;journal d’un voyage àTemboctou .Op ,Cit, p114.

مثل الجنكور ([1])، وهو من الأمراض الخطيرة يصعب علاجه يمنع الصيام في بعض الأحيان، وقد سئل عنه الشيخ باي فقال:" إن الداء الذي ذكرت داء عياء لا ينقطع سلاه ولا تؤمن غائلته، إن طال أمده، أما استعمال الماء فإن رأى منه مضرة فإنه يتركه وجوبا". ويظهر هذا المرض في المناطق التي يعيش أصحابها على تناول الحليب ([2])، ومن الأمراض الواردة في النوازل أيضا البّابوش (امشراي) مرض يمنع من الصوم ([3])، وكذلك البهق وهو من الأمراض الجلدية وإذا لم يداوى يتحول إلى برص ومن ثم يتحول البرص بدوره إلى جذام ([4]).

قدح العين، وهو جلدة تصيب العين، وكان أهل الفلوات يظنون أنه العمى ([5]). فقد جاء الفقيه محمد السعدي بن عبد الله بن عمر من أرض جني لقدح عينيه عند مجيء الطبيب إبراهيم السوسي لمدينة تمبكت، وكان هذا الطبيب مشهورا بحذقه في معالجة أمراض العينين، وقد سبق لت شهرته إلى السودان، فتوافد عليه المرضى من كل صقع، وكان من بين من قصدوه الفقيه محمد سعدي فلما تسبب له الطبيب المذكور فرج الله عنه وأخرجه من

---

(1)بايبنعمر،مخطوط النوازل.ورقة 129.

(2) محمدحوتية،قبيلةكنتةبينإقيميتوات والأزواد، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1992-1992، ص57.

(3)باي بن عمر،المصدر السابق. ورقة297.

(4) باي بن عمر، مخطوطالنوازل. ورقة298.

(5)المصدر نفسه. ورقة 560.

ظلمة البصر. وهذا ما دفع بالفقيه إلى إعطاء طبيبه مقادير كبيرة من الذهب ([1])

قيم المجتمع الإيجابية:

تميز السودان الغربي بعد دخول الإسلام إليه، وتحويل عاداته وتقاليده ووزنها بميزان الإسلام، تميز بنبل الأخلاق وإنسانية القيم، وانتشار كثير من العادات الحسنة، التي لا تخلو من القيمالإنسانية، وانتشار فضائل ومكارم الأخلاق، ومن بينها:

ا- تمسك الناس بالإسلام:

اشتمل الدين الإسلامي على مجموعة من المبادئ التي تتعلق بالعقيدة والإيمان والسلوك، وهذه المبادئ جذبت الأفارقة إلى هذا الدين. وقد نقل الدعاة المسلون الإسلام بجانب إخوانهم المهاجرين والتجار. يقول ديشان في كتابه الديانات في إفريقيا السوداء :" ...وقد يسر انتشار الإسلام أمر آخر هو أنه دين الفطرة بطبيعته، سهل التناول، لا لبس فيه ولا تعقيد في مبادئه، سهل التكيف والتطبيق في مختلف الظروف، ووسائل الانتساب إليه أيسر وأيسر، إذ لا يتطلب من الشخص لإعلان إسلامه سوى النطق بالشهادتين حتى يصبح في عداد المسلمين ([2])

---

(1)عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص293.

(2)أبو سعد عبد السلام، أهم العوامل التي ساعدت في انتشار الإسلام في إفريقيا، مجلة كلية التربية، عدد 16، سنة 1982، جامعة الفاتح، طرابلس، ص 118

عرف عن الكثير من سكان غرب إفريقيا تمسكهمبالإسلام والشهادات عل ذلك كثيرة، خاصةمنقبل

أعداءالدينالإسلامي،فهاهولابيرينLaperrineيلخصذلكفيشهادةامرأةمنطوارقالهوقا رحينقالتللراهب فوكولدشارل (CharlesFoucauld) بعد أن أنقذ أبناءها الخمسة من المجاعة " كم هو محزن عندما أتذكر أن رجلا رائعا مثل هذا سيذهب إلى الجحيم بعد موته لأنه لم يكن مسلما ([1]).

ثم ما دخل بعد ذلك إلى المنطقة من طرق صوفية متعددة، مع ما فيها من انحراف في بعض الأمور، إلا أن اجتماع الناس عليها، في كثير من الأحوال، والتسليم بما يقول أشياخها، خاصة بعدما لمسوا من جهود لهذه الطرق في الإصلاح والتعليم، ومحاربة الظلم والانحراف الأخلاقي وغيره، وكان من أبرز هذه الطرق القادرية التي كانت أكثر الطرق الصوفية انتشارا ثم تليها التيجانية، فالسنوسية، وقد كان بعض العلماء يسأل عن هذه الطرق، فيقول الواجب علينا التسليم بها.

سئل الشيخ باي عن التيجانية فقال:"حيا الله أصحابها، فهيمن طرق الحق التي لا يمترى في فضلها إلا مكابر،وهل هي إلاالتزام أذكار فاضلة والتعليق بولي مرشد إلى الله له همة نافذة وحالة جاذبة، وأما ما يقع بين الأكابر مما

(1)حسن مرموري، الطوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين ، الوادي،الجزائر، مطبعة مزوار، ط1، 2010، ص ص237-238.

مثاره اختلاف الأحوال، والواردات فليس لنا فيه دخل، بل لواجب علينا التسليم لهم وتأويل ما يصدر من ذلك عنهم([1]).

ولكثرة الطرق انتشرت ظاهرة الانتقال من طريقة إلى أخرى لسبب أو لآخر، وكان لبعضهم رأي في هذا الانتقال، فقد سئل الشيخ باي عن الانتقال من التيجانية إلى غيرها من طرق الأولياء، فقال أن هذا الانتقال عن أي طريق تمسك المرء بها غير صواب، وهو قول جميع أهل الطرق ([2]). ولأهميتها كانت الدعوة إلى الدخول في هذه الطريقة عمل جبار يتقرب به إلى الله([3]).وقد نتج عن هذا التمسك بالدين مظاهر كثيرة منها:

ب- إصلاح ذات البين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة، فقال أبو الدرداء قلنا: بلى يا رسول الله، قال: " إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هو الحالقة"رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث صحيح. فقد يحدث أن يختلف الناس، ويتحول هذا الاختلاف إلى صراع ونزاع، يسرع بعض الناس للإصلاح بين المتخاصمين أو القبيلتين. يورد لنا محمد بن المختار الكنتي أنه عندما حاصرت قبائل من تادمكة مدينة تمبكت تدخل الشيخ المختار الكنتي

---

(1)باي بن عمر، مخطوط النوازل.ورقة 41

(2) المصدر نفسه. ورقة 42.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 44.

وأرسلأعيانمنكنتة،ومعهمألفمثقال،وألفثوب،وعشرةأفراسإلىرماةتادمكةليعودوا عنتنبكتويقعالصلح،وفعلاقبلالرماةماقدمهالشيخووقعالصلح ([1]).

ج- التكافل الاجتماعي:

ممايميزمجتمعالسودانالغربيظاهرةالتكافلالاجتماعيوالتيأخذتأشكالامختلفة،ف فيمايخصالجانبالعلمي،فقدكانبعضالعلماءيتكفل بالإنفاقعلىالطلبةالمعوزينلتحفيظهمالقرآن، حتى لا يحرموا من هذا الفضل،وكذلكالإيواءالأراملوالأيتام.

يذكرلناالشيخبايبنعمرمنبينهذهالمظاهر،ردمالالمغصوبلأهلهبقتالوبدونه،وقديأخ ذمقابلاعلىذلك، يصل إلى حد النصف عند بعض القبائل، والثلث عند البعض، وإن مات شخص وهو في هاته المهمة، فديته على أصحاب المال، وكان رأي الشيخ المختار بأن لا يؤخذ على ذلك مال، لأنه من باب التعاون والتناصر([2]). كذلك ضمان الغائب في غيبته في المسائل المختلفة ([3]).كذلك كثرة الوصايا بالثلث للوصي كأن يوصي بإخراج قدر معين من المال على سبيل الكفارة أو الصدقة ([4]). فيما بعضهم يوصي ببقرة يتصدق بهاعليه بعد موته بلفظ الكفارة

---

(1)محمد الخليفة بن المختار الكنتي، الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد. ورقة244.

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل.ورقة 559.

(3)المصدر نفسه. ورقة 530.

(4)المصدر نفسه.ورقة718.

كما هو عادة القوم فتذبح تلك البقرة([1])، وآخر يوصي بمال يعطى لعابري السبيل، وبعضهم يوصي بمال يخرج عنه لأقاربه المعوزين ([2]).

كان من بين السكان من الآباء، من يهب لبناته بعض الأشياء على سبيل المودة والشفقة، لضعف المرأة، وقلة حيلتها في كثير من الأحيان، مقارنة بالرجل وعملا بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:" استوصوا بالنساء خيرا" ([3]) ومن عاداتهم أيضا أنه في حالة وجود قتيل في قبيلة من القبائل فإن القبيلة تتحمل دية القتيل الذي قتله أحد أفرادها، أو يتحمل شخص دية شخص آخر ويبقى في رقبته إلى أن يقضيه، وفي حالة موت المدان يأتي الدائن يطلب من المتحمل يقضي له دينه ([4]).

ومنالمظاهرالاجتماعيةظاهرةانتشارالرضاع([5])،حيثكانتتمنحللمرضعات أجرة مقابل إرضاعها للطفل حيثكانتتقدرفيبعضالأحيانببيضةفيالشهر([6])، وهوثمنزهيدجدالكنهيدخلفيإطارالتكاتفوالتعاونفمنلاتستطيعأمهإرضاعهتتكفلبهج ارة أو قريبة من أهله ويصبح ابنها من الرضاع، وقد ينجر عنه مشاكل فيما

---

(1)المصدر نفسه. ورقة 239.

(2) المصدر نفسه. ورقة 719.

(3) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 248.

(4)المصدر نفسه. ورقة 526.

(5) المصدر نفسه.ورقة453

(6)المصدر نفسه. ورقة462.

بعد عند الزواج فيختلط الأمر على الناس وتختلط الأنساب وبالتالي ينجم عن هذا كله الطلاق ([1]).

ولم يقتصر التكافل الاجتماعي على الأفراد، بل تعداه إلى المؤسسات والهيئات، فقد كانت الزوايا والرباطات كما قلنا في غير هذا الموضع، تقوم بإيواء وإطعام الضيوف، وعابري السبيل، ومن شردتهم الحروب من الأرامل والثكالى ([2]). كذلكعرفتالمناطقالصحراويةذاتالندرةفيالمياه، تنافس أهل البر فيحفرالآبار، والسهرعلىترميمهاكلماغطتهاالرمالللاستعمالها في الشرب وفي سقي المواشي ([3]).

د- الجودوالكرم:

بالإضافةإلىكونأهلالسودانالغربيمسلمينميزتهمالكرموحسنالضيافة،فقدساعد تعواملأخرىعلىانتشارهذهالفضيلة،وهيظروفالصحراءالقاسية،وبعدالمسافاتحيثت قلمحطاتالتزودبالماءوالغذاءومنازلالراحة.
فقدذكرديبوأنأهلتنبكتيقومرجالهابتدبيرالإقامةالمجانيةللضيوف،ولأيتاجرغريبل مدةثلاثةأيام،حيثيعاملفيهاالضيفمعاملةحسنة وبأسلوب راق،وفياليومالرابعيدلهالمضيفليستأجرأحدالمساكن، وربما مساكن

(1)المصدر نفسه. ورقة462.

(2)جعفري مبارك، المرجع السابق. ص225.

(3) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة105-106-131.

مضيفه،ولاتنتهيالضيافةهنا،بليخبرهبالأسعارالمساعدةومدىوفرتها،ويساعدهفيال
حصولعلىمشترياته وإيجار المساكن ([1]).

يفيدنا الرحالة ابن فضل الله العمري أن أهل السودان الغربي، أعيان الكرماء يفخرون بالشجاعة والكرم ([2])، كما ويورد لنا الوزان قصة تدعم ما قلناه، فحواها أن هؤلاء القوم في غاية الكرم، مع أن الناس
لايمرونبمضاربخيامهمإلاقليلا،وعندمرورهبأروان،جاءهأميرصنهاجيورحببه
م،وأمربذبحجمالصغيرةوغنم،وبعضالنعامات،وعندماأخبروهأنهملايأكلونلحما
لجمالقالأنهمنالعيباستضافةالضيوفبالحيواناتالصغيرة،ووضعواأمامهماللحمالمش
ويوالمطبوخ،ومعهكمياتكبيرةمنالتوابلوالأعشاب،والخبزمعجونمنخالصالدخنوال
ذرة،ووضعوابينأيديهمالتمرواللبن،وحضرالأميرالوليمةبنفسهإكراما لهم([3]).

---

(1)فيليكس ديبوا، تبكت العجيبة. ص 205

(2)العمري بن فضل الله، المصدر السابق. ص81.

(3)حسن الوزان، وصف إفريقيا. ج 1، ص 60.

الفصل الثاني:

الحياة العلمية والدينية

1- مراكز الدعوة والتعليم

2- التعليم وطرقه

3- الإجازة العلمية

4- الرحلة للحج ولطلب العلم

5- التصوف والطرق الصوفية

6- المقررات العلمية

انتشر التعليم في السودان الغربي رغم أن الظروف في كثير من الأحيان لا تساعد إلا أن هذا لم يمنع من تحصيل ولو القليل من العلوم والمعارف ابتداء من تعلم الكتابة وقراءة القرآن، وقد كان العلماء يفتون بوجوب طلب العلم ولو بغيررضاالوالدينففيإحدىنوازلالشيخبابيسألفيمنخرجلطلبالعلمبدونإذنوالديهفقالإلإذا كانمايطلبفرضعين وغيرموجودفيالبلدمنيعلمفليلحقبمنيعلمه([1]).

1 ـ مراكز الدعوة والتعليم:

تعددتمراكزالدعوةوالتعليمفيالسودانالغربي، ولاعجبفيذلك فهو ليسبدعامنغيرهمنمناطقالعالمالإسلامي، كالمشرق والمغرب والحجاز، وتمثلت هذه المراكز في:

ا- الكتـاتـيب:

الكتاب أو ما يعرف بالكتاتيب هو أول مكان من أماكن التعليم الإسلامي، كان الطفل يرسل إلى الكتاب والذي كان في الغالب يلاصق المسجد وقد يكون بعيدا عنه، ونادرا ما يكون داخل المسجد خشية عبث الأطفال بنظافة المسجد

---

(1) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة474.

وتجنيا للضوضاء ([1]) وكان يشرف على الكتّاب معلم، قارئ، حافظ، مثقف يتخذ من التعليم حرفة وقد يشترك أكثر من معلم واحد في كتّاب واحد إذا كان عدد الأطفال فيه كثير ([2])، كان الكتاب في الغالب عبارة عن غرفة أو غرفتان على الأكثر متواضعة الأثاث تتسع لعدد الأطفال الذين يشرف عليهم المعلم أو النقيب([3])، وقد تحدث البكري عن انتشار المحاضر الإسلامية والمدارس القرآنية في الأقاليم التي كانت تقع في جنوب غانة وغربها، وذلك قبل نشوب الصراع بين المرابطين وغانة حوالي 459هـ/ 1067م ([4])، وكان الطفل في العادة يبدأ يومه من الصباح الباكر بحفظ حزب من القرآن، ثم يبدأ بالنسخ والكتابة، والتمرن على تجويد الحفظ إلى وقت الظهر، ثم يعود للبيت من أجل الغذاء، ثم يستأنف بعد صلاة الظهر حتى فترة العصر([5]).

أما في غربي افريقية فقد ظهرت أنواع متعددة من الكتاتيب وبمسمياتمتعددة،فصاحب الفتاش محمود كعت يسميها مدارس معلمي الصبيان، حيث يذكر كثرتها فيقول:" وفيها مدارس معلم الصبيان الذين يقرؤون القرآن مائة وخمسين أو ثمانين مكتبا لتعليم الصبيان القرآن([6])،أما السعدي فقد سماها

---

(1) أحمد شلبي، التربية. ص 53-54.

(2) مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ص 281.

(3) أسعد أطلس، التربية والتعليم في الإسلام،ص65.

(4)أبو عبيد البكري، المغرب في بلاد إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، بغداد، مكتبة المثنى، د ت ن، ص 175.

(5) مهدي رزق الله، المرجع السابق. ص 282.

(6) محمود كعت، تاريخ الفتاش. ص 180.

محضرا([1])، وورد هذا اللفظ في معرض كلام السعدي، عن الفقيه أبي القاسم التواتي، أحد علماء تنبكت وأئمة مسجدها الكبير الجامع، فقال عنه:" ...فقد سكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة ليس بينها وبين داره إلا الطريق العتيق النافذ بعدما، ابتنى محضرا في قبالة المسجد لاصقا بها، وفيها كان يقرئ الأطفال ..." ([2]).وفي نوازل الشيخ باي ورد بلفظ المكتب فقال" اعلم أن صبيان المكتب لايكلفون بالوضوء لمس ألواحهم بل ولا لمس المصحف الذي يكتبون منه"([3]).وفي فصل الصيف كان المعلمون والشيوخ يأتون بالأطفال إلى الساحات الخارجية من المساجد، وذكر عن الشيخ سيدي يحي أنه كان يحفظ أطفاله وهو متكئ على صومعة الجامع، وإذا سقط المطر أدخلهم إلى المسجد([4]).

ولقد زار الرحالة ابن بطوطة مملكة مالي عام 752هـ/ 1352موكتب عنها، ومما نقل عنه قوله:" لقد عجبت بشدة عنايتهم بحفظ القرآن، وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنه حتى يحفظوه ولقد دخل على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقال له ألا تسرحهم، قال له القاضي لا أفعل حتى يحفظون القرآن"([5]).

---

(1) السعدي ، تاريخ السودان. ص 58.

(2)المرجع نفسه. ص 59.

([3]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 141.

(4) السعدي، المصدر السابق. ص 51. محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، ص 551.

(5) ابن بطوطة، المصدر السابق. ص60.

وفي منطقة الهوسا (نيجيريا الحالية) دخل مثل هذا النوع من المعاهد التعليمية مع دخول الإسلام فنجد الباحث النيجيري آدم الألوري يستخدم تعبير المدارس القرآنية عندما يتكلم عن التعليم في نيجيريا قائلا:" أما القراءة والكتابة فكانت تتعلمان مع القرآن في المدارس القرآنية التي كان يرتادها أطفال المسلمين ليدرسوا كلام ربهم وليستظهروه ..."([1])، ومثال لتلك الكتاتيب ما بناه العاهل الكانوي أبو بكر بن رمفا (973هـ-1565/980-1573) لتعليم القرآن وسماه جورون بوجاشي ([2])، إلا أن علي بن أبي بكر الباحث النيجيري يقسم مدارس تعليم القرآن نفسها إلى نوعين الأول هو الذي يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن فقط من غير حفظ ويسمى الكتاتيب والثاني هو الذي يحفظون فيه القرآن وأن الطفل أو الطفلة يلتحق بالنوع الأول عندما يبلغ أو تبلغ خمس سنوات يطلق عليها في العمر المحلي (مدرسة اللوح) لأن الصبيان يتعلمون فيها قراءة القرآن، وهو مكتوب على الألواح، وهذا النوع من المدارس القرآنية لا حصر له ([3]).

أما النوع الثاني فعدد قليل بالنسبة إلى الكتاتيب، يلتحق بها الصبي بعد إتمام مرحلة الكتاتيب، تقع هذه المدارس القرآنية خارج المدن أو القرى، فيبنون بيوتا من المواد المستخدمة محليا يسكنون بالقرب من فقيههم، والذي يتخرج فيها يمتحن في حفظ القرآن كله ([4])، أما شيخو أحمد سعيد فيسمي الكتّاب

---

(1) الألوري، موجز تاريخ نيجيريا. ص 94.

([2])مهديرزقالله،حركةالتجارةوالتعليمالإسلاميفيغربي إفريقية، ص288.

(3) علي ابن أبي بكر، الثقافة العربية في نيجيريا. ص 96.

(4)علي ابن أبي بكر، الثقافة العربية في نيجيريا.ص94.

بالمرحلة الأولية وبالمدارس القرآنية في آن واحد ([1]). وقد أشار الشيخ باي في نوازله إلى وجود صبيان في الكتاتيب لحفظ القرآن، حيث كان يسأل عن طهارة الصبي وحكم كتابته للقرآن،وهو على غير وضوء،فيجيء في قوله صبيان المكتب لا يكلفون بالوضوء لمس ألواحهم بل ولا لمس الصحف([2]). كما يظهر من هذه الفتوى مسمى آخر للكتاتيب وهو المكتب ([3])، ونقلا عن ابن العربي، يقول الشيخ باي بن عمر لا يجوز للمعلم المسلم المتشرع بشرائع الإسلام أن يلقن كافرا، وأين يجلس في المكتب معأولاد المسلمين ويسوي بينهم في الإلقاء([4]).

يروي كعت عن شيخه أن مدارس الصبيان كانت تتراوح بين 150 و180 كتّابا. ثم يذكر أنه حضر مكتب معلم اسمه علي تكريا بعد ظهر يوم الأربعاء، وهو يوم دفع واجبات المعلم ورأى الصبيان يأتون بخمس ودعات أو عشر حسب مقام أسرهم، وقد تحصل لذلك المعلم ويومها 1725 ودعا، وكانت تلك الرسوم تدعى حق الأربعاء ([5]). ولا يزال حق الأربعاء وقد يسمى حق الأربع مستعملا إلى يومنا هذا في مناطق كثيرة من المغرب العربي.

---

(1) شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. ص 70

(2) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 159 -162.

(3)المصدر نفسه. ورقة 139.

(4)المصدر نفسه. ورقة 16

(5) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي. ص 550.

وعند الفلانيين كان التلميذ يذهب إلى مزرعة المعلم مرة في كل أسبوع للاشتغال تطوعا دون أجر، وعادة يكون يوم الأربعاء، والأربعاء هذا يسمونه أربعاء المعلم ([1]).

كانت تتخلل فترة حفظ الصبي للقرآن ختمات يكرم فيها الصبي ويشجع، ففي ختم كل جزء تكون حفلة ختم، يخرج فيها الصبي من الكتاب مع أفراد عائلته وبقية الصبيان، تتبعهم الزغاريد إلى البيت الذي يعد فيه الأب وجبة الطعام([2])، ويتلقى المعلم جائزة هامة عبارة عن كسوة أو 500 ودعة. وفي بعض الأماكن الصحراوية كان من شدة اهتمام الأسر بتعليم أبنائهم القرآن ومبادئ الإسلام كانوا يتبعون نظام المشاركة أو المشاطرة والذي يعني أن المعلم ينال أجره من التمر أو الحبوب.

جرت العادة عند كثير من المسلمين أن يسلموا أبناءهم إلى مقرئ القرآن الكريم وذلك حتى وإن كان الوالد آية في الحفظ والإتقان، والغرض الرئيسي هو استئصال شعور الدلع والدلال من الصبي، فالتوسل والاستجداء لا يعني أن آباءهم عاجزون عن توفير المعيشة لهم، وإنما المقصد منه هو كسر أي تيه فيهم وترويض نفوسهم على شظف العيش، وإزالة أي أثر من آثار التكبر منهم، وآخر هو تعويد المجتمع على المشاركة في إطعام أهل القرآن، بل أهل العلم أجمعين. وصحيح أن المجتمع ليس متبرما بما يقدمه إلى هؤلاء الصبية،

---

(1) عمر محمد صالح الفلاني، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا. ص 105

([2]) Montiel V, La civilisation du chameau. 1948. P 153.

عكس ما يتصوره بعض الناس، لأنه مجتمع يعتقد أن الصدقة وسيلة لمحو الذنوب والتقرب إلى الله، وهناك أيضا شعور منهم بالمساهمة في خدمة القرآن ([1]).

وهذا ليس معناه أن المجتمع راض ومطمئن على هذا الأسلوب المتبع، فمعظمه ينتقده وينظر إليه على أنه أسلوب قديم يجب تغييره، ويرى أيضا أنه يجب البحث على وسيلة أخرى تضمن إيواء هؤلاء الصبية وإعانتهم على نحو أفضل وأشرف، فلا ينبغي لحملة القرآن وأهله أن يكونوا متسولين متطفلين يظهرون بمظاهر مزرية غير كريمة، ولكي لا تتحول هذه الظاهرة أيضا إلى عادة اجتماعية مألوفة. وقد دفعت هذه الظاهرة كثيرا من الناس إلى حرمان أبنائهم من مجالس القرآن وشيوخه ليحولوهم إلى المدارس الحكومية الأكثر تنظيما وعناية ورعاية بالأطفال، وهذه بداية تكوين الصبيان لمرحلة ما قبل البلوغ.

ب- المســـاجــد:

كانت عمارة المساجد الأولى في غرب إفريقيا تتميز بالبساطة والبعد عن الزخرفة، ولكن في عهد سلاطين مالي وملوك صنغاي جلب مهندسين معماريين من العالم الإسلامي، وخاصة من الأندلس، وبذلك صارت مباني المساجد كثيرة الزخارف والنقوش والكتابات وزيدت على المساجد المآذن ([2]).

---

(1)عمر محمد صالح الفلاني، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا.ص 96.

(2) علي محمد مختار، دور المسجد في الإسلام ، مجلة دعوة الحق ، السنة الثانية، العدد 14 عام 1402ه-/ 1981م، ص 6.

اعتبرت جميع مساجد السودان الغربي أمكنة للتعليم، وكان أشهرها:

-**الجامع الكبير:** يعتبر من أقدم مساجد تنبكت وأكبرها بني في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي (6هـ/12) بحسب ما ذكر السعدي([1])، وفي نصآخرللسعدييقولفيه:"أماالجامعالكبيرفالسلطانالحاجموسى(707-733هـ/1307-1332) صاحب ملي (مالي) هو الذي بناه، وصومعته على خمسة صفوف، والقبور لاصقة به من خارجه من جهتي اليمين والمغرب" ([2])، وعرف أيضا بجامع جانكوبر. وقد انفق عليه الشيخ العاقب أموالا طائلة، بلغت 67 مثقال إلا ثلث يوميا، ودام هذا البناء قرابة ثلث عام ([3]). وقد أعاد بناءه المهندس الأندلسي أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن([4])، الذي اصطحب منسا موسى أثناء عودته من الحج إلى غرب إفريقيا (724هـ/1324م)

- **مسجد جامع سنكري:** في تنبكت، كان هذا الجامع بمثابة جامعة لإفريقيا الغربية، وقد بنت هذا الجامع سيدة ثرية من قبيلة الأغلال من جبال أدرار

---

(1) السعدي، تاريخ السودان ص 21.

([2])المصدر نفسه.ص21.

(3)المصدر نفسه. ص ص 108-109.

([4])الساحلي: هو إبراهيم أبو إسحاق الساحلي، الأديب والشاعر، ولد بغرناطة ونشأ فيها، وقرأ على أعلامها، ولم يذكر الذين ترجموا له تاريخ ولادته، غير أن وفاته كانت يوم الاثنين 27 جمادي الأخيرة سنة 747هـ/ 1 أكتوبر 1346م . ينظر: محمد بن شريفة، من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، المغرب، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،ط1، 1999، ص ص 79 - 103

الصحراوية، لكن لم نجد لبنائه تاريخا ([1]). وقدذكرابنالمختار حفيد كعت فيترجمتهللقاضيالعاقببقوله:"وفيسنةتسعوثمانينوتسعمائةشرعفيبناءمسجدسنكري ([2]).

-**مسجد سيد يحي التادلسي:** والذي شيده محمد نفي من قبيلة آجر الصنهاجية وحاكم تنبكت من قبل سلطان التوارق آكل ([3])، ولما اكتمل تشييد هذا المسجد عين العالم سيدي يحي التادلسي المتوفى سنة 866هـ/ 1461م إماما له.

إضافة إلى مساجد أخرى لا تقل عنها أهمية في الدعوة الإسلامية، كمسجد خالد في مدينة تنبكت، وكان قائما عندما دخل جودر قائد الجيش المراكشي مدينة تنبكت ([4])، ومسجد القصبة الذي ولي إمامته الفقيه سعيد ابن الإمام محمد كداد سنة 999هـ/1590م بأمر من القائد جودر ([5]). وكذلك جامع التواتيين الذي تولى إمامته في فترة ما محمود بن محمد الزعراني التنبكتي ([6]).

ولقد ظلت هذه المساجد محل عناية الكثير من السلاطين والحكام وأثرياء البلاد بل وحتى كثير من العلماء، فقد أمد أسكيا داؤود المسجد الجامع بعدد من

---

(1)المرجع نفسه. ص 62.

([2])محمود كعت، تاريخ الفتاش. ص121.

(3) السعدي، المصدر السابق. ص 22

(4) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص122.

(5) السعدي، المصدر السابق. ص 146

(6) المصدر نفسه ص 215.

الأرقاء لأعمال البناء. وجعل النسوة من الإماء يقمن بنسج حصر المسجد وفرشه ([1]). كما ظلت المساجد منذ إنشائها تخضع لإصلاحات وترميمات وتوسعات تقتضيها الظروف وزيادة السكان والثروات وتطور العمران ([2]).وأحيانا وجدت بعض البيوت اتخذها النساء والمرضى مساجد للصلاة لا يصلون إلا فيها غالبا وقد أشار إليها الشيخ باي عندما سئل عن هل تجري عليه أحكام المسجد،أما المحل الذي يتخذه الإنسان في بيته ويجعله متعبدا يستحب احترامه ولا يجب تجب الجنب له اللهم إلا أن يجعله مسجد ([3]).

كما وجدت مساجد من دون سقف، رغم أن هذا النوع من المساجد غير موجود بشكل كبير، لكن حرص أهل السودان الغربي على القيام بشعيرة الصلاة جماعة متى تسنى لهم ذلك، فقد أورد ذلك الشيخ باي في إحدى فتاويه لمن سأله عمن فرضه التيمم هل له دخول مسجد غير مسقف ([4]).

ج-الرباطـــات:

الرباطلغةماربطبهوالجمعربط،ورباطات. والرباطوالمرابطة ملازمةثغرالعدو،وأصلهأنيربطكلواحدمنالفريقينخيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا وربما سميت الخيل رباطا ([5]).

---

(1) محمود كعت، المصدر السابق. ص 106.

(2) مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام،ص 314.

(3) باي بن عمر،مخطوط النوازل. ورقة رقم 160.

([4])باي بن عمر،مخطوط النوازل. ورقة159.

(5)ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 560.

أما المعنى العام لهذه الكلمة فهو المكان الذي يرابط فيه جنود المسلمين للترصد للعدو،وللدفاع عن الحدود ([1]). قال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ([2]).

وأخذالمسلمونيبنونمواقعلهمعلىالحدودالبريةالفاصلةبينهم

وبينالعدو، وعادةمايكونهذاالبناءمنطابقأوطابقين ([3])، ثمتطورهذاالمكانليصبحشاملالنواحيأخرىغيرالجانبالدفاعي،حتيغداالرباطيطلقعلىالمكانالذييرابطفيهالصوفيونوالعلماءللعبادةوالانقطاعإلىاللهتعالى،ونذرالنفسلتعليمالدينالإسلامىواللغةالعربية،وهكذاأصبحتالرباطاتتؤديخدماتدينيةوثقافيةوتعليميةكالوعظوالإقراءوالإفتاءومنحالإجازاتالعلمية،وتصنيفالكتب،إلىجانبدورهاالعسكري ([4]).

وفي معظم الأربطة كانت توجد مكتبة عامرة بالكتب والمصنفات في شتى مناحي العلوم، بالأخص في الجانب الديني، حيث أن القائمين عليها أنشأوا فيها خزائن الكتب، وعينوا لها الخزان، وأوقفوا عليها الأوقاف، وكلفوا عليها من يقوم بصيانتها وترتيبها ومناولتها، كان من أبرز روادها المتصوفون

---

(1)علي سعد إسماعيل، معاهد التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1986، ص 595.

(2) سورة آل عمران، الآية 200.

(3) ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، دار صادر، 1960، ج10، ص100.

(4)ناجي معروف،أصالة الحضارة العربية. بيروت، دار الثقافة 1975. ص 464.

المرابطون بالرباط، وكان يرتادها كذلك الكثير من الزهاد والطلاب المسافرين في طلب العلم ([1]).

وانتشرت الرباطات على طول ساحل إفريقيا من الإسكندرية حتسبتة، ومن سبتة إلى السنغال، ومن أهم هذه الرباطات الرباط الذي أنشأه الشيخ عبد الله بن ياسين في الحوض الأدنى من نهر السنغال([2]).

د- الزوايا:

ونظرا لأهمية الزوايا من الناحية الدينية، والتجارية، فقد استمر تأسيسها على ربوع الصحراء الكبرى، فصار طلاب العلم، والرحلات، ينتقلون من زاوية إلى أخرى طلبا للعلم، إلى أن يبلغوا مكة المكرمة للحج والعلم معا([3]). وصار لفظ الزوايا علما على قبائل كثيرة، منها قبيلة كنته، لأن أغلب سيرتها في طلب العلم وتعليمه، وتعمير الأرض، وحفر الآبار، وتسيير القوافل، وقري الضيف([4]).

---

(1)أمين حسن، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد، المكتبة الأهلية، 1965. ص 240

(2)علي الشطشاط، وسائل انتشار الإسلام، ص 487

(3) محمد الهيلة، " الزاوية وأثرها في المجتمع "، بحث منشور في المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، تونس، عدد 40- 43، سنة 1975، ص 100.

(4) الحمدي أحمد، المساهمة العلمية للمختار الكبير الكنتي بأزواد 1142- 1226هـ / 1729- 1811م.رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2007-2008م. ص14.

وقد تحرّجت قبائل الزوايا من أخذ مال الغير، كما أن التعليم، والإمامة، عندهم يكونان مجانا. أما القرآن، فلا يرون بأسا بأخذ الأجرة على تعليمه ([1]).فقد كان المختار الكبير، لا يأخذ الأجرة على تعليمه، تأسيا بعلماء السلف، الذين كرّهوا ذلك: " فأخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات كغسل الأموات، ودفنهم، وكذلك الآذان، وصلاة التراويح، وتعليم القرآن، وتعليم الشرع مكروه... لأن من حق هذه الأعمال أن يتاجر بها للآخرة، وأخذ شيء عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة "([2]) وهو رأي مالك بن أنس، الذي صرح بأن أخذ الأجرة على رعاية الإبل، أحب إليه من أن يعمل عملا لله بإجارة.

وكان للزاوية المختارية، ولقبيلة كنته ([3])، الدور الرئيس في نشر الإسلام، واللغة العربية، في أزواد، وغيرها من المناطق المحيطة ، وقد كان الحال هكذا مع أغلب زوايا السودان الغربي.

هـ- دُور العلماء:

إن منزل العلماء امتداد لحلقته التي يعقدها في المسجد أو في أي مكان آخر، فالسعدي يقول عن أبي بكر الونكري التنبكتي المعروف ببغيغ:" ...ثم يقرئ في بيته وقت الزوال، ويصلي الظهر بالناس ويدرس إلى العصر، ثم

---

(1) أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط ، ص: 478.

(2) المختار الكبير الكنتي، البرد الموشا في قطع المطامع والرشا، مخطوط بخزانة فيلي موسى بتمنراست، دون رقم، ج 1، ورقة 8 - 9.

(3) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 2، 1963، ص 43.

يصليها ويخرج لموضع آخر يدرس فيه للاصفرار أو قربه، وبعد المغرب يدرس في الجامع إلى العشاء، ويرجع إلى بيته..."([1]).

ويذكر السعدي في موضع آخر أنه زار الفقيه أبو بكر المعروف بموركيتا ببلدة قريبة من تنبكت تسمى شبل قال:" رجعت عند الفقيه المذكور لسرد كتاب الشفا له في بيته فاستهل علي رمضان فيه ليلة الجمعة فشرعنا في السرد بعون الله تعالى وإرادته، وفي الشهر ختمته فواساني بما أمكن له، تقبله الله تعالى له، ثم طلب مني أن أفسره لأولاده، فشرعنا فيه حتى اختتمناه بفضل الله تعالى وحسن عونه" ([2]).

2- التعليم وطرقه:

كغيرهمنمناطقالعالمالإسلاميشهدالسودانالغربيحركةتعليميةمتميزةعبرالزمنومختلفةمنفترةإلىأخرىومنمرحلةتعليميةإلىأخرى، تمثلت هذه المراحل في:

المرحلة الأولى: مرحلة تعليم القرآن الكريم:

إن التلميذ في أولى خطواته التعليمية يكون تحت يد معلم، وعادة يكون المعلم من الأقرباء وإلا فمن نفس البلدة، وإن تعذر وجود هذين فمن أي مقرئ كيفما تيسر.

---

(1) السعدي، تاريخ السودان. ص 45.

(2)السعدي، تاريخ السودان. ص ص 266-267.

فمن التلاميذ من يبدأ الدراسة على يد والده حينا من الدهر إذا كان الوالد ذا قراءة، فقد حفظ الشيخ عثمان بن فودي القرآن الكريم على يد والده الشيخ محمد فودي ([1])، ثم يرسل إلى شيخ آخر مقرئ حتى يتم لوحه الأول والثاني، (وتعبير اللوح في عرف القراء هو القراءة من أول السورة من القرآن إلى آخر السورة منه وبما أن الدروس تكتب على الألواح للحفظ والتمرن على الكتابة، لذلك يطلقون كلمة اللوح بمعنى القراءة مجازا، فتسمعهم يقولون إن فلان جيد اللوح وهم يقصدون أنه يحفظ حفظا جيدا ودقيقا).

بعد لوحين أو ثلاثة يمضيها تحت إشراف شيخ مجيد، يكون التلميذ قد حفظ القرآن حفظا جيدا يتلوه من أوله إلى آخره بدون تلعثم أو تردد عن ظهر قلب، فيشرع بعد هذا في تعلم علوم القرآن الأخرى([2]). وأول ما يقرأ هو فن الرسم وقواعد الإملاء للقرآن الكريم.

وكانبعضالطلبةفيالسودانالغربييتنقلونبينالمدارسالقرآنيةثميعودونإلىموطنهمالأصلي حفظةوعلماء،يرويلناعمرالفوتيأنهكدأبالتلاميذفيالسودانالغربيأخذينتقلمنمدرسةق رآنيةإلىأخرىفيكلأنحاءمنطقةفوتاتوروإلىأنانتهىبهاالأمرإلىأنيغادرهاإلىموريتانياح

---

(1) أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب افريقيا، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي 1987م. ط 1، ص 61.

(2) عمر محمد صالح الفلاني، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا. ص 77.

يثواصلتتلمذهعلىالعديدمنمشائخها،وقدكانتموريتانيا
أرضميعادهالتيانتمىفيهاللطريقةالتيجانيةعلىيدالشيخمولودفال([1]).

وفن الرسم هذا معقد جدا وهو على حد ما يقول الشيخ عمر با أن منهج المؤلفين فيه هو الركيك، "بمعنى أنالمؤلفين
يختزنونمعانيكثيرةفيكلمةواحدةطلباللاختصارممايجعلالكلماتمنضغطةمكتنزةمت نافرة المخارج صعبة التلفظ أحيانا الأمر الذي يجعل الكتب وهي منظومة عادة في حاجة ماسة إلى الشروح والحواشي لفك رموزها وإيضاح معمّياتها "([2])،

يفيد القراء الأفارقة أن هذا الفن نادر في الشرق ([3]). وتكثر ممارسته في شمال وغرب إفريقيا وخاصة موريتانيا وجيرانها في الجنوب ومن أشهر الكتب المتداولة في هذا الفن كتاب "الرسم" وضعه الحافظ الموريتاني طالب عبد الله، وفيه يشرح قواعد الرسم والإملاء وشروط ذلك، أي لو أن حرفا وضع قبل أن كيف يكتب، وإن وقع بعد أن كيف يكتب، ثم الشواذ والاستثناءات،وهكذا دواليك.

---

(1)عمر عبد الماجد عبد الرحمن، تاريخ الدول والإمبراطوريات الإسلامية في السودان الغربي والأوسط 1758-1864، فبراير 2004، ص155.

([2])عمرصالحالفلاني،الثقافةالعربية الإسلاميةفيغربإفريقيا. ص96.

(3)سعيد اعراب، القراء والقراءات بالمغرب. بيروت ، لبنان، مطبعة دار الغرب الإسلامي، ص 210.

ولعل رواج هذا الفن في شمال وغرب إفريقيا مرده كون العجمة هي الغالبة في أهل الشمال والجنوب الإفريقيين([1]). وبعد إتقان التلميذ لفن الرسم والإملاء على رواية الإمام ورش يشرع في تعلم علم التجويد، فالبرنامج المتبع هو قراءة كتاب اسمه "تحفة الأطفال" كخطوة أولى، وبعد إنهائه لهذا الكتاب يكون قد تكونت لديه معلومات جيدة وتصور واضح لموضوع هذا الفن وبابه علما أن التفرغ لدراسة التجويد لا يعني التوقف عن التلاوة فالمفروض من التلميذ في هذه المرحلة أن يختم القرآن في كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة على الأقل ([2]).

وللتأكيد على ذلك فلا بد أيضا من لوح آخر لتطبيق النظريات، ليطمئن الشيخ المعلم أن التلميذ قد وعى ما تلقن من دروس تجويدية على أفضل وجه، ويلي هذا الكتاب منهجيا كتابا ثانيا يسمى النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لابن بري الرباطي التازي،وهو كتاب معروف في الشرق والغرب معا،وبالاختصار في سائر العالم الإسلامي لأهميته في علم القراءات، يعالج قضايا التجويد على روايتي ورش وقالون ([3]).

([1]) عمر صالح الفلاني، المرجع السابق. ص 97.

(2) المرجع نفسه. ص88.

(3) ورش(120هـ/ 220)، هو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدني ، أحد القراء من أهل المدينة مولدا ووفاة. أنظر الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين 2002، ط 15، ج 5، ص 110.

وبعد إنهاء هذا الكتاب يكون على دراية كاملة بروايتي ورش وقالون، وهنا يعود من جديد إلى حبره وقلمه ليكتب لوحا كاملا، غير أنه في هذه المرة يركز على رواية قالون تركيزا مطلقا. وأما رواية ورش فإنه من المفترض أن يكون التلميذ قد أتقنها، وهذا اللوح في عرف القراء بوادي السنغال والنيجر يسمى الأحرار.

إن مستويات الإجادة تتفاوت بين تلميذ وآخر، وهو شيء تلقائي لا عجب فيه ولا غرابة، إذ لا ينتظر من التلاميذ أن يكونوا على مستوى واحد من الإتقان للمادة العلمية المدروسة غير أن أنصاف الحفاظ لا يمكن أن يمنحوا إجازات حفظ القرآن الكريم.

إذا قرر الشيخ المعلم منح إجازة لأحد التلاميذ فإنه سيكشف من احتكاكه به في تلك الأيام الأخيرة كآخر مرحلة ليسمع منه القرآن من أوله إلى آخره تلاوة عن ظهر قلب ويجيب التلميذ عن أسئلة الشيخ المختلفة والمتعددة والتي تشمل كافة ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه التجويدية، وغالبا ما يكون هذا اللوح الأخير بحضور جمع من الحفاظ المعتد بهم كإشهاد ليتأكدوا من أهلية الطالب بالشهادة التي ستمنح له ([1]).

وفي منطقة فوتاتور بالسنغال ومراعاة لفهم التلميذ عمد الشيوخ المدرسين إلى تشبيه الحروف بصور أشياء مألوفة ومشاهدة، أو وصف أشكالها للتقريب إلى الأذهان ([2])، مثال ذلك ب يلفظ باجورط baajoordo، هـ يسمى

---

(1) عمر محمد صالح الفلاني، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، ص ص93-99.

(2) عمر محمد صالح الفلاني، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، ص ص 91- 92.

هاموطhaamawdo، ف يسمونه فا تومبوط (المنقوط) faa tobbudo، ص يسمونه المجوف أو صاحب البطن saaareedu، خ ويسمونه خاتونقو haa tongo، ذ ويسمونه دال توبوط Daal Tobbodo، ض ويسمونه ضاريد Daareedu، ظ ويسمونه ظا كويقنيل Zaa Koyngel([1]).

المرحلة الثانية: تعلم الموضوعات المتنوعة:

في هذه المرحلة يحث الشيوخ تلاميذهم على حفظ المتون، وقد كانت هذه العادة قديما أن تكتب النصوص على الألواح لتسهيل الحفظ، وهناك شروح متفاوتة في الحجم والعمق، بالإضافة إلى الحواشي والهوامش والطرر والتعليقات، فمادة الفقه تعتني بها كل المحاضر والكتاتيب بدون استثناء في السودان الغربي وهي دائما مادة أساسية([2]).

كما يتعلم التلميذ في الكتاتيب الحساب، وقد يكون معه من أبناء الكفار من يتلقى هذا التعليم معه، وقد ورد هذا في قوله وكذلك الكفرة يعلمون أبناءهم الكتابة والحساب ومنهم من يقرؤهم القرآن والعلم ([3]).

ومن الصعوبات التي كانت تواجه التعليم عند الطوارق والقبائل من غير العرب صعوبة نطق الحروف العربية وقد ذكر الشيخ باي أن قوما في بلاد شأنهم أنهم يقرؤون القرآن، يبدلون الضاد لاما، في جميع قراءتهم في الصلاة

([1])المرجع نفسه. ص ص 92-93.

(2)المرجع نفسه. ص 111.

(3) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 16.

وفي غيرها ([1])،ولتسهيل تعليمهم أقبل بعض العلماء على ترجمة بعض النصوص والمتون للغة الطارقية، أو نقلها من أماكن أخرى، كما فعل الشيخ حم بن أحمد بن الشيخ الذي أخذ تفسير الجلالين عنشيخمن أكلاد، يقال له حام بنمحمد الأمين، وهو أخذها عنعلماء أيير ([2]).

3- الإجازة العلمية:

تعتبر الإجازة وسيلة من وسائل التحفيز والتشجيع والمكافأة في إتقان علم من العلوم، أو فن من الفنون. كان نظام العنعنة ضروريا ومتبعا في رواية الحديث، ولم يكن المدرس يجرؤ على رواية الأحاديث دون سند، وللدقة في ذلك كان المحدثون منذ عهد مبكر يعطون طلابهم والذين يتلقون عنهم شهادة بما رووا لهم من أحاديث ويجوزون لهم روايتها عنهم ([3]).

قال ابن وهب (ت 197هـ-813م) لأحد طلبته عندما وجد لديه الكفاءة في بعض كتبه " اذهب فحدث بها، فقد أجزتها لك فإني حضرت مالكا فعل ذلك ([4]).

يعرفها السيوطي بأنها إذن من الشيخ لتلميذه أن يروي عنه مروياته أو مسموعاته أو بعض منها ([5]).

---

(1)المصدر نفسه. ورقة178.

(2)جعفري مبارك، المرجع السابق. ص 190.

(3)أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية،القاهرة،مكتبة النهضة المصرية،1974، ط4، ص 263 .

(4) القاضي عياض، تراجم أغلبية. تح محمد الطالبي، ط1 1968، ص 137.

(5) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي. ص 554.

وكانت هذه الإجازة في كثير من الوجوه بمنزلة نتيجة الامتحان الذي يمنح بموجبه الطالب شهادة تدل على مستواه العلمي دون تأدية امتحان معين، ووثيقة تمكن الطالب من استخدام كتب أستاذه التي درسها معه وكذلك المحاضرات التي أخذها عنه ([1]).

وكان الغرض من الإجازة مزدوجا، فهي اعتراف بحقوق المؤلف من جهة وإقرار بكفاءة الطالب من جهة أخرى([2])، وهي لا تحمل عنوان معهد معين، وإنما شهادة شخصية من الأستاذ لتلميذه، مما يبين مكانة الأستاذ في ذلك العهد ([3]).

والإجازة نوعان كتابية وشفاهية.

الإجازة الكتابية: هي إقرار الأستاذ بأهلية الطالب بعد تحصيله التام لفن من الفنون، ويقع النطق بذلك الإقرار، أو يحرر على ورقة تدفع للطالب المتخرج وهي على درجات.

هناك شهادة السماع وتعني أن الطالب تتبع أقوال العالم وحفظها، وهناك شهادة العرض أي سرد الطالب على أستاذه مع استذكاره للنصوص ومعرفته بشروحها، وهناك الإجازة الكاملة وهي أن يصل الطالب إلى المرحلة التي

---

(1) أسماء فهمي،مبادئ التربية الإسلامية. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1947م، ص 127.

(2) عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث ، القاهرة، مطبعة الشبكشي بالأزهر، 1935م ص 88

(3) المرجع نفسه. ص 88.

يستطيع معها ذكر الأسانيد وإرجاعها لمصدرها الأول وذكر الفوارق في الروايات بعد الإلمام بفن معين من الفنون ([1]).

2-الشفاهية:أما الإجازة الشفهية فهي على ضروب ثلاثة:

أولها: أن يقول الراوي للطالب خذ هذا الجزء فإنه من حديثي وأنا أعلم بما فيه من العلم فحدث به عني أو استنسخه وقابله وحدث به عني ويسمى هذا الضرب مناولة، وهو أعلى مراتب الإجازة ([2]).

ثانيها: أن يقول الراوي للطالب إني فلان بن فلان قد أجزت لك ما سمعه مني فلان أو ما تضمنه الجزء الفلاني، وهو شبيه بالمناولة ([3]).

ثالثها: أن يقول الراوي إني قد أجزت لك بجميع ما صح عندك ويصح من حديثي، وهذا أخفض مرتبة من الذي كتب إجازته بشيء مسمى ([4]).

وقد تتعدد المواضيع التي يتقنها الطالب ويكثر فيها أساتذته جميعا ولكن الإجازة لا تعطى إلا في أحوال نادرة، أي عندما يتأكد المدرس أن الطالب متمكن من مادة أو من إتقانها إتقانا تاما، ويلاحظ مواضبته على تلك المادة واهتمامه بها. وأيضا عندما يطمئن الأستاذ إلى بلوغ الطالب مرحلة التعليق

---

(1) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي. ص 554.

(2) شلبي، التربية الإسلامية. ص 267.

([3])المرجع نفسه. ص 267.

(4)المرجع نفسه. ص 267.

والمناقشة والاجتهاد. وقد يكون على المجاز أن يلقي درسا بحضور أستاذه لتحصل لديه القناعة بالحكم الذي سيصدره والشهادة التي سيشهد بها ([1]).

وفي السودان الغربي لا تكاد تخلوا حياة عالم مرموق من إجازة علمية، سواء أجازها له أحد العلماء، أو أجازها هو لتلميذ من تلامذته أو عالم آخر. من ذلك أن الأخوان عبد الله بن فودي وعثمان بن فودي منحا إجازة من شيخهما جبريل بن عمر لجميع مروياته ([2]). وقد ذكر الشيخ عبد الله بن فودي في مؤلفه إيداع النسوخ أنه منح إجازة علمية من شيخه عبد الرحمان بن محمد وإجازات أخرى ([3]). وأجاز الإمام الزموري الفقيه المختار النحوي بمدينة ولاتة، وكان موضوع الإجازة كتاب الشفا للقاضي عياض ([4]). وأجاز أبو زكريا يحي الحطاب المكي أحمد بابا التنبكتي مكاتبة ([5]).وغيرهم كثير، وسنذكر بعض هذه النماذج عن هذه الإجازات، تتعلق بشيخنا الشيخ باي بن عمر وبعض من عاصره أو سبقه بقليل.

الأجازة الأولى:كتبت بتاريخ 1328هـ/1910م

أجاز الشيخ حمزة بن الحاج أحمد الفلاني الشيخ محمد باي بن عمر الكنتي، وهذا فحواها: يقول كويتبه المذنب الجاني حمزة بن الحاج احمد

---

(1) السعدي، تاريخ السودان، ص 46.

(2) عبد الله بن فودي، إيداع النسوخ. ص 8.

(3) المصدر نفسه، ص 10.

(4) السعدي تاريخ السودان. ص 65

(5) أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج.ص 339

الفلاني سقاه الله بكأس الجماني والعرفان قد أجزت الأحب الأديب اللوذعي الأريب السيد محمد باي بن الشيخ سيدي عمر بن الشيخ الكبير الشيخ سيدي المختار بصحيح البخاري كما أجازنيه والدي رحمه الله تعالى عن والده إلى آخر السند بالشرط المعتبر عند أهله طالبا منه الدعاء لي ولأولادي وأحبائي وأن لا يغفل عنا وأن نكون منه بالبال. وكتبه بتاريخ بيض آخر الجمادين من عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف عفا الله عنه وسامحه بمنهو غفر له ولوالديه وأشياخه المسلمين ولطف بهم آمين بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ([1]).

الإجازة الثانية:كتبت بتاريخ ربيع الثاني 1335هـ/1917م

من طرف الشيخ حمزة ابن الحاج أحمد الفلاني لابن أخيه السيد محمد عمار بابا في القراءات، يقول كويتبه المذنب البائس الجاني حمزة ابن الحاج أحمد الفلاني إن من منن الله علي ومواهبه لدي أن وقفني لقراءة القرآن العظيم وحفظه وإتقانه بحمد الله بقراءتي نافع وابن كثير، وحصلت لي روايته عن عدة شيوخ وأعلاها عن والدي رحمه الله عن والده عن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر عن الشيخ المتبرك به الفاضل الأديب النبيل الأريب المشهور في أقطار الأرض على الطول منها والعرض السيد أحمد الحبيب السجلماسي اللمطي وعن شيخه وعن شقيقه النبيه المشارك سيد صالح بن محمد الغماري والد الشيخ سيد محمد المكي

---

(1) محمد باي بلعالم قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر ،دار هومه، دت، ص 250.

السجلماسي من روايتي ورش وقالون عن نافع وروايتي البزي وقنبل عن ابن كثير وأخذاهما عن جماعة من المغاربة والمشارقة ومنهم العلامة شهاب الدين محمد البناني الدمياطي النقشدي وهو عن جماعة منهم العلامة الشيخ علي الشبراملسي وهو عن الشيخ عبد الرحمن اليمني وهو عن والده وعن شهاب الدين أحمد السنباطي وقرأ السنباطي عن الشيخ شحادة اليمني والد الشيخ عبد الرحمن المذكور وقرأ الشيخ شحادة عن الشيخ أبي نصر الطبلاوي وعن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وقرأ شيخ الإسلام عن الشيخين البرهان البلقيني والرضوان أبي النعيم العقبي وقرأ كل منهما على إمام القراء والمحدثين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري بأسانيده المشهورة في نشره قال الشيخ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن عمر ([1]).

ولقد كانت الإجازة ذات قيمة كبرى يراعى فيها التحري، ومما يدل على مدى تحري الأساتذة وحرصهم على الإنصاف ما جاء في إجازة أحمد بابا عن أستاذه محمد بن محمود بغيوغو وما تضمنته إجازته على يد أحمد المقري في مصنفات الأحاديث النبوية الستة بعد أن رواها كلها بالسند السوداني المتصل برواية واضعي تلك المصنفات، وقد كتبت تلك الإجازة بمراكش في 15 ربيع الثاني 1010هـ/ 12 أكتوبر 1601([2]).

كما كانت الملازمة لأخذ الإجازة ضرورية عند بعض العلماء، يحدثنا أحمد بابا عن الكيفية التي تمت بها إجازته من طرف أستاذه وشيخه محمد

---

(1) باي بلعالم، المرجع السابق، ص 253.

(2) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي. ص 555.

بغيغ فقال:" لازمته أكثر من عشر سنين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق... وكتب لي بخطه في ذلك" ([1]).

ويقول السعدي عند حديثه عن كل واحد من شيوخه الذين أخذ عنهم حيث يذكر المادة التي درسها والكيفية التي أخذ بها والمدة التي استغرقها في الملازمة وينهي حديثه بقوله " وأجازني بخطه جميع ما يجوز له وعنه" ([2]).

كذلك يعتبر الشيخ جبريل بن عمر الأغديسي من خريجي مدارس أهير([3]) وممن نالوا حظوة ومكانة عند علماء المشرق فأجازوه ومنهم إجازة الشيخ مرتضى الزبيدي له ولولده البخيت الشيخ عمر على حفظهما ما كتبه وشرحه وعلق عليه الشيخ الزبيدي([4]).

4- الرحلة للحج ولطلب العلم:

لقد لعب الحج دورا كبيرا في توطيد العلاقات السياسية والدبلوماسية والثقافية بين السودان الغربي، من جهة ودول المشرق العربي من جهة أخرى، وكان من عادة بلاد السودان الغربي أن قوافل الحج غالبا ما يقودها السلاطين

---

(1) التنبكتي، المصدر السابق، ص 341- 342

(2) السعدي، المصدر السابق، ص 46

(3)أهير: مدينة بالنيجر تقع إلى الغرب من أقدس، وتضم عنصرين من السكان هم: الطوارق، والسودان. وهي تنقسم إلى عدد من القرى ومساكنهم بعضها بالطوب والبعض الآخر عبارة عن أكواخ، وقد بلغت المدينة أوج ازدهارها عام 926هـ / 1519م، عندما استولى عليها أسكيا الحاج محمد. ينظر: الهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، ليبيا، مطابع الوحدة العربية الزاوية، ط الأولى 2000، ص 134.

(4) أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب افريقيا. ص 28.

والملوك أنفسهم، وغالبا ما تترك قوافل الحجيج بصماتها الثقافية والاجتماعية على المناطق التي يمر بها الحجيج كمصر وطرابلس والحرمين الشريفين ([1]).

كما كان للحج دور كبير في نقل اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى القارة، وذلك عن طريق جلب الكتب، وكان بعض الحجاج يبقون في الحجاز بعد الحج للدراسة، وتحصيل المعرفة والعلم ثم يرجعون إلى بلدانهم لنشر العلم الذي حصلوا عليه في الحجاز، وكان بعض الأمراء والملوك لما يحجون ينقلون إلى بلدانهم علماء لتعليم شعوبهم الإسلام واللغة العربية، ويجلبون معهم كتبا في الفنون الإسلامية والعربية المتعددة، وبهذه الطرق وصلت كتب كثيرة إلى أرض إفريقيا، وبخاصة غربها ، مما ساعد على انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأصبحت اللغة العربية هي لغة الدين والثقافة والحياة الإدارية، وأصبح الحرف العربي هو الحرف الذي يكتب به أشهر اللغات الإفريقية، مثل الهوسا والفلانية والسواحلية والولفية.

وفيتعيينابنخلدونلنقطةتجمعالحجيجالسودانيينمنغربإفريقياانطلاقامنتكدة،حيث يقول:"وعلىعشرينمرحلةمنهذاالمصر فيالقبلةمنحرفاإلىالغرببيسيربلدتكدةقاعدةوطنالملثمينوركابالحجيجمنالسودان ([2]).

وقد كان دأب العلماء في بداية أمرهم أن يسيحوا في الأرض، أو يصحبوا من طرف مشائخهم للحج أو في طلب العلم. فقد صحب الشيخ أبو بكر بن الحاج

---

(1)أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا. ص ص 14-15.

(2)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص107.

عيسى بن أبي هريرة الغلاوي الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر في رحلته للحج، وأخذ عنه الورد، وكان يصلي به ([1]).

كما رحل الشيخ عبد الرحمان التميمي المكي نزيل تنبكت إلى فاس لدراسة الفقه المالكي ثم عاد إلى تنبكت ([2]).وقد رحل عبد الله بن عبد الرحمان الشمشاوي الديماني الونكلي إلى الخليفة سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل لطلب الكتب، فاختبره في العلم، فأعجبه وعظمه وأعطاه خزانة كتب كبيرة نفيسة جدا، وهو صاحب كتاب مراقي السعود ([3]).

وكان للشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي رحلات عديدة منذ صغره إلى قرية المأمون، ثم إلى المناطق المجاورة خاصة كل نلبوش أحد أفخاذ كل السوق، درس المختصر لخليل، والتقى بشيخه علي بن النجيب رئيس الطريقة القادرية الكبير في المنطقة، أخذ عنه علم تفسير القرآن والحديث النبوي الشريف ([4])، كما أخذ التحفة لابن عاصم عن الشيخ محمد أحمد التيماتيمي ([5]).

ويشير الشيخ باي إلى كيف كان بعض الناس يهبون المال لبعضهم للذهاب للحج ولأخذ العلم([6])، بل كان الأمر عند البعض أن يترك عياله يتكففون الناس، ويذهبون للحج، حيث أجاب عمن له عيال ولم يكن له مال

---

(1) البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. ص 13.

(2) المصدر نفسه. ص 13

(3) المصدر نفسه. ص 13.

(4) بول مارتي، كنتة الشرقيون. ص ص 44-45.

(5) المصدر نفسه، ص 47.

(6)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 304.

وفي العيال من تلزمه نفقته شرعا أيجوز له الحج أم لا فقال نعم عليه أن يحج ويترك عياله إن لم يخف عليهم الهلال ([1])، وعمن أعطي مالا مجهول الحالكهدايا المشركين ونحوه من الملوك، منغيرطلبهوسؤالهأيحجبهأملا،فأجاب بأن المال الذي ذكرت ليس بمحرم لكن يوجد ما هو أطيب منه فإن وجد ذلك كان الحج بها أفضل وإن لم يجد غيره فإنه يحج به ([2])، بل يلجأفي بعض الحالات إلى الاستدانةلأجل الحج، وقد سئل الشيخ باي عن ذلك فقال أما الاستدانة لأجل الحج لمن يرجو أداءها جائزة وقد تجب إذا كان ذا عروض وأمتعة يتعذر عليه بيعها وهو إن ذهب يقضي الغرماء منها أو من أثمانها ديونهم ([3])، ويظهر من خلال ما ذكره الشيخ باي فإنه في بعض الحالاتلا يسمح للناس بالذهاب إلى الحج، فلابد أن يستعين الذاهب إلى الحج بكبير البلاد لأخذ التسريح، ويستعد للحج بجمع المال والجمال، ومن ثم ركوب البحر، فقال وإن سمعت أنه لأمر التسريح فاستعن بكبيرالبلادفيأخذالتسريحفإن الأكثرمن حالهمعدمإعطاءالتسريحإلاباإذن كبيرالبلد ([4]). وقد أفتى الشيخ باي بالخروج إلى الحج حتى ولو بدون إذن الوالدين غير مكابر ولكن يحتال إذا توفرت الشروطللحج([5])

5- دورالتصوف والطرق الصوفية التعليمي:

([1])المصدر نفسه. ورقة305.

([2]) المصدر نفسه. ورقة 305.

(3) المصدر نفسه ورقة 305.

(4)المصدر نفسه، ورقة 306.

(5)المصدر نفسه. ورقة474.

التصوف ليس مادة إجبارية مفروضة على التلاميذ فرضا كالفقه أو التوحيد مثلا وكذلك ليس كل المحاضر تدرسه، والتصوف يدرس كواحدة من المواد المقررة في المحضرة والحكمة في ذلك إيقاف التلاميذ على حقيقة هذا العلم، ونشأته وما قيل فيه من أقوال وآراء العلماء حوله ويليه إعطاء نماذج من الكتب الصوفية ([1]).

والطرق الصوفية حركات دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات الإسلامية وازدياد الرخاء الاقتصادي، وذلك من خلال الاعتكاف على العبادة والتقرب إلى الله والزهد فيما يقبل عليه الناس من ترف الدنيا وبهرجها. وقد لعبت الصوفية دورا هاما في انتشار الدعوة الإسلامية في كثير من بلدان العالم، وكانت إفريقيا الغربية من المناطق التي دخلها الإسلام عبر الصوفية التي واجهت الوثنية والديانات المحلية.

وكان لأسلوب الطرق الصوفية مميزات غير المميزات التي كانت عند التجار الذين ساهموا في نشر الإسلام، من أهمها:

1- التجار ينزلون المدن، رجال الصوفية ينزلون القرى والأرياف

2- التجار يسعون للربح، رجال الصوفية لا يكترثون للمال ولا يسعون إلا للكفاف، لهذا كان أغلب المريدين فقراء

3- نشاط التجار غالبا ما يكون في النهار، أما نشاط الطرق الصوفية فيرتبط بالليل.

---

(1) عمر صالح الفلاني، الثقافة العربية الإسلامية، ص ص 112-113.

يرتبط معظم غالبية المسلمين في غرب إفريقيا برجال الدين بواسطة إحدى الطريقتين الصوفيتين القادرية أو التيجانية، وكان انتشار هاتين الطريقتين واسعا جدا خلال القرن التاسع عشر، وكان النفوذ السياسي لأحد الزعماء الصوفيين من الطريقتين يرتبط إلى حد كبير بمدى الزعامة الدينية التي يتمتع بها ([1]).

انتشرت الطرق الصوفية في السودان الغربي عن طريق المغربين الأوسط والأقصى، وهذه الطرق الصوفية تتمثل في القادرية، التيجانية، السنوسية، والزروقية، والشاذلية، والناصرية الدرعية، وكان ذلك على يد الشيوخ الكنتيون الذين أقامت أسرهم فترة بمنطقة توات، ثم تعمقوا في قلب الصحراء ومناطق السودان الغربي،وكان اتباع الطرائق الصوفية وملازمة الأشياخ وتأدية الأوراد عادة تلك البلاد ([2])، وواجبالأتباعالمحافظةعلىالأورادالصوفيةوالصلواتاقتداءبأشياخهم ([3]) وهذهالأوراديجبالمحافظةعليهافيكلالأوقاتمعكلاالجنسينذكراكانأوأنثى ([4])، ولعل من أبرز هؤلاء الشيوخ أحمد البكاي الذي تبوأ مركز الزعامة الدينية على الطريقة القادرية منذ أيام جده الشيخ المختار الكنتي، وابنه الشيخ عمر

---

(1) عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا ، القاهرة، مطبعة يوسف ، دت، ص 108.

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 29.

(3)المصدر نفسه. ورقة 33.

(4)المصدر نفسه. ورقة 36.

الذي أصبحالرئيس الأعلى للطريقةالبكائية ([1])،الذي هو مؤسسها وهي فرع من الطريقة القادرية والتي نشأت في زاويتهم بتوات، وفي عهد الشيخ المختار بن أحمد المعروف بالكنتي الكبير أحدث في أزواد فرع آخر جديد للطريقة القادرية سمي بالطريقة المختارية نسبة إلى الشيخ المختار المتوفى سنة1226هـ/ 1811م، على أن الشيخ عمر نفسه أخذ الطريقة عن الداعية الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي اعتبره بول مارتي أيضا الرئيس الأعلى للطريقة القادرية في الغرب الإفريقي ([2]).

كان النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي هو الفترة التي بدأ فيها الصراع بين التيجانية القادمة حديثا لغرب إفريقيا من الشمال والطريقة القادريةالتي سبقت إلى تلك المنطقة وتأصلت بها منذ قرون([3])،لقد كان لهذه الطرق الصوفية دورا مهما، فقد قدمت خدمة جليلة بإسهامها الكبير في نشر الدين والثقافة والتعليم العربي والإسلامي، وقد دعا الشيخ باي بن عمر في نوازله إلى اتباع الطرائق الصوفية، وملازمة الأشياخ، وتأدية الأوراد، وهو عادة تلك البلاد ([4]).

ا- الطريقــة القــادريــة:

---

(1) بول مارتي، كنتة الشرقيون، ص 33.

(2) بول مارتي، كنت الشرقيون. ص 33.

(3) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 92.

(4) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة رقم 29.

من أشهر الطرق الصوفية وأكثرها انتشارا في السودان الغربي، تنسب إلى الشيخ الجيلاني، هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جكنى دوست الحسيني الكيلاني أو الجيلاني،من مشاهير الزهاد وأكابر الصوفية، تنسب إليه الطريقة القادرية ، ولد بكيلان سنة 470هـ/1078م، و ارتحل في شبابه إلى بغداد،واتصل بشيوخ الصوفية وأهل العلم فأخذ عنهم الأصول والفروع، وسمع الحديث و قرأ الأدب، وتصدر للتدريس في بغداد، ومن مؤلفاته: "الفيوضات الربانية " و "الغنية لطالب طريق الحق"، توفي سنة 561هـ/ 1166م ([1]).

ب- **القادرية البكائية:**

غالبا ما تكنى القادرية السودانية بالبكائية نسبة إلى الجد الكنتي، الشيخ سيدي عمر ولد الشيخ سيدي أحمد البكاي،مؤسسها وناشر وردها، والذي عاش في نهاية القرن الخامس عشر، وقد عمل على نشر دعوته في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، وازدهرت البكائية مدة طويلة، في القرن الثامن عشر عمل ألفا إبراهيم على نشر الدعوة في فوتا جالون على الطريقة البكائية([2]).

ج- القادرية الفاضلية أو الفضلية:

نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد فضل (1194هـ - 1780م/ 1869هـ - 1286م)الذي كان زعيما لأهل طالب مختارة وهم من الصناهجة الذين

---

(1) عبد الوهاب الشعراني، طبقات الأولياء. ص 246.ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ج4، ص 198.

(2) عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا. ص 111.

يعيشون في منطقة الحوض بالصحراء، وتختلف الفضلية عن البكائية في طريقة الذكر ([1]).

الورد عند الصوفية:

الورد الصوفي، بكسر الواو، جمعه أوراد، يطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها، صباحاً بعد صلاة الصبح، ومساءً بعد صلاة المغرب، ويعني أيضاً ما يتحفه الحق سبحانه قلوب أوليائه من النفحات الإلهية فيكسبه قوة محركة وربما يدهشه أو يغيبه عن حسه ولا يكون إلاَّ بغتة، ولا يدوم على صاحبه، أما بالنسبة لورد الذكر، فيشمل الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والتوحيد ([2]).

وعند الشيخ باي الحث على المحافظة على الأوراد والأذكار([3])،وحتىيتسنىللعوامالمحافظةعلىأورادهمبالإستعانةبالسبحةحيثحدثخ لافبفياستعمالهابينالجوازوالمنعحيثأنكرالشيخعلىمنأنكرهالأنهاأفضللغيرالمتمكنمن الطريقةوذلكللحفاظعلىعددالأورادوتعليقهافيالعنق ([4]).والمحافظةعلىهذهالأورادلنيلالبركةوزيادةالنورفيالبصيرةعلىحد قولهم

---

(1)عبد الرحمن زكي، المرجع السابق. ص 112.

(2) ممدوح الزوبي، معجم الصوفية، ص429.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 44.

(4)المصدر نفسه، ورقة 47.

([1]). ومنتبعهذهالطرقالصوفية،يعطىالإجازة،وكانالشيخإذاميعطىالإجازة لا يسمح له بإيجاز غيره([2]).

أوراد الطريقة القادرية: من أوراد الطريق الصوفية التي يتعبدون بها ويتقربون بها إلى الله:

الحمد لله الذي كيَّف الكيْف، وتنزه عن الكيفية، وأيَّن الأيْن وتعزز عن الأينية، ووُجد في كل شيء وتقدس عن الظرفية، وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية ([3]).

ومنها:... يا أول كل شيء، ويا آخر كل شيء، ويا ظاهر كل شيء، ويا باطن كل شيء ([4])

ومنها:إلهنا فطهر قلوبنا من الدنس لنكون محلاً لمنازلات وجودك، وخلصنا من لوث الأغيار لخالص توحيدك، حتى لا نشهد لغير أفعالك وصفاتك وتجلي عظيم ذاتك ([5]).

---

(1) المصدر نفسه، ورقة 44.

(2) المصدر نفسه، ورقة 44.

(3) القادري الحاج إسماعيل بن السيد محمد سعيد ، الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ويليه القصيدة الخمرية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه. (عقيدة الغوث الأعظم) ص 41.

(4) الفيوضات الربانية (الصبح)، ص 115.

(5) الفيوضات الربانية (العشاء)، ص 138.

ومنها:رباه رباه غوثاه، يا خفياً لا يظهر، يا ظاهراً لا يخفى، لطُفَتْ أسرار وجودك الأعلى فتُرى في كل موجود، وعلت أنوار ظهورك الأقدس فبدت في كل مشهود ([1]).

يا سلطان العارفين، يا تاج المحققين، يا ساقي الحميا، يا جميل المحيا، يا بركة الأنام، يا مصباح الظلام .... يا شمس بلا أفل، يا بدر بلا كلف، يا بحر بلا طرف، يا باز الأشهب، يا فارج الكرب، يا غوث الأعظم، يا واسع اللطف والكرم، يا كنز الحقائق، يا سيدي يا سندي يا مولاي يا قوتي يا غوثي ياغياثي يا عوني يا راحتي يا قاضي حاجتي يا فارج كربتي يا ضيائي يا رجائي يا شقائي، يا نور السرائر يا صاحب القدرة يا وهاب العظمة ، يا شاهد الأكوان بنظرة، يا مبصر العرش بعلمه، يا بالغ الغرب والشرق بخطوة، يا قطب العرش والكرسي واللوح والقلم، يا من يبلغ لمريده عند الاستعانة ولو كان في المشرق، يا صاحب التصرف في الدنيا وفي قبره بإذن الله ، يا غوث الأعظم، أغثني في كل أحوالي، وانصرني في كل آمالي ([2]).

المحافظة على الأوراد الصوفية في أوقاتها لنيل البركة وزيادة النور في البصيرة ([3]).

حيث نجد الشيخ باي ينصح ب ضرورة المحافظة على الورد في كل الأوقات مع كلا الجنسين ذكرا كان أو أنثى ، لأن الورد من الأذكار التي

---

(1) الفيوضات الربانية (الإثنين)، ص 143.

(2) الفيوضات الربانية، ص191.

(3) باي بن عمر، مخطوط النوازل.الورقة 44.

يتقرب بها إلى الله ويجتهد فيها المريد لبلوغ مدارج الناجين و نيل البركة وزيادة النور في البصيرة ([1]).

ومن أخذ الإجازة في الطرق الصوفية:

أخذ الحبشي الإجازة في الطريقة القادرية بالإضافة إلى إجازته في الطريقة الرفاعية، حيث جاء في ذكر ترجمته الموجودة في مقدمة كتاباته في أنه أخذ "الإجازة بالطريقة القادرية من الشيخ العربيني، والشيخ الدمشقي وغيرهما" ([2]).

وقد تحدث الشيخ باي بن عمر طريقة إعطاء الإجازات في الأوراد صفة من تبع الطرق الصوفية، وكان الشيخ من بينهم إذ لم يعط الإجازة لأنه لم يؤذن له ([3])

د- التيجانية:

ومن طرق التصوف المشهورة في بلاد أفريقيا والمغرب العربي " التيجانية " نسبة إلى أبي العباس أحمد بن محمد المختار ([4])التيجاني

---

(1) باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 44

(2) الحبشي إظهار العقيدة السنية ص 11، الحبشي الشرح القويم ص 8، الحبشي صريح البيان ص364، الحبشي المطالب الوفية ص14.

(3) باي بن عمر، المصدر السابق ورقة 44.

(4) أحمد بن العياش سكيرج ، كشف الحجاب مصطفى البابي الحلبي القاهرة 1961م، ص 10. علي حرزام الفاسي جواهر المعاني. ج 1 ص 26 ، 27. محمد سعد الرباطي التيجاني، الدر السنية في شروط وأحكام أوراد الطريقة التيجانية. مكتبة القاهرة، ص26.

المغربيالمولود بقرية عين ماضي من الجنوب الجزائري ،(1150م-1230هـ) (1737م-1815 هـ)، شيخ الطريقة التيجانية.

حفظ القرآن الكريم ودرس شيئا من الخليل،كما درس العلوم الشرعية، وارتحل متنقلاً بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة والمدينة ووهران.

صار فقيها مالكيا عالما بالأصول والفروع، ملما بالأدب، صوفيا . أنشأ طريقته عام 1781هـ/1196م، في قرية أبي سمغون وصارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها تخرج الدعوة لتنتشر في أفريقيا بعامة.طريقته منتشرة في المغرب، والسودان، ومصر، وغيرها ([1]).يذكر الشيخ باي عن هذه الطريقة أنه لا يجوز الانتقال منها إلى غيرها كما لا يجوز المفاضلة بين الأولياء والقدح فيهم ([2])، وقد ورد ذكر كثير لهذه الطريقة وذكر فضلها وفضل أتباعها ([3]).

يؤمن أصحابالتيجاية بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة.

---

(1) الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 245.

(2)باي بن عمر،مخطوط النوازل. ورقة42.

(3)المصدر نفسه. ورقة 41.

من أبرز آثاره التي خلَّفها لمن بعده زاويته التيجانية في فاس، وكتابه جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني الذي قام بجمعه تلميذه علي حرازم.

من مشاهيرهم بعد المؤسس:

ـ علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي وقد توفي في المدينة النبوية1214هـ/1196م. له كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني ([1])، يعتبر أول مادة تاريخية ومذهبية حول الطريقة والطائفة التيجانية ([2]).

ـ محمد بن المشري الحسني السابحي السباعي ت وفى سنة 1224هـ/1799م،من مواليد قرية تكرت بقسنطينة صاحب كتاب " الجامع لما افترق من العلوم الفائضة"، وكتاب " نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء". من أوائل الآخذين عن الشيخ أبي العباس التيجاني الطريقة التيجانية ([3])

ـ أحمد سكيرج العياشي 1295هـ/1363م ولد بفاس، ودرس في مسجد القرويين، وعين مدرسًا فيه، تولى القضاء، وزار عددًا من مدن المغرب، وله

(1)أحمد بن العياشي سكيرج، تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني. تح محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني، د ط، د ت. ص38

(2)أحمد بوكاري، الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب. المغرب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2006، ط 1، ج2، ص 62.

(3) سيكرج، كشف الحجاب.ص 149. سيكرج، رفع النقاب. ج 3 ص 191. محمد العربي بن السائح، بغية المستفيد لشرح منية المريد. ص 256.

كتاب الكوكب الوهاج وكتاب كشف الحجاب عمن تلاقى مع سيدي أحمد التيجاني من الأصحاب([1]).

ـــ عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي: ولد سنة 1809هـ /1797م في قرية الفار، من بلاد ديمار بالسنغال حاليًّا، تلقى علومه في الأزهر بمصر، ولما رجع إلى بلاده أخذ ينشر علومه بين الوثنيين، وكانت له جهود طيبة في مقاومة الفرنسيين. وقد كانت وفاته سنة 1283هـ/ 1866م، وخلفه من بعده اثنان من أتباعه، وأهم مؤلفاته رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم الذي كتبه سنة 1261هـ/ 1845م.

ـ محمد عبد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني التيجاني المصري 1315هـ - 1897م/ 1398هـ - 1977م، وهو رائد التيجانية في مصر، وقد خلف مكتبة موجودة الآن في الزاوية التيجانية بالقاهرة وله كتاب الحق والخلق، وله الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط، وشروط الطريقة التيجانية كما أسس مجلة طريق الحق سنة 1370هـ/ 1950م.

ـ الأفكار والمعتقدات:

من حيث الأصل هم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى إيمانًا يداخله كثير من الشركيات.

---

(1)مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب العاصرة. دار الندوة للنشر

ينطبق عليهم ما ينطبق على الصوفية بعامة من حيث التمسك بمعتقدات المتصوفة وفكرهم وفلسفتهم ومن تلك المعتقدات إيمانهم بوحدة الوجود ([1])، وإيمانهم بالفناء الذي يطلقون عليه اسم وحدة الشهود ([2]).

يقسمون الغيب إلى قسمين: غيب مطلق استأثر الله بعلمه، وغيب مقيد وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض. ورغم أن هذا في عمومه قد يشاركهم فيه غيرهم من المسلمين إلا أنهم يتوسعون في نسبة علم الغيب إلى مشايخهم.

ـ يزعمون بأن مشايخهم يكشفون عن بصائرهم، فهم يقولون عن شيخهم أحمد التيجاني: " ومن كماله نفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر بمقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها إظهار المضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات"([3]).

والمنتقل من طريقة إلى طريقة ، ومن صوفي إلى صوفي إلى أن أدّعى بأنه " رأى بعيني رأسه ووجهه سيد الأكوان يقظة لا في المنام ، وتشرف بمشاهدة الطلعة البدرية البهية النورانية المصطفوية ، فصرح له عليه الصلاة والسلام بأنه شيخه ومربيه وكافله، وأنه لا منة لمخلوق عليه سوى سيد الأنام، وأمر بترك جميع ما أخذه من مشايخ الطرق وسادة الصوفية ، لأنه إذا جاء

---

(1) علي حرازم الفاسي، جواهر المعاني. ج1، ص 259

(2) المرجع نفسه. ج1، ص 191.

(3)علي حرازم الفاسي، جواهر المعاني، ج1، ص 61.

نهر الله بطل نهر معقل على التحقيق وأنه لا مزية للانفصال إذا وجد الاتصالبصاحب الشفاعة العظمى يوم الزحام "([1])

وللتيجانية أوراد ووظائف مثل الطرق الصوفية الأخرى ، ومن هذه الأوراد " صلاة الفاتح لما أغلق " ، وهذا هو نصها:" اللهم صلّ على محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ،الهاديإلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم " ([2]).

ومما وجب على الناس احترام كل من انتسب للشيخ من الأخوان ، لاسيّما كبار أهل الخصوصية من أهل الطريقة ،وقد أورد الشيخ باي بن عمر تزكية لأصحاب هذه الطريقة حين سئل، فقال: أما الطريقة التيجانية فحيى الله أصحابها وبيّاهم، فمن طرق الحق التي لا يمتري في فضلها إلا مكابر، وهل هي إلا التزام أذكار فاضلة، والتعليق بولي مرشدإلى الله له همة نافذةوحالة جاذبة ([3]).

مجانبة المنتقدين على الشيخ سيدنا أحمد التيجاني ، وكان يحذر أصحابه من مجالسة المنتقدين عليه ويقول: إن بعضهم يسري في قلب من يجالسهم كالسم، قال صاحب المنية:ومن يجالس مبغض الشيخ هلك وضلّ في مهامه .

---

(1) الجوكسي، النفحة القدسية في سيرة الأحمدية التيجانية ص 160، المندرج في الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني لمحمد بن عبد الله التيجاني ، القاهرة، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1958م.

(2) الشنقيطي، الفتوحات الربانية في الطريقة الأحمدية التيجانية ص 115.

(3) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 41.

وقد وردعن الشيخ بايقوله:"أمامنسمعتهيفاضلبينالأولياءفلاتنازعه وقم عنه تسلم وحسبه ربه لهجومه على ما لا علم عنده به ([1]).

يستحضر صورة الشيخ في حال قراءة الورد ، ويستمدّ منه، وأعظم من ذلك أن يستحضر صورة النبي صلى الله عليه وسلم على ما رويت في الشمائل الترمذية ويستمد منه، وهذا الاستحضار يكون من أول قراءة الورد إلى آخره إن أمكن ذلك ، وإلا فليستحضر في أول الذكر ثم يعاود الاستحضار مرة أخرى، ولا يلتفت عن الشيخ ، والالتفات عن الشيخ أحمد التيجاني بزيارة الأولياء الأحياء والأموات أو طلب الدعاء منهم أو إهداء ثواب العبادات من قرآن وصلوات وأذكار ونذر وصدقة ونحو ذلك لهم([2]).

6- المقررات العلمية:

لم تختلف الكتب التي كانت متداولة في السودان الغربي عما كان معروفا في البلاد الإسلامية الأخرى كالمغرب والأندلس ومصر، إلا أن الملاحظ في هذه الكتب هو أنها مالكية في معظمها وذلك لما لمذهب مالك من سيادة في السودان الغربي إلى وقتنا هذا، وسنسلط الضوء على بعض هذه المقررات أو الكتب التي كانت تتداول في السودان الغربي.

ا- كتاب الموطأ: لأبي عبد الله بن أنس بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي نسبة إلى قبيلة ذي أصبح، وهو إمام أهل المدينة وأهل الحديث، كتابه الموطأ

([1])المصدر نفسه. ورقة42.

(2) الرباطي، الدرر السنية في الطريقة التيجانية. ص 4.

في الحديث رتب على أبواب الفقه، جمع مالك أحاديثه بطلب من الخليفة أبو جعفر المنصور، ويعد من أوائل الكتب التي ألفت في الحديث والفقه، من أشهر تلاميذ مالك في الأمصار المختلفة ([1]). وقد ورد ذكره في العديد من المواطن في النوازل من ذلك قول الشيخ " وفي الموطأ يتيمم الجنب ويقرأ حزبه " ([2])، وفي موطن آخر يقول الشيخ باي " وفي الموطأ أن رجلا سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين هل يجمع بينهما "([3]).

اهتم به المغاربة ومسلمو غرب افريقيا لسيادة مذهب مالك في هذه البلاد، فتداولوه واعتنوا به حفظا ودراسة وتفقها، وقد نسخت كتب الإمام مالك باليد مرات عدة ([4]). أقبل عليه علماء السودان الغربي دراسة وتدريسا، فقد درسه أحمد بابا التنبكتي عن أبيه أحمد بن أحمد بن عمر بن أقيت ([5])، كما درسه أحمد ومحمد بغيغ على يد الفقيه أحمد بن سعيد ([6])، ودرسه أيضا الفقيه أبو عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب على يد الفقيه عبد الرحمان بن أحمد أقيت ([7]).

---

(1) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، ص 215.

([2])باي بن عمر،مخطوط النوازل.ورقة165.

([3]) المصدر نفسه، ورقة 455.

(4) ابن بشكوال، كتاب الصلة. ص ص 35 – 108. مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي، ص 681.

(5) التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ص66.

(6) المصدر نفسه، ص 67.

(7) السعدي، تاريخ السودان، ص 218.

ب- كتاب الشفا: لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكيالمتوفى عام 544هـ/1149م ([1])، ولي قضاء سبتة ثم أقيل منه بسبب جرأته في قول الحق وعدم محاباة ذوي السلطان، ثم ارتحل إلى الأندلس وولي قضاء غرناطة سنة 531هـ/1136م، ثم عاد إلى سبتة للتدريس، خاصة تدريس كتاب الشفا ([2])، ثم أعيد إلى قضاء سبتة مرة أخرى سنة 539هـ/1144م.اشتهر كتابه الشفا في التعريف بحقوق المصطفى في السودان الغربي خاصة في رمضان، كان يدرس في المساجد. ففي مسجد سنكري درسه الفقيه أبو عبد الله أند محمد بن الفقيه المختار النحوي ([3])، والفقيه أبو حفص عمر بن الحاج أحمد بن عمر أقيت([4]). ومن العلماء من ظل ملازما لقراءته لطلابه كأحمد بن عمر بن محمد أقيت جد أحمد بابا التنبكتي ([5]).

وقد

وردذكرهأيضافيالنوازلفيمواطنمختلفةمنهاقولالشيخباي"قالعياضإنماجازشراءل بنالغنمالكثيرةولاتؤمنفيهاإجاعةالموت" ([6])، ومنها أيضا "ومستفاد أيضا من

---

(1) تاريخ قضاة الأندلس ، ص 101. طبقات النسابين ص 20. القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ص 18

(2) القاضي عياض، المرجع السابق ص 19

(3) السعدي، تاريخ السودان. ص 29 .

(4)المصدر نفسه. ص 31.

(5) مهدي رزق الله، المرجع السابق. ص 669.

([6])بايينعمر، مخطوطالنوازل.ورقة515.

مسألة يسأل عياض عنها ابن رشد" ([1])، وفي موطن آخر " قال القاضي عياض في الإكمال"([2]).

أما في بلاد الهوسا، فقد وردت أول إشارة للشفا في عهد السلطان الكانوي محمد كيسوكي 914هـ/ 1509م حيث أحضر الكتاب إلى أرض الهوسا من المغرب ومنذ ذلك الحين اشتهر أمره في معاهدها ([3]).

ج- كتاب المدونة: لسحنون أبي سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي، الحمصي الأصل،قاضي القيروان، وهي التي ذاع صيتها وكثر تداولها في غربي إفريقيا، والمدونة عبارة عن الآراء الفقهية التي كان يدرسها ويفتي بها الإمام وهي تقرير لفقه المالكية، استنادا إلى كتاب الموطأ على أساس المسائل التي وجهها سحنون إلى محمد بن القاسم، بلغت نحو ست وثلاثين ألف مسألة رتبها وبوبها سحنون ([4]).

اشتهرت المدونة في السودان الغربي بوضعها مرجعا في الفقه المالكي، كان يدرسها في تنبكت الفقيه أحمد بن عمر أقيت ([5])، وكذا الفقيه أحمد بن

([1])المصدر نفسه. ورقة616.

([2])المصدر نفسه.ورقة14.

(3) مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 669.

(4) ترتيب المدارك، ج2، ص ص 465-473. مهدي رزق الله، المرجع السابق ، ص ص 671-672.

(5) التنبكتي، نيل الابتهاج ص 64. السعدي، تاريخ السودان، ص 37.

سعيد حفيد محمود بن عمر أقيت للفقيهين أحمد ومحمد بغيغ، وأحمد بابا التنبكتي ([1]).

د- كتاب التحفة: لابن عاصم والتي تلقاها عن الأستاذ محمد أحمد التيماتيهي، والذي أخذ هذه المادة من سيدي أحمد بن الشيخ الهيوننكل، من قبيلة كل السوق ([2]). وقد وردت الإستعانة بهذا الكتاب في نوازل الشيخ منها قوله " كما في المختصر والتحفة "([3])، وفي قوله " وما في المختصر والتحفة وشروحها "([4]).

هـ-كتاب الرسالة: وهي مختصر في فقه المالكية لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد بن عبد الرحمان القيرواني النفزاوي (316هـ-928م/386هـ-996م)، الذي يصعد عن طريق السند لسيدي أحمد بن الشيخ اند محمد بن اند عبد اللهوسيدي أحمد بابا قاضي تنبكت ([5]).كانت هذه الرسالة كتابا تعليميا مهما في السودان الغربي وموضع عناية الأساتذة حيث كثرت الإشارات إليها في مصادرهم وقرأها الفقهاء على مشائخهم، من أمثال الفقيه مخلوف البلبالي على يد الفقيه عبد الله بن عمر أقيت ببلدة ولاتة([6]). وقرأها أيضا أحمد بابا

---

(1) السعدي، المرجع نفسه، ص 43.

(2) بول مارتي، كنتة الشرقيون. ص 47.

([3])باي ب عمر، مخطوط النوازل. ورقة 453.

([4])المصدر نفسه. ورقة 582.

(5) بول مارتي، المرجع السابق. ص 47.

(6) السعدي، تاريخ السودان. ص39. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج. ص 324.

التنبكتي على يد الفقيه محمد بغيغ ([1]).وقرأها كذلك أسكيا داوود على شيخ له ([2])، وقرأها الفقيه محمود كعت على يد الفقيه حامد ([3]).

من بين الكتب التي استعان بها الشيخ باي كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني في ثنايا النوازل منها قول الشيخ باي " وظاهر كلام الرسالة والمختصر وغيرهما أن المحتاج يؤثر ولا يحرم غيره " ([4])، وقوله " وفي الرسالة يرث المولى الأعلى إذا انفرد جميع المال كان رجلا أو امرأة " ([5])، ومنها قوله في بعض حالات الطلاق" قال في الرسالة والخلع طلقة بائنة وإن لم يسم طلاقا"([6]).

و-كتاب المختصر:للشيخ خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي، حيث كان يرتدي زي الجندية وهو يمارس التدريس ويرتزق على الجندية([7]).عرف المختصر شروحات كثيرة، أهمها جواهر الإكليل شرح مختصر العلامة خليل في مذهب الإمام مالك إمام دار التنزيل المشهور بالخليل، بجزأيه الأول والثاني ([8]).

---

(1) السعدي، تاريخ السودان. ص 46.

(2) محمود كعت، تاريخ الفتاش. ص 94

(3) التنبكتي، المصدر السابق. ص 67.

([4])باي بن عمر مخطوط النوازل. ورقة 617.

([5]) باي بن عمر مخطوط النوازل، ورقة 677.

([6])المصدر نفسه، ورقة 439.

(7) ابن مريم، البستان، ص 196. التنبكتي، نيل الابتهاج. ص 80.

(8) عمر محمد صالح، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا. ص111.

اشتهر في السودان الغربي ومال الناس إليه، يقول فيه أحمد بابا:" ولقد وضع الله سبحانه وتعالى القبول على مختصره وتوضيحه من زمنه إلى الآن، فعكف الناس عليه شرقا وغربا حتى"([1]). ومدحه كثير من علماء عصره، كما كثر شراحه والمعلقون عليه، من بين شراحه في السودان الغربي أحمد بابا الذي قال:" وقد يسر الله لي في وضع شرح عليه، جمعت فيه لباب كلام من وقفت عليه من شراحه وهم أزيد من عشرة مع الإختصار والاعتناء بتقرير ألفاظه منطوقا ومفهوما، وتذييله على النقول بحيث لو كمل لما احتيج غالبا إلى غيره" ([2]). وقد وردت عنه إشارات عديدة في مصادر السودان الغربي، يذكر السعدي بأن هذا المختصر كان من بين الكتب الفقهية التي كان يدرسها لطلابه الفقيه محمود أقيت، وعن هذا الفقيه انتشر تدريس مختصر خليل في منطقة تنبكت" ([3]). ولم يكن الشيخ باي بدعا من غيره فقد كان اعتماده على كتاب المختصر ظاهرا في الكثير من الاستدلالات في نوازله وفتاويه من ذلك ما ورد في مسألة خلع السفيهة " فقد أشار إلى ذلك خليل بقوله إلى حفظ مال ذي الأب وبقوله أيضا وفي الأنثى دخول الزوج بها وشهادة العدول على إصلاح حالها "([4])، وفي مسألة بيع طعام بطعام في قوله "ممثلا لا ممنوع كشرط عفن بسالم أو دقيق أو كعك ببلد" ([5]). كما استدل الشيخ باي في مسألة شراء دابة ظهر العيب بها بعد ذلك بقول خليل الذي

---

(1) التنبكتي، المصدر السابق ص 81.

(2)المصدر نفسه، ص ص 81-82.

(3) السعدي، تاريخ السودان ص 39.

([4])باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 445.

([5])المصدرنفسه.ورقة477.

يقول فيه"وأما خليل فقيد ذلك بالإضرار فقال لا يدل على الرضا في عيب اطلع عليه بسفره ونحوه ركوب كمسافر ومكره اضطر إليها في الركوب"([1]).

الفصل الثالث:

الصناعة والزراعة والرعي

1- الزراعة

2- لإنتاج الفلاحي

3- الرعي وتربية المـواشي

4- الصناعة والحرف التقليدية

([1])باي بن عمر، مخطوط النوازل.ورقة494.

يعد النشاط الزراعي من أقدم الأنشطة التي مارسها سكان السودان الغربي، ويتمثل هذا النشاط في زراعة الأرض، والري، وتربية المواشي، والصيد بنوعيه البري والنهري، حيث شكل هذا النشاط المصدر الأساسي لقوت السكان اليوم ي، وسنحاول تسليط الضوء على هذه الأنشطة بشيء من التفصيل.

1-الزراعة:

تمثل الزراعة الحرفة الرئيسة والمصدر الأساسي لغالبية أهل السودان الغربي، لوجود معظم المناطق المأهولة بالسكان في منطقة السافانا ذات التربة الخصبة والمياه الوفيرة، حيث تتمركز الزراعة بشكل عام على ضفاف نهر النيجر ونهر السنغال. يذكر الحسن الوزان في كتابه إفريقيا " أن نهر النيجر يشق أرض السودان، وأن أجمل أرض السودان امتداداها على نهر النيجر"([1]).

يمتد طول نهر النيجر أربعة آلاف ومائتان كيلومتر وأنه ينبع من جبال لوم ([2])، والتي تمتد من سلسلة جبلية من بلاد سوليما في الشمال إلى كونو في الجنوب، إلى كيسي في الشرق، من أهم روافده نهر باليكو (paliko) ونهر

---

(1) الوزان، وصف إفريقيا. ج1 ص 30.

(2) مرمول ، إفريقيا. ج3 ص 183

التمبي (tembi)، ينسابان ناحية الشمال ويواصلان السير بموزاة مجرى النيجر، وهذا الأخير -التمبي- ينبع من تل صغير في شرق جبال كوكونات (kokonate)، وليس بعيدا عن قاعدة جبل دارو (Darou) ويلتقي مع الباليكو عند منطقة لايا (laya) بالنيجر، ويصبحا نهرا واحدا، وقد تأتيه الروافد من جبال إدرار إفوقاس شمالا، وتمتاز منابعه بكونها تقترب من مصبه من حيث الدرجات العرضية ([1]).

يعتبر نهر النيجر شريان الحياة في عمليات نقل البضائع وتنقل الناس حوله، لمروره بمحاذاة البلاد الواقعة بين جني وقاو وتنبكت، ولكونه نقطة تبادل الملح بالذهب والعاج بالعبيد ([2]). كما تنتشر حوله المزارع على اختلاف منتجاتها، خاصة الأرز والفواكه والتبغ.

أما نهر السنغال فينبع من جبال فوتاجلون على طول ألف وسبعمائة كيلومتر، طبعا هذاوالنهران أضفيا على التربة خصوبة خاصة في فترة الطمي والفيضان، قد ساهما مساهمة قيمة في الزراعة السودانية كما ساعدا في زيادة كمية الإنتاج الزراعي ([3])، ونظرا للظروف الطبيعية والمناخية المتباينة بين مناطقها الشمالية والجنوبية، من حيث المظاهر النباتية، ودرجات حرارة الليل والنهار، ونسبة الرطوبة، وكمية الأمطار، فإن طابع الجفاف على تفاوته عند الانتقال من خط عرض إلى آخر يبقى المميز لكل تلك

---

(1) فيليكس ديبوا، تنبكت العجيبة، ص ص 50- 51.

(2) دونالد ودنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء. تر راشد البراوي،القاهرة، دار الجيل للطباعة، د ت، ص 38

(3) الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ص 268.

الأقاليم، لكن المجرى المائي الهام المتمثل في نهر النيجر يغير المناظر في الحيز الذي يجري فيه، أو يدفع إليه مياه فيضانه، فسمح بالتحكم في مياه النهر وجرها إلى أماكن واطئة بعيدة ([1]).

هذا عن المناطق التي تعتمد على مياه الأنهار، أما باقي المناطق وخاصة البعيدة عن الأنهار، فتعتمد اعتمادا كليا على الأمطار، والعيون، والينابيع، والمياه الجوفية. فقد ذكر الشيخ باي أن المطر والعيون والسواقي تختلف زكاة منتجاتها فقال" والواجب العشر فيما سقي بالمطر أو بالعيون وما سقي بالسواقي فيه نصف العشر"([2]).

حيث يشكل المطر المصدر الرئيسي للبدو الرحل في الصحراء المتنقلين من مكان إلى آخر بحثا عن الكلأ لأنعامهم والعشب لماشيتهم. فموسم الأمطار في المناطق الجنوبية تبدأ في شهر جوان وتنتهي في شهر أكتوبر، ويبلغ معدل التساقط في تنبكت أقل من مائتين وخمسين ميليمتر في السنة، ويزيد كلا اتجهنا جنوبا، وفي هذه المناطق يعتمد الفلاح على المطر الغزير الذي يسقط بين شهري جويلية وسبتمبر، فتتشكل المستنقعات على ضفاف النهر، حيث تتم زراعة الأرز ([3]).

---

(1) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص 471.

([2]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة287.

(3) مبارك جعفري، المرجع السابق.ص 253.

ففي تنبكت كانت الزراعة تعتمد على مياه نهر النيجر والأمطار معا، حيث يذكر مرمول أن المدينة قد حباها الله بنهر النيجر ([1])، كما يؤكد ذلك محمود كعت أن الزراعة في المدينة تعتمد على مياه الأمطار، وهو ما يوضح أن المنطقة كانت مطيرة ([2])، حيث كانت أرض تنبكت صالحة للزراعة، فيزرع بها القمح في أحواض واسعة بنيت حولها حواجز من الطين، نهاية السنة القمرية بعد تهيئة التربة وتقليبها، واستعمال الثيران لجر المحراث ([3])، ويتم السقي عن طريق تمرير الماء في قنوات إلى أحواض القمح ([4])، وكانت زراعته قليلة، حيث أنها لا تكفي السكان فيلجأ الناس إلى شرائه من عند التجار الوافدين بأثمان مرتفعة، غير أنه لا يستطيع كل الناس شراءه لارتفاع ثمنه ([5]) وأما الشعير فكان يزرع في الشمال في المناطق الصحراوية وفي الواحات ([6])، والذرة والبطاطا واللفت والخص وأغلب الحبوب والخضروات ([7]). أما في جني فيزرع بها الشعير والأرز والقطن.

---

(1)مارمول، إفريقيا. ج3 ص 203.

(2) كعت، المرجع السابق. ص 156.

(3)باي بن عمر، مخطط النوازل. ورقة 470.

(4) محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، ص 116.

(5)جميلة التكيتك، مملكة صنغي الإسلامية في عهد الأسقيا محمد الكبير 1493-1528م. الجماهيرية اللبيبة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998، ص 103.

(6) جعفري مبارك، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، ص 261.

(7) مرمول، المصدر السابق، ج 3، ص 203.

كما عرف السودان الغربي منتجات مختلفة، تعتمد على مصادر مختلفة للسقي، منها مياه الأمطار والعيون والسواقي. وقد ذكر الشيخ باي في نوازله بعض هذه المنتوجات، فقال" الواجب ربع العشر والحرث والمزكى منه التمر والزبيب والحبوب المقتاتة المدخرة كالقمح والشعير والدخن والذرة والقطافي وهي الفول واللوبياء والحمص والترمس والبسيلة والجلبان والعدس فمن حصد من القمح والشعير" ([1]). كما عرف زراعة القطن الذي يعد من أرفع الأنواع والذي يسمى في بعض الأماكن الكتان، حيث يذكر عند الشيخ باي في نوازله"أما القطن فهو الموجود بهذا القطر والعوام يسمونه الكتان وليس هو مع أن بينهما مشابهة" ([2]).

وفي مدينة كاغو كانت الزراعة تعتمد على مياه نهر النيجر والأمطار ومياه الآبار العذبة، كان السكان يزرعون بها الحبوب من شعير وقمح وأرز، وقطن وكميات ضخمة من البطيخ والخيار والقرع الجيد ([3]). يذكر الوزان أن كاغو كان لديها جبال خالية من السكان مكسوة بالغابات ومليئة بالعيون ويوجد بها شجر البرتقال والليمون البري، كما تنتج فواكه لا يختلف مذاقها عن مذاق الشجر المغروس ([4]).

([1]) باي بن عمر،مخطوط النوازل. ورقة 286.

([2])المصدر نفسه. ورقة 236.

(3) الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا. ص 272.

(4) الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص169- 173.

وفي أقدز تعتمد الزراعة على الأمطار والآبار وتربتها صالحة للزراعة، تزرع بها الحبوب والفواكه من أمثال الكروم والدوم([1]).

وفي زكزاك أحد أقاليم السودان الغربي الذي ينقسم إلى قسمين جزء كله سهول، وجزء جبال فقد شهد هذا الإقليم نهضة زراعية، لتوفر المياه فيه بكثرة، فنتج عن هذا كنيات معتبرة من الحبوب ([2]). أما إقليم جوبر فينتج الذرة والأرز الجيد، وأهل البلد يخرجون منه زكاتهم وفي ذلك يقول الشيخ باي" اختيار إخراج الأرز في زكاة الفطر مصفى منزوع الصواب وبذلك يعملون ولا يمنعوا من إخراجه بقشوره"([3])، والفلاحون يستفيدون من فيضان النهر، بقصد تسميد التربة. وفي إقليم الولوف فإن جريان نهر السنغال يغذي التربة إلا أن إنتاجه من القمح والشعير قليل ([4]).

أما في كتسينا ذات الطبيعة الجبلية الوعرة فإنه يزرع بها الشعير والدخن. وفي زنفرا يزرع الأرز والدخن والقطن ([5])، وهو من عروض التجارة التي يزكي فيها الإنسان ([6])، أما شجر الزيتون فيكثر في مدينة سهل إحدى مدن السودان الغربي، وقد غرس فيها قديما. أما في كوبر فيزرع الأرز عند فيضان النهر حيث يغمر السهول ويزرع الحب على الماء، ويكثر بها العسل.

([1]) الدالي، المرجع السابق.ص 171.

(2) الوزان، المصدر السابق. ج 2، ص 174.

([3])باي ب عمر، مخطوط النوازل. ورقة 295

(4) مرمول، إفريقيا. ج3، ص 215.

(5) الوزان، المصدر السابق. ج2 ص 173-174.

([6])باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 286.

أما في مدينة كوكو فيكثر عندهم الفقوس العنابي وخضروات عديدة ذكرها ابن بطوطة وقال أنه لا مثيل لها كالملوخية البرية والثوم والكرنب والباذنجان، كما يكثر عندهم نبات القرعة التي يستعملونها غذاء، ويصنعون منها أواني يزينونها بنقوش، ويستعملونها في حياتهم اليومية، حيث أن الصحون التي كانت تصنع من القرعة، كان يحمل فيها طحين الغوتي إلى عدد من مناطق السودان الغربي ([1]).

أما في تندرم فكانت الزراعة تعتمد على الري من مياه الآبار، حيث كان لأهل تندرم طريقة في حفر الآبار، فعندما يكتمل البئر بالحفر يحضرون حزما من حطب الشبرثبر، ويضعونه في البئر، ويأتون بقوالب بلغنة فيصبونها فوقها، ثم يوقدون عليها النار، فتذوب وتصير متماسكة، ثم يتركونها إلى أن تبرد، ويصبون عليها الماء، أما جوانب البئر فتسطح بالطين الذي أخرج من البئر. كانإهمال هذه الآبار أحيانا مثار تساؤلات الناس، فقد ورد على الشيخ سؤال في هذا المعنى" وسئل عن الماء المتغير بما تطوى به الآبار من خشب وحشيش هل تستعمل به الطهارة" ([2])،يستفاد من هذه الآبار، في زراعة شجرة السلق، الذي يباع للتجار بأثمان عالية ([3]). وما ذكره كعت أن هذا الشجر لا ينمو ولا يثمر إلا على مياه هذه الآبار التي لا ينقص عمقها عن ستين ذراعا ([4]).

---

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق ص 679-680، مرمول، المصدر السابق ج 1، ص 53.

([2])باي بن عمر،مخطوط النوازل. ورقة 107.

(3) الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء.ص 272.

(4) محمود كعت، المصدر السابق. ص 63.

وعند قبائل الهوسا تعتبر الزراعة الحرفة الرئيسية والأساسية لغالبية أهل البلاد، ولأهمية هذه الحرفة فإن المرء يبدأ بممارستها منذ الصغر، فيرافق إخوانه ويتعلم منهم فن الزراعة حتى يصبح فلاحا متميزا، وقد اعتدت قبائل الهوسا في غذائها على الأرز والقمح والذرة ([1])، فهذه الحبوب تعد الوجبة الرئيسية للسكان فقاوموا بزرعها بكميات كبيرة.

من المحاصيل الزراعية التي عرفت رواجا كبيرا مادة التبغ، وقد ظهرت هذه المادة في تمبكت أوائل القرن الحادي عشر هجري، وهي من أهم المناطق التي اشتهرت بزراعته، وكانت هناك أنواع عديدة منه تزرع حيث يقول كاييه أنه شاهد أنواعا صغيرة من التبغ في مدينة تمبكت([2])، عرفت بأسماء متعددة منها: تابغا، التتن، طابغا، التنباك. يذكر السلاوي أن التبغ دخل بلاد المغرب من بلاد السودان، حيث لما قدمت الفيلة على المنصور من بلاد السودان، جاء ساستها ومعهم التبغ يشربونها، ويزعمون أن فيها منافع، فشاعت بين الناس في بلاد المغرب ([3]). ويذكر ديبوا أنه رأى التبغ بالقرب من تمبكت يحيط بالمنازل ([4])

كما يسميها الشيخ باي بن عمر بمادة المنط،حين سئل عن حكم استعمال المنط ([5])، إضافة إلى نبات الكولا الذي ينتج في هذه المناطق ويستعمل في

---

(1)القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص288.

(2)René Caillie, Voyage d’un faux musulman, p 112

(3) السلاوي الناصري المصدر السابق. ج 5 ص 126.

(4) فليكس ديبوا، تنبكت العجيبة ص 40.

([5]) باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 88.

المبادلات التجارية ([1])، كما ذكر الشيخ باي زرع وبيع الدخن والذرة. حيث سئل عن حكم قضاء الدخن بالذرة، فقال أن الدخن هو المسمى بلسانكم أنيل والذرة المسماة أبور([2]).

هذا عن الحبوب والخضروات والفواكه التي تنتجها بلاد السودان الغربي، لكن ما يلاحظ عن جزء كبير من أراضي السودان الغربي، أنها تحتوي على غابات كثيفة بها أشجار مثمرة، وأخرى غير مثمرة بلغت من الضخامة والعلو ما يجعل القافلة الواحدة تستظل تحت شجرة واحدة منها كما يقول ابن بطوطة، وأن النساج ينسج غزله بداخلها إلى غير ذلك من الأوصاف التي توحي بضخامة هذه الأشجار.

من الأشجار المثمرة أشجار أشبه بالتفاح والمشمش والخوخ، وهناك أشجار يستخرج من ثمارها دقيق يستعمل في المبادلات التجارية في الأسواق المحلية والخارجية ([3]). كما تعرف المنطقة أشجارا تعرف بالزيزور، وأخرى بالقوص وهي تشبه السفرجل، وأشجارا تشبه شجرة الليمون، يستخرج منها مخلوط يشبه دهن السمن، يستخدم في وقود السراج، وصنع الصابون، وطلاء المنازل ([4]).

---

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق ، ص 674. الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا، ص 70.

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 526.

(3) ابن بطوطة، المصدر السابق ص681. مرمول، المصدر السابق ج1، ص 53. الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ص ص 274-275.

(4) الدالي، المصدر نفسه ص 276.

ومن المحاصيل الزراعية كذلك مادة التبغ أو ما يسميها الشيخ باي بالمنط ، إضافة إلى مادة الكولا الذي ينتج في هذه المناطق ويستعمل في المبادلات التجارية ([1]).

2- الرعي وتربية المواشي:

إنموقعالسودانالغربيجعلأراضيهالشاسعةوالمتعددةالمظاهرمنسهولوصحاريوجبال ،وحتىأنهاروممراتمائيةمتنوعة،جعلمنهذاالتنوعتنوعاأيضافيالغطاءالنباتي،الذييجلب إليهأنواعامختلفةمنالحيوانات،منهاماهوقابللرعيهوالاستفادة منه،ومنهاماهوبريكالزرافات،والوحوشالضارية،والفيلةوغيرها،ومنالحيواناتالتييرعاهاالإنسانويستفيدمنها،منأجلالتحميلأوالحلبأوأكللحومها،فكانهناكالجمالوالغنموالضأنوالبقروالحمير.

لقدكانت ممارسة حرفة الرعي حرفة مشهورة عند السكان، كونهم في الغالب بدوا رحلا لا يستقرون إلا حيث الماء والكلأ. ومهنة الرعي متاعبها كثيرة وأخطارها جمة. فتعبهايتمثلفيأن الرعاةيخرجونبمواشيهممنالصباحإلىالمساء،صيفا وشتاء،منالصباحإلىالظهيرةفيالمراعي،بعدالظهريأخذونماشيتهمإلىأماكنالماءللشرب، وعادة ما تكون الآبار([2])، وهذه الآبارقليلةفيالفلواتوالبوادي ([3]).

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق. ص 674. الهادي الدالي، مملكة مالي. ص 70

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة131.

(3) المصدر نفسه. ورقة 165.

يتبعالرعاةترتيبالسقيأنعامهم،حيثتسقىالأغنامأولاثمالحميرثمالأبقاروالجمال ([1])، وفي المساء تعود هذه المواشي إلى الزريبة، وعادة ما تكون عبارة عن مكان قريب من البيت،إن
لميكنبداخلهيحاطبسياجمنالسلك،أوبحائطقصير،يفصلفيهبينالحميروالبقروالجمال والغنمكلصنففيمكانه،وعادةتوضعالأغنامفيالزريبة،والبقرفيمكانهابينماتعقل ([2]) الإبلوالحميرفيمكانفسيح، وهكذاعملهسائرالأيام.

ومنأخطرمايواجهالراعيالعطشوالتيهفيالأماكنالقفرة، أو الاختطاف، أو ربما حتى القتل إذا اعترضه قطاع الطرق. كما تتعرض أحيانا الماشية إلى السرقة أو الضياع، وقد كثرت الأسئلة على الفقهاء حول هذه الظاهرة، هل ضياع الماشية يعوضه الراعي؟أو التغريم في حالة إفسادها للحرث ([3]) وغيرها من الأسئلة، وقد ذكر شيخنا الشيخ باي في النوازل أمثلة على ذلك كثيرة([4])،.كمايوجدنوعمنالأغنامعندالطوارقالمعروفةبسيدوانسبةإلىالسودان،فهيموجهةللذبح،نفسالحالمعالبقر.

ا- الجمال:

---

(1)جعفري مبارك، المرجع السابق. ص264.

(2)عقال حبل تربط به الإبل، وقد ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم :" اعقلها وتوكل " وقول أبي بكر أيام الردة :" والله لو منعوني عقال بعير كانوا يعطونه للنبي لقاتلتهم عليه.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة631.

(4)المصدر نفسه.ورقة 558-577-578.

أماالجمالفيوليهاالسكانأهميةكبر بلانتفاعهمبألبانها ووبرهاوجلودهاولحومها ([1]). ومنفوائدالإبلإضافةإلىماقلنا، أن بوله ولبنه علاج ففيالحديثالنبويالشريفعن أنسرضياللهعنهأنناساجتووا فيالمدينةفأمرهمالنبيصلىاللهعليهوسلم "أنيلحقوابراعيهيعنيالإبلفيشربوامنألبانهاوأبوالها فلحقوا براعيه فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صحت أبدانهم فقتلوا الراعي وساقوا الإبل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث في طلبهم فجيء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم" رواه البخاري

يبدأاستعمالالجملفيسنالأربعسنوات،يستعملفينقلالبضائعمنمكانإلىآخرلصبره وتحملهالعطش وهو نوعانكماقالالوزانالهجنمنالإبلضخمةتستطيعحملألفرطل إيطالي،والرواحلوهيلاتصلحإلاللركوب،وهينحيفةوسريعة،تسيرمسافةمائةميلاً وأكثرفياليوملمدةثمانيةأيام إلى عشرة،وتستطيعقطعالمسافةمنتنبكتإلىسجلماسةفيظرفسبعةأيامأوثمانية،ومنأرادا لاحتفاظبالإبلللأحمالعليهتركذكرواحدلكلعشرةإناث ([2]). وعندما يعجز عن مواكبة السير في القوافل التجارية لتقدمه في السن يحول حينها للذبح والاستفادة من لحمه.

ب- البقر:

([1])Georges Robert, Voyages a traversl Algerie, notes et croquis la province d' alger, constantine, oran le sahar Algeriennee, description historique ,Mœurs, Legendes, Paris, p 308.

(2)الوزان، المصدر السابق. ج 2، ص260.

يختلفالبقرعنالإبلفيمقاومةالعطشوالسيرفيالصحراءمسافة طويلة،لذلك فإننانجدالبقريتواجدبالأماكنالقريبةمنمنابعالماءكالأنهاروالوديانحيثالمراعيالشاسعة،يقول أن المناطق المحيطة بتنبكت بها قطعان مدهشة من الثيران ([1])،

منبينمناطقالسودانالغربييشتهرالفلانبحبهمللبقروتفانيهمفيخدمتها،وقدذكربولمارتيأنإحدىقبائلالفلانتمتلكفيحدودالستمائةبقرة ([2])،ويفضلحليبهاعنحليبالغنم.إضافةإلىكونالبقرمصدرمنمصادرالحليبواللحوموالجلود، فقداستخدمالسكانفيالسودانالغربيالبقرللحرثفيالحقول([3])،وكماباقيالحيواناتفإنالبقرأيضايتعرضللأمراضمثلماأوردهالشيخبايأنالمرضانتشرفيهذهالأزمنة ([4])،ومنهذهالأمراضمرضالسلالرئويالذيأصابالبقرسنة1281هـ/1864مهلكتفيهأعدادكبيرة ([5])، ومرض(ديكاك) الذي أصاب البقر عام 1309هـ / 1892م هلكت فيه أعداد كبيرة ([6]).

ج- الضأن والمعز:

---

(1)فيليكس ديبوا، المصدر السابق. ص37.

(2)بول مارتي، القبائل البيضانية. ص73.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 470.

(4)المصدر نفسه.ورقة 263.

(5)جعفري، المرجع السابق. ص273.

(6)المرجع نفسه. ص273.

يذكر بول مارتي أن قبيلة ترمز الفلانية تمتلك ستة آلاف من الضأن والمعز ([1])، وترتكزتربيةالأغناموالماعزعلىالمناطقالتييتوفرفيهاالماء، فقد ذكر فيليكس ديبوا أنه رأى نوعا من الأغنام قرب النهر يكثر عليها الصوف بأعداد كبيرة تصل أعدادها إلى الألوف ([2]). أو بالقرب من الأماكن العمرانية. ولتسمينالخرافيقومالفلاحون بخصيها، وقد وردت في نوازل الشيخ باي

الكثير من الحالات عن خصي الأغنام وكيف أنها تباع وحدها أو تستبدل بسلع أخرى، مثل بيع خصيان الغنم مبادلة في وقت كان السكان يستفيدون من اللحوم والجلود فقط ([3]).

إضافةإلىهذهالحيوانات السالفة الذكر كانت الخيول التياستعملتفيالحروب، خيول تنبكت شبيهة بالخيول العربية ([4]). وكذلك الدواجن في تنبكت أصناف الدواجن رخيصة جدا خاصة البط البري، كما توجد أعداد ضخمة من طيور النيجر السهلة الاصطياد ([5])

4- الصناعةوالحرفالتقليدية:

مارسسكانالسودانالغربيإلىجانبالزراعةمهنامختلفةوحرفاوصناعاتيدويةمتنوعة، لتوفير متطلبات الحياة اليومية، وتأمين الحاجات الضرورية، وهذا كله

---

(1)بول مارتي، القبائل البيضانية. ص73.

(2)فيليكس ديبوا، المرجع السابق. ص37.

(3)باي بن عمر مخطوط النوازل. ورقة468-469.

(4)فيليكس ديبوا، المرجع السابق. ص37.

(5) المرجع نفسه. ص 38.

من فيض ما تجود به عليهم البلاد من مواد أولية، وخامات أساسية تستخدم في الصناعات والحرف اليدوية. فما هي هذه المواد الأولية؟ وماهي استخداماتها المتنوعة؟ ومنتجاتهافيالسودانالغربي؟

1- المواد الأولية:

نظرا لشساعة السودان الغربي وتنوع تضاريسه وتباين مناخه من منطقة إلى أخرى، فكانت هناك المواد الأولية النباتية، والحيوانية، والمعدنية.

ا- المواد الأولية النباتية: للغطاءالنباتيالمتنوعفيالسودانالغربي أثره الملموس في توفر ثروة نباتية ومواد أولية لكثير من الحرف، فعلى ضفاف الأنهار تتوفر كثير من النباتات والأشجار التي تستخدم في كثير من الصناعات، فقد كانت السفن تصنع من أشجار غليظة وقوية، بعد أن تعد الإعداد الجيد وتنظف من بقية الأغصان، ثم تخاط بطريقة انسيابية، فتصنع قوارب صغيرة، وسفن كبيرة ([1])، وهناك سفن يتفنن فيها صناع السودان، من حيث الأناقة وهي التي ينتقل فيها السلطان ([2]). ولما كان الإفراط في قطع هذه الأشجار تدخل بعض الجماعات والفقهاء وفرضوا غرامات على من يفعل ذلك لما له من ضرر بالغ، كما ورد ذلك في نوازل الشيخ باي([3])،كما وجدت

([1])الهاديالمبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا. ص 293.

([2])محمود كعت، تاريخ الفتاش. صص105-158.

([3])باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 748.

كثير من الأشجار لاستخراج مادة الكندر وبيعها للنصارى، وقد ورد ذلك في نوازل الشيخ باي ([1]).

ب- المواد الأولية الحيوانية: إلى جانب الثروة النباتية، استغل الإنسان السوداني ما في يده من حيوانات، وما يصطاده في المساهمة في كثير من الصناعات، والحرف اليدوية، وكل هذا مما تنتجه الحيوانات، إما التي يرعاها الإنسان عنده أو البرية التي يصطادها، ولعل أهم هذه المواد:

ب- 1- الحليب: الذي تجود به النوق والأبقار والماعز، وقد كانت حرفة الكثيرات من نساء السودان الغربي، حلب اللبن ومخضه واستخراج الزبدة منه، حتى أن الفتاوى في شأن طهورية ملابسهن كانت تورد على الفقهاء، من ذلك ما جاء في نوازل الشيخ باي".... والحالبة للبن والماخضة له والجامعة للزبد من القربة" ([2]). ب- 2- **الجلود**:عرف السودان الغربي بإنتاج كميات معتبرة من الجلود وهذا لتوفر الحيوانات التي تستغل جلودها بعد الدبغ، وله استعمالات متعددة منها السجاد الذي يستعمل للصلاة، وقد ورد على الشيخ باي سؤال " عن حكم الصلاة على ما يأتي من جهة السودان، فأجاب بأن الصلاة على ما يأتي من جهة السودان من الجلود، وهم لا يصلون ولا يبالون بالحرام، فما كان منها مدبوغا فأمره على سهل، إذ الجماهير على طهارة الجلد بالدباغ ولو كان ميتة" ([3]). وكذلك استعمالات أخرى متعددة

([1])باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 749.

([2])المصدر نفسه. ورقة 95

([3])باي بن عمر، مخطوط النوازل.ورقة 205.

ودخل في صناعات متعددة، كصناعة النعال والتي لها استعمال واسع بحكم الجو الحار في السودان الغربي، كذلك صناعة الخيام والقرب، وأغماد السيوف والسكاكين،هذا عن جلود الماشية، أما جلود الحيوانات البرية والمتوحشة فقد استعملت جلودها استعمالات متعددة منها صناعات الزينة من جلود النمور والأسود والثعالب، وصناعة السحر والشعوذة من جلود الزواحف كالأفاعي والثعابين والضب ([1]).

ب- 3- **بيض وريش النعام:** والذي يستعمل الريش منه في صناعة المراوح، وحشو الأرائك والوسائد، كذلك يستعمل بيض النعام في صناعة مواد الزينة وبعض العقاقير والأدوية ([2]).

إضافة إلى مواد أولية أخرى هي العاج الذي يؤتى به من أنياب الفيلة وقرون وحيد القرن وفرس النهر، حيث يستعمل كمقابض للسيوف.

ج- المواد الأولية المعدنية: توفر السودان الغربي على كثير من المعادن منها ما استغل و منها ما بقي قليل الاستعمال، يأتي في مقدمة هذه المعادن الملح الذي يعتبر المنتوج الرئيسي والأكثر طلبا في السودان الغربي، حيث تنتشر مناجمه و تتنوع من حيث الكثرة والقلة، وتكون في بعض الأحيان عرضة للتلوث، لما يصيبها من نجاسة، وقد اختلف الناس في الملح الذي تصيبه نجاسة وقد ورد على الشيخ باي سؤالا حول حكم الملح الذي خالطته

([1])زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين. ص 223.

([2])جعفري مبارك، الحياةالاجتماعيةوالاقتصاديةفيمنطقةالأزواد. ص 284.

النجاسة ([1])، إضافة إلى النحاس الذي يقل وجوده، اللهم إلا في منجم تكدا. وكذا الذهب الذي يستخرج من مناطق معروفة لدى السودانيين مثل الأشانتي، لوسي، كانو،الضفة اليسرى لنهر الفولتا، وكان هذا الذهب يغطي أسواق المغرب ومصر ([2])، أما الحديد فكان متوفرا في جبال الماندي وفي منطقة نياني.

2- المهن والحرف:

بتوفر المواد الأولية المتعددة والمتنوعة في السودان الغربي، عرفت الصناعات المحلية ازدهارا وتنوعا كبيرين، فلقد اشتهرت مملكة صنغي بكثرة الحرفيين والصناع، حتى أن عددها بلغ أربعا وعشرين حرفة و مهنة ([3]). وما يميز الحرف في السودان الغربي عموما توارث المهن، حيث يتوارث أبناء الأسرة الواحدة أبا عن جد حرفة معينة واحدة ([4]). من ذلك عائلة أولاد احمد بن عبد الله الأندلسي في مدينة سهل، ورثوا هذه الصناعة

([1]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 62.

([2])زبادية، الحضارة العربية. ص 38.

([3])أحمد طاهر، إفريقيا أصول في الماضي والحاضر. دار المعارف، القاهرة، د ت، ص84.

([4])فيليكس ديبوا، تنبكت العجيبة. 155.

عن أبيهم مصطفى ([1]). وكانت تجري مناقشة وإدارة الشؤون الاقتصادية للمهنة داخل الجماعة السلالية التي تتوارث المهنة ([2]).

اشتهرت بعض حواضر السودان الغربي بكثرة الحرفيين كتمبكت وغاو، وجني. فتجد أن أهل تمبكت أهل حرف وصناعة كالخياطة والحدادة والدباغة وصناعة الذهب والفضة، وأنهم ليسوا أهل حرث، وأن أهلها لديهم رجاحة عقل لا يأتيهم شي إلا صنعوا مثله ([3]).أهم هذه الحرف والمهن المنتشرة في السودان الغربي:

ا- الصناعة النسيجية:

عرفت حرفة الغزل والنسيج في السودان الغربي منذ القدم، ذكر محمود كعت أن تمبكت لها ست وعشرون بيتا من بيوت الخياطين، لكل واحدة من تلك البيوت شيخ معلم، وعنده من المتعلمين نحو خمسين، وعند بعضهم سبعين إلى مائة من الخياطين ([4]) كما رأى فيليكس ديبوا في أحد مباني

([1])Delafosse M, Haute Senegale Niger, Paris, 1912, p p 11-163 الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ص290

([2]) لويد بيتر، إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة شوقي جلال، سلسة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم 28 أفريل 1980 ص48.

([3]) أحمد بن بابير الأرواني، مخطوط السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكت البهية، دون ترقيم المكتبة الزيدانية نيامي، النيجر. ورقة 19 - 20.

([4]) كعت،تاريخ الفتاش. ص 180.

تمبكت صبية يعملون بالإبرة في الأقمشة ويصنعون السراويل والثياب الواسعة وآخرون يصنعون عليها الطرز ([1]).

كما طور الأهالي بشكل كبير صناعة النسيج، خاصة بعد وجود المواد الأولية مثل الصوف والوبر والقطن، فقد أكد الوزان عند زيارته لصنغاي في عهد الأسكيا الحاج محمد الكبير في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي (10هـ - 16م) على انتشار دكاكين الحياكة في مجال القطن، بعض الناس يقوم بغزله، والبعض الآخر اختص بنسجه ([2]).

أورد لنا الشيخ باي في نوازله ما يدلل على انتشار حرف الغزل والنسج والخياطة والدبغ من ذلك " أن المرأة إذا كانت تعمل مثل الغزل والنسج ونحوهما فإنها شريكة فيما تنشأ عن خدمتها إنصاف بينهما ... وهي عندهم عادة مطردة " ([3])، وفي موضع آخر" أما الثوب المشترى فإن كان لم يلبس فهو محمول على الطهارة ولا ينظر إلى حال من نسجه ولا من خاطه ولا من باعه، فإن ما عمله الصناع كالخياط والغرّاز محمول عندنا على الطهارة كالمنسوج كافرا كان صانعه أو مسلما مصليا كان أو غير مصلي، وكذلك

([1]) فيليكس ديبوا، تنبكت العجيبة. ص 206

([2]) الوزان، وصف إفريقيا. ج2، ص537.

([3]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 535.

المرأة النسّاجة"([1]).وفي جني يقوم الرجال بالصباغة ونسيج الأقمشة وليس النساء ([2]).

ب- دباغة الجلود:

من الحرف المنتشرة في السودان الغربي وقد تطورت وكثر محترفوها حيث تعددت الصناعات الجلدية، كانت تمارس من طرف النساء في أغلب البيوت، فقد ذكر الشيخ باي في النوازل هذا الأمر حين تحدث الشركة في التجارة فقال:"بالنسبة لمن تلك عادتهم ككثير من أهل الأرض في دبغها لما هو له من الجلود فإن العرف جار بأنها إذا دبغتها وخاطتها يكونان شريكين بالمناصفة" ([3]) .

والجلد هو المادة الأساسية لهذه الصناعة وهو متوفر لكثرة الحيوانات (الماعز)، وله طرق مختلفة في دبغه من هذه الطرق أنه عند ذبح الماعز ويفضل الذكور ويخرج الجلد من الرقبة بعد ذبحه، ويحافظ على سلامته من الثقب ويطمر في الأرض لفترة من الزمن، ثم يخرج ويكون قد زال شعره ثم يوضع في الدباغ والمعروف بالجداري وعيدان شجرة التاكوت، الذي يكثر بمدينة غدامس، ويجلب إلى السودان الغربي، وبعد شهر من دباغه يخرج، وقد أصبح أملسا ورطب وذا رائحة طيبة([4])، ويستخدم بعد ذلك استخدامات

([1]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 93.

([2])فيليكس ديبوا، تنبكت العجيبة. ص 155

([3]) باي بن عمر،المصدر السابق. ورقة 535.

([4]) الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا. ص 288.

متعددة، منها استعماله كقرب لجلب الماء فيحمل على ظهور الدواب بعد جلبه من الآبار ([1])، أو استعماله للشرب، ولا يكاد يخلوا بيت منه ويسمى البو، ذكره الشيخ باي في فتاويه حين سئل عن حكم شرب لبن محلوب ببو جلد ميتة ([2])، أو لحفظ الدقيق في ما يسمى (المزود)، أو الزيت والسمن، وكذلك اللحم المجفف في (العكة). ثم تطورت صناعة الجلود، وكثر محترفوها وتعددت الصناعات الجلدية، وجلبوا لها مواد الصباغة من المغرب ومن غدامس، واستخدم الصباغون أوراق النبات وأضافوا لهذه الأصباغ الشب والملح لتثبيت الألوان ([3]).

ج- الصيد:

مهنة قديمة في السودان الغربي مارسها الإنسان السوداني وهي على نوعين صيد بري وصيد نهري، وهذا حسب توفر الحيوانات فيها، تحدث كثير من الرحالة عن هذه المهنة، فقد قال العمري:" إنه في صحاريهم الجواميس البرية تصاد كالوحوش" ([4])، وذكر الوزان أن البدو في صحراء السودان يقضون حياتهم في الصيد ([5])، كما تكثر في هذه الصحراء الحيوانات الضارية ([6])،فانتشر صيد المها والغزلان والظباء، والزرافات

([1]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 81.

([2])المصدر نفسه. ورقة 82.

([3]) الهادي المبروك الدالي، الرجع السابق. ص 291

([4]) العمري ابن فضل الله، كتاب مسالك الأمصار في ممالك الأبصار، ص 63.

([5]) الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص58.

([6]) الوزان، وصف إفريقيا. ج1، ص76.

والحبار بأنواعها([1])، إضافة إلى حيوانات سماها الشيخ باي الوحوش ([2])، وهي الحيوانات البرية الموجودة على ضفاف الأنهار، وهي الأسود والغزلان والفهود والظباء وابن آوى والضباع، والزرافات والقردة، وحيوانات نهرية أخرى والتماسيح وأفراس النهر، ورد نوع من الخنازير البرية السوداء اللون في نوازل الشيخ باي ([3])، كما يوجد في البيئة السودانية طير النعام الذي يستفاد من ريشه فيصدر إلى خارج السودان الغربي، فيدر عليهم أرباحا طائلة، كما استخدم جلد رقبة النعام حفظ الذهب ([4]). إضافة إلى طيور أخرى برية احتضنتها أرض السودان الغربي وهي الباز والعقاب والنسور وصارت مغرب مثل لمن ينكل به فيقال :" إن أدركك خصيانه هنا قتلوك وصيروك غذاء للعقاب والنسور" ([5])، كما توفر نهر النيجر على عدد من التماسيح الخطيرة حتى أن طول الواحد منها يتجاوز 12 ذراع.

كان السكان يمارسون صيدها جماعات، ويبيعون جلودها في الأسواق بأثمان مرتفعة، وكان ملوك صنغي يقتنون أذنابها فيزينون بها مساكنهم و قصورهم وكذلك كان يفعل أثرياء المجتمع ([6])، إضافة إلى فرس النهر الذي توجد منه أعداد كبيرة في النهر، حتى أن بعضهم ([7]) يقول أن اسم المنطقة

([1])الفهري حبيب عمر، القبائل العربية شمال مالي والنيجر. ط1، ددن النيجر 2004 ص41.

([2]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 314- 315.

([3]) المصدر نفسه. ورقة 318.

([4]) الوزان، المصدر السابق.ج2، ص 269.

([5]) كعت، تاريخ الفتاش. 137.

([6])الوزان، وصف إفريقيا. ج 2، ص269.

([7])عثمان باريما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ص39.

حمل اسمه لأن مالي بلغة البمبارا تعني فرس النهر، وكان يؤكل لحمه بعد صيده ([1]).

كما عرفت مهنة الصيد النهري انتشارا واسعا في المناطق الواقعة على ضفاف الأنهار، وقد تحدث كعت عن ذلك وعدد أنواعا من الأسماك، منها الكبيرة والصغيرة ([2])، وسماها حوتية فقال: منها القطبان ذو الألوان الزاهية الفضية، وسمك الصابر ذو الرأس الضخم والفم الواسع، وسمك القوسية، والكيني، والصوفاو، والسماني البوري، والكانبو، وتاكو يامباح وديولي وبيي ([3]). وكان أهل كرمن من الزناجية، ينزلون بموضع على نهر النيجر يدعى سنشركي يصطادون فيه الأسماك وتعرف عندهم حيثان بدع ([4]). وفي إقليم الولوف يعيش عدد وافر من الأسماك المختلفة الأحجام والألوان ([5]).

استخدم أهل السودان الغربي الأسماك في غذائهم، فيتناولوها طرية أو بعد تجفيفها، وكانوا يصدرون جزء منها إلى الشمال الإفريقي، فتباع في أسواقهم بأثمان مرتفعة ([6]).

أهم المنتجات:

([1]) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ص 402- 403.

([2]) كعت، تاريخ الفتاش. ص119.

([3]) حوتية، توات وأزواد. ج1، ص ص 127- 128.

([4])كعت، المصدر السابق. ص 119

([5]) الهادي الدالي المبروك، التاريخ السياسي ولاقتصادي لإفريقيا. ص 280.

([6])البكري، المسال والممالك. ج1، ص51. مارمول،إفريقيا. ج3، ص215.

بتوافر المادة الأولية انتشرت المصنوعات في السودان الغربي والتي أبدعت فيها يد الإنسان السوداني، وهذه المنتجات هي:

1- المنتجات النسيجية:

كثيرة ومتعددة الملابس الخاصة بالرجال والنساء، فقد كان السكان كما يقول الوزان:" أن أهل كوبر متحضرون وهذه الحضارة تولدت منها مهارتهم في صناعة نسيج القماش ([1])، كما انتشرت الملابس القطنية خاصة والقطن متوفر، وقد ذكر ذلك الشيخ باي حين قال:"أما القطن فهو موجود بهذا القطر والعوام يسمونه الكتان وليس هو مع أن بينهما مشابة" ([2])، إضافة إلى استعمال كلباس، يستعمل أيضا لتكفين الموتى كونه المستحسن من الثياب، وما فضل إلا لبياضه وثخانته كونه الغالب ([3])، كما برع أهالي قبيلة الزغاويين في صناعة البيوت من وبر الإبل ([4])، وبرع أهالي الذمدم في نسج الثياب والأكيسة من خيوط، تخرج من ثمار أشجار التوريري، الذي لا يتأثر بالنار ([5]).

([1]) الوزان، وصف إفريقيا. ج 1، ص171. الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء. 289.

([2]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 234.

([3]) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 234.

([4]) الإدريسي، نزهة المشتاق 1 ص110- 111.

([5]) الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ص290.

كما احترف بعض سكان مناطق السودان الغربي صناعة الأرز التي يطلقون عليها الشكيات وهي ملابس قطنية تصدر أحيانا ([1]) كما كان من بين المنتجات الزرابي التي كانت تصنع من أصواف الأغنام وشعر الماعز ووبر الإبل، واختص النساء بصناعتها دون الرجال، وصناعة الزرابي انتقلت من الشمال الإفريقي إلى السودان الغربي.

كما عرف إنتاج الحصير الذي ينسج من نبات يشبه الديس إلا أنه أقوى منه و أكثر سمكا ([2])، إضافة إلى الحبال التي كانت تفتل من الحلفاء، كانت تمارس هذه الحرفة في أوقات الفراغ، يقدم عليها العبيد والغلمان في بعض الأحيان كنوع من التسلية ([3])، ولهذه الحبال استعمالات متعددة، فهي تستعمل كعقال الدواب، واستخراج المياه من الآبار، شدّ أعمدة الخيام، ومن مادة الحلفاء، وبسعف النخيل صنعت أطباق يقدم فيها التمر والخبز، بعضها يستعمل للشرب بعد دهنه بمادة القطران.

2 ـ المنتوجات الجلدية:

إن توفر الحيوانات بين مستأنسة ومتوحشة في السودان الغربي انعاكاساته على المنتجات الجلدية، حيث توفر لنا هذه الحيوانات المادة الأساسية في صناعة الجلود، وهذه المصنوعات كثيرة ومتنوعة منها الَقرب التي يعتبر استعمالها مهم، خاصة عند البدو الرحل، حيث تعلق على عمود في الظل

([1]) السلاوي، الاستبصار. ص225.

([2]) كعت، تاريخ الفتاش. ص106- 108. الوزان، وصف إفريقيا.ج2، ص172.

([3]) محمد بن المختار الكنتي، الطرائف والتلائد. ورقة 105.

خارج الخيمة. كذلك النعال والسروج وأعمدة السهام. والآلات الموسيقية خاصة الطبل الذي يعتبر من أهم الآلات الموسيقية لدى سكان السودان الغربي ([1])، إضافة إلى الجبير الذي تحفظ فيه الوثائق والعقود والمخطوطات بالنسبة للأسر العلمية ([2]).

3 - المنتجات الحديدية:

انتشرت صناعة الحدادة في كل من تنبكت وجاو، وهي من الحرف المتداولة، وكان هؤلاء الحدادون ينتجون معاول الحرث وأدوات الحرب كالخناجر والسيوف والرماح والدروع الخوذات، يتم تطريزها بنقوش ورسومات فائقة الدقّة، كما يصنعون الفؤوس وحدائد الخيل، والمطارق والإبر ([3])، كذلك السكاكين وحلي المرأة كالخواتم والأقراط والأساور والخلاخل، ولا يكتفي هؤلاء الصناع بصناعة ما ذكرنا، بل يصلحون للناس ما ضاع من أغراضهم، فيسن سكين هذا، ويصلح مقبض سيف ذاك، أو غطاء إبريق آخر ([4])، كما كان هناك الكثير من المنتجات النحاسية مثل الأواني وأعمدة السيوف، واستعمالات متعددة كزركشة الألبسة ونحوها ([5]).

([1]) الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ص 291.

([2]) جعفري مبارك، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ / 19م، ص298

([3]) كعت، تاريخ الفتاش ص30.

([4]) محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء الكبرى. ط 2، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، مطابع أديتار كاليرى، إيطاليا 1989. ص69.

([5]) جميلة التكيتك، مملكة صنغي الإسلامية في عهد الأسقيا محمد الكبير 1493-1528م. ص110.

4 - المنتجات الفخارية والحجرية:

عمل سكان السودان الغربي في صناعة الفخار وتشكيله، فصنعوا منه أدوات للطبخ وحفظ الحليب، عرفت عندهم بالقدح ([1]) كما استخدم الطين في صناعة الأطباق ([2]).

اشتهرت تنبكت بأفرانها الطينية المنتصبة في الشوارع تستعمل لطهي الخبز ([3])، كما عرف السودان الغربي صناعة مخازن الحبوب والتي تصنع من الطين المخلوط بالتبن والملح حيث يصل ارتفاع الواحدة منها أربعة أمتار ([4]).

5 - المنتجات الطبية العلاجية:

اجتهد سكان السودان الغربي في استخلاص بعض الأدوية مما يصيدونه، ومما يجنونه من الأرض، فكان يستخلص من بيض النعام بعض العقاقير والأدوية لعلاج بعض الأمراض مثل البرد وداء المفاصل،كذلك استخدام الملح في صناعة كثير من العقاقير الطبية.

([1]) كعت، تاريخ الفتاش. ص90.

([2])فيليكس ديبوا، تنبكت العجيبة. ص155.

([3]) مبارك الجعفري، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م.ص303.

([4]) كعت، تاريخ الفتاش. ص10.

استخدمت نباتات السافانا

أدويةلكثير منالأمراض،فمنقشور أشجار الطلعومنورقهاوثمرهاوعلكهايصنعالكثي رمنالعقاقير التيتستخدملعلاجالكثير منالأمراضكأوجاعالمعدةوالأمعاء،وعلاجالج روحوالنزيف،ولدغةالأفاعي،والتهابالجهاز التناسليوقصور الكلى ([1])،ومنشجرةالصابرا تستخرجعصارةمرةتستعمللعلاجالإسهالوخروجالإمساك وكذا الصداع ([2])،ومنشجرتقرقدىالذيينبتفيالصحراءعلاجلداءالقيء،ومنشجر الخروب علاج البواسير، ومن نبتة الكركدية علاج لمرض السكر ([3]).

([1])بورواقأندوين

سايإينتدي،خطةمرقملصحاربحيةابتداءمنمنطقةتيرسفيالمناطقالمحررة.ترجمةعبداتيسيديمحمدوسيديمح مدمولاي،اسبانيا.مصلحةالنشرالمركزيةللحكومةالباسكية2010،ص159.

([2])مباركجعفري،المرجعالسابق.ص280.

([3])الهاديالمبروكالدالي،قبائلالهوسادراسةوثائقية.ص247.

الفصل الرابع:

التجارة في السودان الغربي

1- طرق المـواصلات والقوافل التجارية

2- صادرات وواردات السودان الغربي

3- العملة وأساليب التعامـل التجاري

4- الـمـكاييل والأوزان والعمـلات

تعتبر التجارةالوسيطالمهمبين الشعوبفيمابينها،وكغيرهالسودان

الغربيلعبتالتجارةعبرالصحراءعلىوجهالخصوصأدوارامهمةفيربطالمناطقبعض

هاببعض،حضارياوسياسياواقتصاديا،وذلكعنطريقالقوافلالتيساهمتمساهمةفعالة

فيإزالةالعزلةعنبعضالمناطق،كماكانتإحدىأسبابالصراعاتالتيقامتبينالقبائلالصح

راوية،لأن القوافلالتجاريةفيالصحراءتدرأرباحاكبيرةعلىمن

يقومونبتنظيمها،وفينفسالوقتهيسببالخلافالذيينشأبينالقبائلفيمن

لهالحقفيتنظيمهذهالقوافلومايجبيهمن مال،وللحديثعنالتجارةلابدمن

التركيزعلىالقوافلالتجارية وطرقالمواصلاتوأساليبالتعاملالتجارية،لأنالسودان

الغربيإلىوقتقريب كان أسلوب المقايضة هو

الأكثرانتشارا،ولميعرفالتعاملبالعملاتإلامؤخرا،إضافةإلىذلكفقدكانتهناكصادراتم

همةمنالسودان

الغربيإلىبقاعمختلفة،كمااحتاجسكانهإلىموادااستهلاكيةاستوردتمنمناطقمختلفةمن

أبرزهاالشمالالإفريقيومن ثمأوربا،وكذلكبعضمناطقإفريقياالمجاورةومصر.

طرق المواصلات والقوافل التجارية:

1- طرق المواصلات:

تمثل طرق المواصلات عاملا أساسيا في ازدهار التجارة، فكلما زادت الطرق وعم بها الأمن نشطت الحركة التجارية، وقد نعم السودان الغربي بهذا الأمان في فترات متعددةطوال تاريخه، إذ وجدت به طرق برية، لكنها لم تكن بالمفهوم الصحيح من حيث تمهيدها واتساعها، بل كانت عبارة عن مدقات في الصحراء، وكان الذي يحدد اتجاه الطريق عادة آبار المياه، والأسواق والمراكز التجارية، وكان يتفرع من الطرق الرئيسية طرق كثيرة متشابكة، وفي بعض الأحيان كان الطريق يتفرع إلى طريقين رئيسيين، فنشأت على هذه الطرق كثير من المراكز والأسواق التجارية، وكانت هذه القوافل التجارية لا تنقطع طوال العام، وقد تميزت بالضخامة ([1]).

كانتالقوافلالتجاريةتجتازالطرقالصعبةعبرالواحاتومعادنالملحنحوبلادالسود ان،ورغمأنهذهالمهمةكانت

([1])نبيل حسن محمد، انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب. كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1971م. ص124.

شاقةوصعبةوتكتنفهاالأخطار،وذلكلشدةالغرربالطريقومشقةاختراقالصحراءالتي لايوجدفيهاالماءإلافيأماكنمعلومة،إلاأنهاكانتمجزيةمنحيثكثرةالأرباحالتيكانتتعود علىالتجاروالتيجعلتهمبالتالييولعونبالدخولإلىبلادالسودان ([1]).

وهؤلاءالتجاركمايقولابنخلدون

أرفهالناسوأكثرهمأموالا،لبعدطريقهمومشقتهوذلكلأننقلالملحإلىالبلدالبعيدالذييحي طبطريقهاالأخطار،يكونأكثرفائدةوأعظمأرباحا،لأنالسلعةالمنقولةحينئذقليلةمعو زة،لبعدمكانها،فيقلحاملوها،ويعزوجودها،وإذاقلتوعزت غلت أثمانها ([2])

كانت الطرق التجارية العظمى في العصور الوسطى تبدأ أو تنتهي عند موانئ نهرية أو بحرية، حيث تفرغ فيها البضائع أو تحمل منها، وكانت هذه الموانئ والطرق سببا في الازدهار الذي شهده السودان الغربي في الميادين التجارية والسياسية والعلمية نتيجة للربط بين أجزائه من جهة وبين أصقاع العالم الإسلامي من جهة أخرى، فقد ربطت الطرق البرية السودان الغربي بمصر والشمال الإفريقي، وربطت الطرق البحرية بين السودان الغربي والشام والحجاز ودول أوربا.

كانت الاحتياجات التنظيمية للتجارة عبر الصحراء الكبرى عامل تشجيع منذ العصور المبكرة للغاية، على تطوير مراكز ذات أربعة أنماط رئيسية كان هدفها الإقلال من مصاعب تجارة الصحراء وزيادة كفاءة نظام التوزيع.

---

(1) نبيل حسن محمد، انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري. ص124.

(2)ابن خلدون، المقدمة. الفصل الخاص بنقل التاجر للملح. ص396.

أولا، كانت هناك الأطراف الجنوبية لطرق التجارة، مثل تمبكت وكانو([1])، وكوكاوا، ففي هذه المراكز التي كانت تقع بالقرب من الصحراء كانت السلع المتجهة شمالا تعبأ وتشحن، والسلع المتجهة إلى الجنوب تنقل وتقسم بين قوافل اصغر حجما من أجل إعادة التوزيع في أجزاء أخرى من إفريقيا الغربية. وإذا كانت الجمال هي "سفن الصحراء" فعندئذ تكون هذه المدن هي موانئها، وكانت المناطق الداخلية الواقعة خلفها في الجنوب تكاد تمتد إلى الساحل([2]).

ثانيا، كانت هناك أماكن توقف (محطات) على الطرق، مثل تغازة وعين صالح وغات وأغادس (إلى أن حلت محلها إيفروان في القرن التاسع عشر). هذه المحطات كانت هي واحات الصحراء التي يمكن فيها الحصول على الجمال والطعام والماء العذب ([3]).

ثالثا، كانت هناك نقاط، مثل سجلماسة (إلى أن دمرت في أواخر القرن الثامن عشر)، وتندوف (التي حلت محلها)، وورقلة، وغدامس([4])، حيث

---

(1)كانو: إقليم كبير على بعد نحو خمسمائة ميل شرقي النيجر، يضم عدة شعوب يسكون القرى ويعيشون من تربية الغنم والبقر أو من فلاحة الأراضي التي تبت كثيرا من الحب والأرز والقطن، وفيه جبال خالية من السكان مكسوة بالغابات مليئة بالعيون، وفي هذه الغابات كثير من شجر البرتقال والليمون، ينتج فواكه لا يختلف مذاقها عن مذاق الشجر المغروس. ينظر، الحسن الوزان، وصف إفريقيا. ج2، ص173.

(2)هوبنكز، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية. ص 168.

(3) المرجع نفسه. ص 168.

(4) تقع غدامس إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس، وتبعد عنها بحوالي ثلاثمائة كيلومتر، وهي من ضمن نطاق ليبيا، عند التقاء حدودها مع تونس والجزائر، لقد كانت حصنا تجاريا وحربيا

كانت القوافل المسافرة شمالا تفرغ سلعها، وتلك المتجهة جنوبا تتجمع قبل الرحيل. وكانت هذه الأماكن واقعة بالقرب من الحافة الشمالية للصحراء حيث يمكن شراء المؤن، واستئجار الحراس والأدلاء وكذلك الجمال ([1]).

وأخيرا كانت هناك الأطراف الشمالية العظيمة للطرق، مثل موجادور وفاس والجزائر وتونس وطرابلس. وهذه المستودعات كانت تقع على ساحل أفريقيا الشمالية أو بالقرب منه، حيث كان يجري ترتيب المبيعات والشحنات المتجهة إلى أوروبا والشرق الأوسط ([2]).

إننظرةسريعةعلىطرقالقوافلعبرالصحراءيتبينأنهناكأربعةمحاورللمواصلات لامفرمنسلوكواحدمنها للوصولمنالبحرالأبيضالمتوسط إلىبحيرةتشادأوإلىنهرالنيجر ([3]).

المحورالأول:يتجهمنمصرأومنفزان([4])،وبعدأنيعبرغدامسينتهيعندنجاميناعلىب حيرةتشادأوعندكوكياغربكاو ([1]).

لروما، عن طريق جرمة جنوبا، وقد دخلت غدامس ضمن حدود الدولة الإسلامية، في حملات عقبة بن نافع الفهري على المغرب. ينظر مجهول، خبر السوق ويليه ملحق بأهم المصادر العربية لتاريخ السودان الغربي. تقديم وتعليق عبد الحميد عبد الله الهرامة. بنغازي منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 2003. ص12.

(1) هوبنكز، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية. ص 168

(2)المرجع نفسه. ص 169.

(3)محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي. ص 167.

(4) فزان: يسميها ابن مليح بلاد فزان، وهي مرحلة هامة في طريق الحج. وتوصف بالحسن والجياد، وأكثر لحومها الدجاج، وهي بلاد كثيرة الخصب واسعة، إلا أنها صحراء. ينظر: أبي عبد

المحور الثاني:يبتدئ إما من تونس أو من قسنطينة أو الجزائر، وتتحد مسالكه كلها قبل وصوله إلى بلاد تيكورارين([2])، لضرورة التموين بمياه الآبار، والرعي في أطراف الواحات المستقرة فوق صخور صلبة من الشمال إلى الجنوب ([3]).

المحور الثالث: ينطلق من وهران وتلمسان وشرق المغرب، ويمر لزوما مع الإتجاه الطوبوغرافي لوادي الداورة، أي أنه يخترق بلاد توات إلى تمنطيط، المدخل الوحيد للسودان من هذه الجهة، ولا تستطيع القوافل هنا إلا أن تتجنب ثلاث عوائق طبيعية هي: العرق الغربي، الممتد عرضيا مسافة مئات الكيلومترات، وحمادة غير، وعرق الراوي في الغرب، لانعدام شروط الحياة فيها جميعا. فإمكانية المرور تفرضها الطبيعة التي تعبرها القوافل، وتجعل توات مؤهلة وحدها لاستقبال قوافل الجنوب والشمال ([4]).

والمحور الرابع: يتجه من خوانق جبال الأطلس المغربية، وينحدر نحو تندوف، ثم إلى تاودوني، وتغازة، وأروان، ويصل إلى النيجر عند

الله محمد بن مليح، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس فاس المغرب، ط 1970، ص:32.

(1)محمد الغربي، المرجع السابق.ص 167.

(2)تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بها أراض كثيرة صالحة للزراعة سكانها أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان، وبها مجمع القوافل، لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان، ثم يذهبون جميعا. ينظر الحسن الوزان، وصف إفريقيا . ج 2، ص132.

(3)p. Soleillet Voyage dans le sahara central B.SG dyon. p55

(4)E. Boulangier. Les voies sahariennes.B . SG . Tours p29

تمبكت([1]).وينفرد ابنخلدونبينالمؤرخينالعربالقدامىبالحديثعن ورقلةوأهميتهافيتجارةالقوافلفيقول:"وهذاالبلد(وركلا)لهذاالعهدبابلولوجالسفرمن الزابإلىالمفازةالصحراويةالمفضيةإلىبلادالسودانيسلكهاالتجارالداخلونإليهابالبضائع" ([2]).

فيبعضالمراجعنجدأنالمسالكالصحراويةعديدةالمشهور منهاستة:

- منسجلماسةينطلقطريقإلىولاتة ([3])،ومنهاإلى تنبكت وجنيوغاو([4]).

- منتلمسانيمرهذاالطريقبغردايةوتواتوينتهيبه المطاف إلىتنبكت ([5]).

- منتقرتوورقلة،ينطلقطريقآخرإلىغاومباشرة،وهذاالمسلكيتصلشمالاببضائعالموانئالهامةفيالجزائر كميناء بجاية وسكيكدة ([1]).

---

(1) C. Sbatur, Touat, Sahara, Soudan etude geog polit ecomom, et militaire. B S G .Paris, tx111, p99.

(2)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون. ج7، ص107. عبد القادر زبادية، وركلة عروس مدائن الجنوب مجلة الأصالة (عدد خاص) الجزائر.1مارس،1977.

([3])ولاته: لا يعلم بالضبط تاريخ تأسيسها، ولكن يستفاد مما ذكر الزياتي أنها أنشأت قبل تنبكت بسنوات وقد كانت مركزا تجاريا وحضاريا مهما حتى حدود القرن الثالث عشر الميلادي حيث بدأت تضعف وذلك لنمو وازدهار منافستها مدينة تنبكت فهاجر إليها العلماء تاركين ولاته للانحسار. وتقع ولاته على مسافة 450 كم شمال غرب تنبكت. ينظر: دريد عبد القادر نوري، تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن 4-10هـ/ 10-16م، المكتبة الوطنية بغداد، ط 1985، ص: 302.

([4])عبد القادر زبادية،الحضارةالعربية والتأثير الأوربي. ص 29.

([5])المرجع نفسه. ص 29.

-

منواحةالجريدفيجنوبتونس،ينطلقطريقغالباماتمرقوافلهبورقلةوسوفأوغدامس ([2]).

-

منطرابلسالغربعلىالساحلالليبي،ينطلقطريق،يمربغدامسويمرفرعمنهبفزانوينتهي إلىبورنووغاو ([3]).

وينطلق من مصر طريق يمر بواحة سيوة وبزاويلة وتادمكة وينتهي إلى غاو وتنبكت ([4]).

وكانت التجارة عبر الصحراء الكبرى تتطلب أيضا أشخاصا متخصصين ومتمرسين. ويقال في بعض الأحيان إن التجارة كان يسيطر عليها التجار العرب، ولكن هذا الرأي يلزم توخي الحرص في معالجته، لان كتّاب مرحلة ما قبل الاستعمار كانوا يتجهون إلى الإشارة خطأ،أو عمدا إلى المسلمين جميعا باعتبارهم عربا.

فالتجار العرب، وفقا لتعريفهم الصحيح، كانت لهم بلا ريب أهمية بالغة، ولكن البربر واليهود والزنوج كان لهم أيضا دور رئيسي في التجارة، كما كان الأوربيون على سواحل الشمالالإفريقي موجودين. وكانت مستودعاتهم

([1]) المرجع نفسه.ص 29.

([2])عبد القادر زبادية،الحضارةالعربية والتأثير الأوربي.ص 29.

([3])عبد القادر زبادية،الحضارةالعربية والتأثير الأوربي. ص30.

(4) المرجع نفسه. ص 30.

كبيرة وكثيرة، على غرار الموانئ "الحرة" في أجزاء العالم الأخرى، تحجز أحياء لسكنى التجار الأجانب، و تضمن أمنهم، وتمنحهم امتيازات خاصة.

وهكذا كانت الشركات الأجنبية موجودة في كل من شمال إفريقيا والسودان الغربي قبل مجيئها إلى الساحل الغربي بفترة طويلة.

وكان معمرو الصحراء، مثل الطوارق، من أهم المتخصصين الآخرين الذين يكسبون رزقهم من التجارة عبر الصحراء الكبرى، والذين كانت أسباب عيشهم أساسها الجمل،وأدلاءلطرق التجارة، أو إخضاع هذه الطرق لسيطرتهم، كما أن استغلال الفرص التي كانت تتيحها تجارة الصحراء كان يشجع على نشوء الفوارق الاقتصادية والاجتماعية الملحوظة في مجتمع الطوارق.

2- القوافل التجارية:

القافلة في عرف العرب، هي العائدة، تفاعلا بعودة الخارج للتجارة. ورد في لسان العرب، أن القافلة من القفول، الرجوع من السفر، وقيل القفول رجوع الجند بعد الغزو، واشتق اسم القافلة من ذلك لأنهم يقفلون، وقد قال أبو منصور: سميت القافلة قافلة تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته.

كما سميت القافلة "أزلاي" ([1]) بمعنى قافلة الملح، وهي تسمية أمازيغية انتشرت في السودان الغربي.ثم أصبحت هذه المسميات تطلق على القافلة

---

(1)بول مارتي، كنتة الشرقيون. ص63.

الكبيرة في الصحراء للإتجار، وقد بلغت تجارة القوافل في الصحراء أوجها بداية القرن التاسع عشر، لكنها ضئيلة مقارنة مع ما كان يتم عبر المحيط ([1]).

إن

عددو أهميةالقوافلإنمايختلفحسبالأمانالسائدفيالصحراءمنجهة،وحسبرخاءالبلادم نجهةأخرى ([2]). لكن نشاطها في القرن الرابع عشر كان كبيرا حيث يصف ابن خلدون في تاريخه أن القوافل التي كانت تمر على أيامه (أواخر القرن الرابع عشر) بالهقار كان عدد جمالها يبلغ إثني عشر ألف جمل في أحيان كثيرة وهذا يعطينا صورة عن كثرة البضائع التي كانت تنقلها هذه القوافل، وعن

مقدارالربحالذيكانيحصلعليهالتجارمنأسفارهم،كمايقربمنأذهانناالصورةالحقيقيةل كثرةالتجارالعاملينبينالسودانالغربيوشماليإفريقيا ([3]).

وقدكانتالقوافلالتجاريةإلىالسودانالغربيتخترقالصحراءمنجميعجوانبها،أمااتجاه هافشمالإلىجنوبوبالعكس،وهذاباستثناءالطريقالذيربطمصربالمنطقةفإناتجاههكا ن غرباإلىالشرقوبالعكس ([4]).

3-استعدادات القافلة:

---

(1)فيج جي، المصدر السابق. ص 303.

(2) فليكس ديبوا، المصدر السابق. ص204.

(3)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون. ج 6، ص405. عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء. ص28.

(4) زبادية، المرجع نفسه. ص29.

كانالاستعدادلانطلاقالقافلةيأخذوقتاغيرقصير، حيث يتم مشاركة الجميع في هذه الاستعدادات خاصة كبار التجار، لأن تنظيم القوافل والتحكم في الطرق التجارية غنيمة تتنازع عليها جماعات البدو، لما يجنوه من أرباح وما يفرضوه من رسوم. ولئن كانت رحلات قريش التجارية في الشتاء والصيف، فإن الرحلة في السودان الغربي رحلتان، رحلة في الربيع، ورحلة في فصل الأمطار ([1])، وكان يتجنب الصيف لكثرة الزوابع الرملية، وشدة العطش.

بعدكراءالدوابالتيتحملعليهاالبضائعالمختلفةيبدأمسيرالقافلةالتيكانيبلغتعدادها مابين أربعة (4000) و خمسة (5000) جمل،وهيحسبDeporterحملةحقيقية([2])،وقديزيدالعدد،فقدبلغحجمالقافلةالتيانطلقتمنتجكانتإلىأرواناإثنىعشرألف(12000)جملتحملمعهاالملحمنتاودني([3]).

والمحطات بشكل خاص، والذيتسلملهمهمةقيادةالقافلة،وتحديدموعدانطلاقهابمعيةمرافقيهلمساعدته،والخوجةالذيسيكونبمثابةالقاضيبالنسبةلهم ([4])، كذلكالخبيرهوالذييختارأماكننزولوتوقفالقافلة،ويحددمراحلنقاطالسير،وأماكنآبارالمياه،والمناطقالخطيرةالتيقدتتعرضفيهاالقافلةلهجوممنقبلقطاعالطرق،حيثيذكرأفرادالقافلةبتوخيالحذر،وعدمإشعالالنار،وتحديدأوقاتالتوقفلشربالماء،وكذلكلبسا

---

(1)محمد بن المختار، الطرائف والتلائد. ص167.

(2) Deporter. Op,Citp165

(3)محمد محمود الأوراني، المصدر السابق، ص208.

(4) Daumas,LeGrand Desert. Op.Cit .p11.

لأحذيةلتجنب حر الرمال والعروق ([1]). كما يستعين في غالب الأحيان بالمرشدين الذين يجيدون اللغة العربية وبعض اللغات الإفريقية، ويتقنون أسرار النجوم والفلك حتى لا يضلوا الطريق في فيافي الصحراء.

إضافةإلىهذاتضمالقافلةفيصفوفهاالمناديوالمؤذنوالإماموالحرسكذلك الخدم وخاصة العبيد([2]). هذا عن القوافل الكبيرة، أما القوافل الصغيرة فحجمها ما بين ستون (60) ومائة (100) جمل، تصل طوال السنة ([3]).ويسمىماتقطعهالقافلةفياليومبالمرحلةوهيمابينالأربعين(40)والخمسين(50) كيلومتر،وتساويمتوسطمايقطعهالجملفياليوم([4])،وغالباماتبدأالقافلةرحلتهامنطلو عالشمسحتىالثالثةبعدالظهربمعدل4,5كيلومترفيالساعة ([5]).

أما التجار الذين لا يملكون القدر الكافي من الجمال فإنهم يلجأون إلى كراء الجمال، حسب ما يتفقون عليهمعأصحابالجمال،إماكراء،وإمامقاسمةللأرباح.وقدأوردلناالشيخبايانتشارظ اهرةكراءالجمال([6]).

---

(1)هرباش زاجية، المرجع السابق، ص 284.

(2)طموح زهرة، تنظيم القافلة خلال القرن 19م، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ. جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 1989، ص299.

(3)فيليكس ديبوا، المرجع السابق. ص 204.

(4)بول مارتي، كنتة الشرقيون. ص168.

(5)P Constantin. Alger et Timbouctou etude sur le commerce transaharien. Challamel aine editeur .PARIS 1885.P23.

(6)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة540-542.

رغمكلالإجراءاتوالاحتياطاتالتيتأخذهاالقافلة، فإنهاتتعرضلأخطارمختلفة، منهاماهوطبيعي، ومنهاماهوبشري، فمنالأخطارالطبيعية، العواصفوالزوابعالرملية، التيتعيقالسير، وتمحوآثارالطريق، حيثيصيرتتبعالأثرمنالمستحيلحتىعلىخبيرالصحراء، وهذهالزوابعتحدثبلبلةفيالقافلةفتتلفالسلع الحساسةويقلمخزونالماء، بسببتوقفالقافلةلحينزوالهذهالزوابع،وكلهذابسببالظروفالمناخيةالقاسيةوانعدامالغطاء النباتي. وردعندالقزوينيأنالبراريبينبلادالمغرب والسودان صحارى معطشة، تنشف الماء في الأسقية، فلا يبقى الماء مع صاحبه إلا أياما ولهذا يعمد المسافرون فيها إلى اصطحاب جمال لا تحمل على ظهورها أحمالا وإنما هي للذبح ولشرب ما فيها من ماء ([1]).

منالأخطارأيضاالتيهفيالصحراءوأسبابهكثيرةمنهاضياعمعالمالطريقنتيجةالزوابع،أوتشابهالتضاريسفيخلطالدليلبينمنطقةوأخرى،أوالفرارمنقطاعالطرق، أو ربما تتيه القافلة بموت الدليل فتسير في مجاهل الصحراء وقد يفنى جلها أو كلها نتيجة العطش والجوع ففي حادثة من حوادث السنين يورد لنا المختار بن حامد قصة قافلة لأهل ولاتة، ضلت قرب تنبكت وتوفي بعض من كان فيها من شدة العطش وذلك في سنة 1314هـ/1896م ([2]). وكاحتياط لهذا الظرف

---

(1)القزويني،المصدر السابق، ص19.

(2)المختار ولد حامد، حوادث السنين، ص58.

ولمواجهة العطش غالبا ما يستخدم المسافر أسنمة الجمال كخزانات مائية لاستعمالها عند الحاجة (1).

أماماتتعرضلهاالقافلةمنأخطارسببهاالبشرفتتمثلفيقطاعالطرق، فلم تكن الطرق التي كان تسلكها القوافل آمنة من اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يعترضون التجار فينالون منهم ويسرقون تجارتهم، وكانت عمليات السطو تزداد في فترات الاضطرابات، وفي المسالك الخالية والوعرة،وحتى في غياب سلطة مركزية.ففي 1292هـ/1875م أغارالبرابيشعلىقافلةلرفقةأهل بوردةوأهلولاتةفيتاودني،وأخذوامنهاخمسمائةجمل (2).

وكانهذاذأبالطوارقفكانتغزواتهممستمرةعلىبلادالسودان يؤكد بول مارتي أن القوافل من تاودني وتنبكت سواء للبرابيش أو كنتة أو إيفوقاس كانت عرضة لهجمات غزاة الصحراء وأخطرهم كل هقار (3).

3- وسائل النقل:

شهدالسودانالغربيحركةنقلتجاريةمتنوعةومستمرةتكادلاتنقطعسائرالسنة، وتعددت وسائل النقل من برية وبحرية.

ا- وسائل النقل البرية:

---

(1)الوزان، المصدر السابق، ج1، ص76.

(2)المختار بن حامد، المرجع السابق. ص58.

(3)بول مارتي، البرابيش. ص ص39-40.

كانت الإبل والحمير هي وسائل النقل، وحمل الجمل المعتاد 360 رطلا ويحزم في عدلين، وسيره في اليوم من 12 إلى 18 ساعة بحسب كثرة المياه أو قلتها في الطريق ([1]).وقدكثرالحديثعنكراءالجمالفينوازلالشيخمنها ماتعلقبمطاردةعدوأوغاصب ([2])،ومنهاماتعلقبالركوبللسفرأوالإتجار ([3]).

ب- وسائل النقل المائية:

كانت التجارة الداخلية في بلاد السودان، تنقل بواسطة القوارب، والسفن منذ زمن إمبراطورية غانة الوثنية، فقد استخدمت الملاحة النهرية عبر نهر النيجر، لنقل البضائع والناس ([4]). وكذلكفيعهدمملكةماليالإسلامية ، حيثاستخدمتالقواربللغرضنفسه،حيثاستخدمهاالملكمنسموسعندعودتهمنرحلةال حج،فعندماوصلإلىتنبكتجمعالقواربوحملهابعيالهوأمتعته([5]).

كانتالملاحةالنهريةفيالشتاءأسهلمنالصيف،وذلكلكثرةمياهنهرالنيجر،فتستطي عالسفنالمحملةبالبضائعالسيربهدوءويسرفيالنهر،فيشهردجنبر،ويعتبرأفضلأشه

---

(1)نعوم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث، ص 251.

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 543.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 450.

(4)الشماخي، المصدر السابق. ص 457. الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا. ص335.

(5)كعت، المصدر السابق. ص37.

ر السنةللملاحة.ذكر السعديأنهفيسنة1063هـ/1652موصلماءالنهر إلىمنطقةمعد
ك([1]).

كانتجار جنييمتلكونقوار بهيأشبهبالمخازن،وهيواسعةيصلطولهامابينثمانيةع
شروعشرينمتر،وعرضهاحواليثلاثةأمتار تستطيعأنتحملحمولةبينعشرينوثلاثين
طنا،ينقلبهاالتجارسلعهمإلىتنبكت، وباقي المدن على ضفاف النهر
([2])،وكانتلهذهالسفنوالقواربموانئبحرية،فيالمدنالكبرى،ففيمدينةتنبكت،كانهناكمي
ناء كبير ترسو فيه السفن الداخلة والخارجة، ويشكل الميناء
موردامهما،بمايحصلعليهمنضرائبعلىالبضائعوالركاب([3])،كان لهذه الموانئ
رياسا هم من يسمحون للسفن بالمغادرة، ويمتلكون الأكياس التي توضع فيها
الحبوب ([4]).

3-صادرات السودان الغربي ووارداته:

كانتأغلبالسلعوالبضائعالواردةعلىأسواقالسودانالغربيمصدرهابلدانالمغربالع
ربيأومايردعن
طريقمصر،كانلهذهالوارداتأهميةكبرىفيتنشطالتجارةالداخلية،كذلك توفرمجالا
للشغل،كماتضفينوعا
منالأناقةعلىلباسالناسخاصةالطبقةالموسرة،لأنهكانمنالبضائعالتيتردعلىالأسواقأن

(1)السعدي، المصدر السابق. ص97، كعت. المصدر السابق. ص57.

(2)فيليكس ديبوا، المرجع السابق .ص146.

(3)السعدي، المصدر السابق. ص ص157-178.

(4)الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا. ص 336.

واعالمنسوجاتمنالحريرالمعروفبالسوسية،وكانالقضاةوالتجاروغيرهممنالأغنيا ءيتخذونمنهعمائموجبباللباسهم،ويكفنونبهموتاهم،وفيالأوقاتالتييتوقففيهاورودال بضائعيضطرهؤلاءإلىلباسالأصنافالخشنةمنالإنتاجالمحليالتييكونواقدتعودواغير هاقبلذلك،بفعلتوافرهاوقدرةالناسعلىأثمانها ([1]).

أما سكان الأرياف والبوادي فكانوا لا يستطيعون شراء هذه البضائع، إما لفقرهم وإما لعدم توفرها في أسواق القرى النائية لأن التجار كانوا يقصدون أسواق المدن الكبرى، وقد كان سكان القرى الواقعة على مشارف المدن الكبرى يستقبلون قوافل التجار ويعرضون عليهم خدماتهم كأدلاء ومعاونين، فيعطيهم هؤلاء شيئا من مختلف أصناف البضائع التي يحملونها مقابل ذلك ([2]).

ا- صادراتالسودانالغربي:

كانتممالكالسودانالغربيمتصلةاتصالاوثيقابكلمنتجاتحوضالبحرالأبيضالمتو سط،التيكانتتحتلمركزالصدارةللبلدانالواقعةعلىشواطئه،فيمايخصجودةالإنتاجوك ثرتهفيآنواحد، فإضافةإلىكونالسودان مستهلكا لكثير من المنتجا ت، فقد شهد حركةتصديرمهمة ([3])،كانمنبينأهمصادراتها:

ا- 1- الذهب:

---

(1)مؤلف مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان. ص100.

(2)عبد الرحمن السعدي المصدر السابق. ص74. ابن بطوطة المصدر السابق. ص540.

(3)عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي. ص38.

كانالذهبيشكلالمادةالأساسيةلهذهالحركةالتجاريةالواسعةبينالعالمالخارجيوال سودانالغربيوقدكانالتجاريعودونمنالسودانمحملينبالذهبأكياساأكياسا،وهذاماكانيد فعهمإلىتحملالمشاقوقطعالمسافاتالطويلةوالشاقةفيالصحراءذهاباوجيئةإلىالمغربأ والمشرق(1).

وقدكانهذاالذهبينفقبسخاءمنطرفالحكام،فقدأنفقكنكانموسىملكمالىعلىموكبهالكبيرإ لىالحجثلاثينألفقطعةذهب،حتىأنسعرالذهبنزلبأسواقالقاهرةفيتلكالمناسبةلكثرةماأ نفقكنكانموسىبهابمقدارستةبالمائةوفقروايةالمقريزي.

تميزت بعض المناطق في السودان الغربي بتواجد كميات كبيرة من الذهب مثل جزيرة ونقارة التي تبعد عن مالي بثمانية أيام (2)، وكوغة إلى الجنوب الغربي من غانة(3)،وكانت كميات الذهب في تلك المناطق كثيرة، حتى أن لملك غانة وحده إثني عشر معدنا يستخرج منها التبر (4).

لئنكانتالمسافةبينالمغربوالسودانتقطعفيشهرينفإنهبينالمغربومصرفإنهاتقطعفيأكث رمنذلك (5).لقدكانالذهبالذييحملمنالسودانيغذيشمال إفريقياوجنوبأوربا،حيثأنالبضائعالتييوصلهاالتجارالأوربيونإلىالسواحلالإفريقية،كاني

---

(1) المرجع السابق. ص38.

(2)الإدريسي، المصدر السابق .ص8. العمري، المصدر السابق. ص ص74-75.

(3)البكري، المصدر السابق. ص176.

(4)الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد. كتاب السير. ص407.

(5)السلاوي، الاستقصا، ج5، ص85.

حملمنهاقدر غيريسير إلىالسودان،أماالتجار الأوربيونفكانوافيالغالبيأخذونبدلهاذهبا،وأ ماالتجار المغاربةفكانوايحملونمقابلبضائعهمذهباأيضا ([1]).

ا- 2- العبيد:

كانتتجارةالرقيقنشطة خاصة في أوربا وكانت أسواق السودان عامرة بهم من مختلف الأعمار، حيث أن أثمانهم منخفضة في السودان عنها في العالم الخارجي، لذا كان التجار يعودون بأعداد كبيرة منهم، ويبيعونهم في أسواق المغرب ومصر وعلى السواحل إلى التجار الأوربيون، الذين يحملون أعدادا كبيرة منهم ([2]).

وكانمعظمالعبيدالذينيباعونفيالأسواقالسودانيةيجلبونمنمناطقالغاباتالجنوبيةالتيتق طنهاالقبائلالوثنية،إلاأنأعداداكبيرةمنهمكانتمنالسودانالغربييحصلعليهمأصحابهم نتيجةالحروبوالغاراتالتيكانتتقومبينالفينةوالأخرى. حيث أن سوق كاع (جاو) كما يقول كعت به ساحة كبيرة يباع فيها أيام السوق عدد لا يحصى من العبيد ذكورا وإناثا ([3]).

ا- 3- ريش وبيض النعام:

كانلريشالنعامرواجكبيرفيالأسواقوعليهاإقبالكبيركذلك،حيثأنهكانتتحشىبهالأ رائك،والوسائدفيالبيوتاتوالقاعات،كماكانتتتخذمنهالطبقاتالموسرةمراوحللتهويةأ وللزينة.ولذافقدكانالتجاريجلبونمنهمقاديرهامةأثناءرجوعهممنالسودان.وكانالتج

---

(1)عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي، ص38.

(2)زبادية، الحضارة العربية. ص38.

(3)كعت، المصدر السابق. 169.

ار المحليون والوكلاء والوسطاء يعملون على تهيئة وجمع ما تيسر لهم منه، لكي يبادلونه بالبضائع التي تحملها القوافل من الخارج ([1]).

كما شهد بيض النعام إقبالا عليه، حيث كان يتخذ من محه أحد العناصر الهامة في تركيب الأدوية، كما كان يوضع فوق المناضد أو يعلق على جدران القاعات للزينة، وكانت أثمانه في الأسواق الخارجية مرتفعة ([2]).

ا- 4- التوابل(البهارات):

كانت هذه المواد تأتي إلى بلاد السودان من مناطق الغابات في الجنوب وكان التجار المحليون يذهبون إلى هناك لجلبها، فيحملون قسما منها إلى الساحل السوداني، وكانت أصناف التوابل المتعددة تشكل مادة رفوف الصيدليات في أنحاء العالم، وكانت أثمانه مرتفعة، وتتكون منها جميع العقاقير التي تحتويها وصفات الأطباء ومؤلفاتهم، وكانت أثمانها مرتفعة

ا- 5- العاج:

لقد دخلت تجارة العاج عبر قوافل السودان الغربي، منذ القديم، وكان العاج متوفرا بكميات كبيرة، جعلت المواطنين يصنعون منه أواني للشرب ويزينون به الخيل،

---

(1)زبادية، المرجع السابق. ص39.

(2)الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي. ص323.

وكان من الكماليات المرغوب فيها بالشمال الإفريقي،ويتم تصديرهاللمغربالأقصى، ومنها إلىأوربا،فهيمنالبضائعالتيير غبفيشرائها ([1]).

ب- وارداتالسودانالغربي

جلبتإلىالسودانأنواعمتعددةمنالسلع، أتى جزء منها من حوض البحر المتوسط، وأتى جزء آخر من داخل الصحراء، ومن أهم الواردات التي دخلت من الصحراء:

ب- 1- الملح:

شكلالملحإحدىوارداتالسودانالغربيمنذالقديم،فقدكانلايتوافرهناك،فقدملكتصنغيممالحتغازى ([2])فيالصحراءالموريتانية،وكانتهذهالمنطقةهيالتيتعذربهاالمنصورالذهبيفيحملتهالمشهورةعلىصنغي 999هـ - 1591م.كماكانتجزيرةأوليلعلىالمحيطالأطلسيالمصدرالمهملتزويدالسودانالغربيبالملح،وكانالتكروروحدهممنيتاجرونبملحأوليلعلىنهرالسنغال،وإلىجانبتغازة

---

(1)عبد القادر زبادية، مملكة صنغي. ص ص 225-226. Humray, Historical Account Of disconeries and Travel In Africa vol ,p22.

(2)تغازى: وتكتب أيضا تغزةوتغازة وهي مكان مأهول فيه عدد من مناجم الملح التي تشبه مقالع الرخام. يستخرج الملح من حفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح، ومنها يحمل إلى تنبكت التي يعوزها الملح كثيرا. وليس للعاملين في ملح تغ ازة قوت إلا ما يحمل إليهم من تنبكت ودرعة، وكلاهما على مسيرة عشرين يوما من تغ ازة. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، ص ص: 108 - 109.

وو ليل،ففدو جدالملحفيبعضـالأماكنفيالصحر اءالكبر ى

([1])،لمتصلاإلىشهر ةتغاز ةمثلمنجمتاو دني

([2]).و يبدو منأقو الالمؤر خينأنالملحكانيشكلأكثر مننصفأحمالالقو افلالشماليةإلىبلاد السودان.وكانيشتر يفيالسو دانبالذهب،ويباعبمقادير مر تفعةجدا،وكلمايحملهالتجا ر منهكانينفذبسر عة،وقداختصـالملحفكانمنالبضـائعالتيتتخذقطعهنقو داللتعاملفيحالا تكثير ة ([3])

ب- 2- القمح:

كانالقمحينتجعنو خاصـةفيالمناطقالمحاذيةلمستنقعاتـمنحاهالأعلىحو لنديو جني،وكذاب عضـالضيعاتالصغير ةقر بقاو ،وكانيشكلغذاءللطبقاتالموسر ةفقط،وقدكانيجلبمنالمغ ربالدر جةالأولى،وكانيشكلجز ءاكبير امنأحمالالقو افلالمتجهةمنالغر بإلىالسو دان، ولمتكنالطبقاتالشعبيةفيالسو دانلتتمكنمنالحصو لعليهلار تفاعثمنه،غير أنالقر ىالو اقع ةعندحافةالصحراء الجنوبية وسكانها في الغالب من الطوارق، كانوا يحصلون على مقادير قليلة منه مقابل خدماتهم التي يقدمونها للتجار أثناء مرورهم بمناطقهم ([4]). وكان يتم تخزين الحبوب في مطامير يصل عمق الواحدة منها

---

(1)Damidson Basilm , africa in hitory, Mac Millan publishing NewYork 1974, p 75. وينظر الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي لإفريقيا ص328.

(2)تاودني: ملاحة تقع إلى الجنوب الشرقي من ملاحة تغاز ة، وهي في الشمال الغربي من مالي. وقد بدأ استغلالها في فترة متقدمة ترجع إلى القرن 8 م. ينظر: الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط 2007، ص: 433.

(3)الحسن الوزان، المصدر السابق. ص147.

(4)القلقشندي، صبح الأعشى. ص291.

إلى ستة أقدام، أو في مخازن مصنوعة من الطين المخلوط بالتبن والملح، وصل ارتفاع الواحدة منها إلى أربعة أمتار ([1]).

ب- 3- الكتب:

منالمستورداتالهامةإلىبلادالسودانوكانتمناطقاستيرادهاالأساسيةإليهناكهيبلدا
نالمغربالعربيومصروالحجاز،حيثكانتأثمانهامرتفعةجدا،خاصةفيعهددولةصنغ
ي،وكانتمدينةتنبكتسوقارائجالها،فقدطلبألفعكعتمنالسلطانأسكياداود،أنيشتريلهن
سخةالقاموسبثمانينمثقالا،وكانتتجارةالمخطوطاتمنالسلعالمهمة،الشيءالذييدلعلىق
يمةالكتبوالرفعةالعلمية،التيكانعليهاحكاموعلماءالسودانالغربي ([2]).

وبطريقالقوافلالتجاريةعرفتكلالكتبوالمؤلفاتالمغربيةوالمشرقيةفيبلادالسودان،و
قدنشأتفيالسودانحرفةالوراقينكتقليدلماكانفيالمغربومصر،وألفالسودانيونعدةمؤلفاتهام
ة،ولكنالاستيرادفيميدانالكتابظلقائماعلىنطاقواسع ([3]).

وقدأشارالشيخباباإلىانتشارالمطابعوالنساخينفيزمنهمنخلالفتوىجاءتهيحذرفيها
هوأنيأخذالناسحذرهممايحدثمنتحريفلأحكامالملة،خاصةوأنأصحاب
المطابعكفرةفيقول"...لكونمطبعتهواحدةوكلماوجدتمطبعةتوجدأكثرخطأمماقبلها
بلفيهامايظنأنأهلهايحرفونبعضأحكامهاعنقصدوعنعمدإذكثيرمنأهلهاكفرةلايريدو

---

(1)جعفري، المرجع السابق. ص260.

(2)الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا. ص ص329-330.

(3)الوزان، المصدر السابق. ص148.

نالاتحريفالأحكاموتغيير الملة،وقداشتغلوالآنبوضعتأليففيالتفسيروغيرهمتضمنةللكف رالصريح ([1]).

ب- 4- الخيول:

لاتتوفرمنطقةالسودانالغربيالحارةعلىالخيولالأصيلة،بللديهمخيولقصيرةو صغيرة،يستخدمهاأفرادحاشيةالملكفيتجولهمفيالمدينة.أماالخيولالأصيلةفكانت تستوردمنالشمالالإفريقيخاصةمنالمغربالأقصى،حيثكانالتجاريقودونمعهمأعدادا قليلةمنهاإلىبلادالسودان،ويفقدونفيطريقهمالشاققسماهامامنها،ولايصلونإلابجزءف قطمماأخذوامعهممنها،وبالطبعفإنهمكانوايبيعونمايصلونبهبأثمانيراعونفيهاأرباح هموتعويضمافقدلهممنالرؤوسالأخرىفيالطريق،مماكانيجعلأثمانهامرتفعةوامتلا كهايقتصرعلىالخاصةدونسواهمفيالغالب ([2]).حيثكانتلا تباعتلكالجيادإلابعدعرضهاعلىالملكفيأخذمنهاحاجته،ويدفعلصاحبالخيولقيمتها ([3]).

وقدكانتقاوسوقارائجالتجارةالخيولالأصيلةمعسروجها([4])، والحصان يساوي في مدينة قاو من أربعين إلى خمسين مثقالا ([5]). أما في مالي فقد كان يصل ثمن الحصان مائة مثقال من الذهب، وقد أورد لنا ابن بطوطة أنه لم

---

(1) باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 200.

(2)كعت، المصدر السابق. ص74.

(3)الوزان، المصدر السابق. ص ص166-167. عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق. ص97.

(4)مارمول كربخال، المصدر السابق. ج3، ص ص204-205.

(5)الحسن الوزان، المصدر السابق. ج2، ص170.

يستطع شراء حصان لترحاله من مالي، إذ كان عليه أن يدفع مبلغا قدره مائة مثقال من الذهب ثمنا للحصان بينما استطاع أن يشتري من تكدة جملين بثلاثة وثلاثين مثقالا ([1]).

وردذكرالفرسعندالشيخبايلكنقليلجداربمابسببقلةالجيادوما قد يحدث فيها من خلاف كالقضايا الأخرى،وهذهالنازلة هي" أن المحبس عليه يجب عليه رد الفرس المحبسة ويجعلها حبسا ([2]).

ب- 5- المصنوعات الجلدية والمعدنية:

كانتبلادالسودانتصدرالجلود،ولكنهاتقبلعلىاستيرادالجلودالمدبوغةالتيكانيجلبهاالتجارمنبلدانالمغربحيثتصنعمنهاالسروجوتغلفبهاأغمادالسيوف،كمايصنعونمنهاكناناتوأجربةيطرزونهابأسلاكالذهب، ويصنعون منها نعالا للسادة الكبار والنساء الحرائر([3]). وأهمهذهالأدواتالجلديةالدروقالتيتنسبإلىلمطة،وتصنعفيبلدةنول،وكانتهذهالدروقعلىدرجةكبيرةمنالجودةوالخفةوطريقةصناعتها،فهيمنجلدحيوانيسمىاللمط،وقدذكرالقزوينيأنجلدهذاالحيوانبعددباغتهإذاأصابهخدشأوبللبالماء،إذامسحيزولعنه ([4]).

---

(1)ابن بطوطة، المصدر السابق. ص ص691-699.

(2)باي بن عمر مخطوط انوازل. ورقة613.

(3) .Bovill, p145.زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي. ص37..

(4)القزويني، آثار البلاد. ص58.

وقدذكرالشيخبايأنهكانتهناكتجارةللجلودوقدأوردلنا نازلةتتحدثعنذلك ، فحواها"...ككثيرمنهذهالأرضفيدبغهالماهولهمنالجلود،فإن العرفجاربأنهاإذادبغتهاوخاطتهايكونانشريكينبالمناصفة" ([1]). وكانت استعمالاته متعددة منها لشرب اللبن، وقد استفتي الشيخ باي في استعمال بو مصنوع من جلد ميتة هل جائز أم لا فأفتى بحلية هذا البو المصنوع من جلد الميتة ([2]). كذلك بيع الجلد غير المدبوغ بالحيوان من جنسه كجلد البقر([3]).

أماالأدواتالحديدية،فتتمثلاستعمالاتهافيالسيوفوأدواتالحرثوالحصادكالمناجلوا لسكك، حلقالأبواب، وأغلب هذه الأدوات كانيستعمل لتجهيز الخيل، كالأزمةوالحدب. وكانتهذهالمصنوعاتتجلبعنطريقالتجارالمغاربة ([4])

أما النحاسية فكان قسم منها يستعمل للزينة كالأساور والأقراط تطعم بالعقيق أو حبات الزجاج الملون وقد اشتهر عن المجتمع السوداني في هذه الفترة ولعه بأصناف الحلي سواء من القلائد أو الأقراط أو الأساور، ولذا كان التجار يحرصون على أخذ مقادير هامة منها، فيجنونمنورائهاالربحالكثير ([5])،وقسمآخركانفيشكلجفانوأوانمنزليةجيدةالصنع،والقسمالثالثكانفيشكللوازمللخ يلكاللجاموحلقةالقدممنالسرج،وهناكقسمرابعفيشكلأقفالوحلقللأبواب([1])

---

(1)باي بن عمر،مخطوط النوازل. ورقة 535.

(2)باي بن عمر،مخطوط النوازل، ورقة 82.

(3)المصدر نفسه. ورقة 471.

(4)شيخ الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربيفي عهد السلطتين الإسلاميتين. ص ص153-154. عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي. ص219.

(5)مجالس السلطان الغوري. ص85.

ب- 6- الأصبغة والعطور:

كانتالأصباغوخاصةالأرجوانية
والورديةمنهاغاليةالثمنفيالعالمكله،وكانالتجاريأخذونمقاديرضئيلةمنهاإلىبلادالس
ودانلكنهميبيعونهابأثمانمرتفعة،وتقبلالطبقاتالغنيةفي
المجتمعالسودانيعلىشرائهابكثرة،هذابالرغممنأنالشبالذيكانيشكلأحدالعناصرالأس
اسيةفيصنعهاكانيجلبمنالسودانمقدارهاممنهإلىبلدانالمغرب ([2]).

أماالعطورفقدكانتموادهاالأوليةكالمسكوالعنبرتجلبمنالسودان،أمابقيةالنباتاتال
تيتصنعمنهامثلالخزامى،فقدكانيجلبأكثرهاإلىالمغربمنإيطاليا،وتحملالعطورإلىال
سودانبأنواعها،فيجنيالتجارمنورائهاأرباحاكبيرةويقبلالسكانعلىشرائهاإقبالاكبيرا
،وكانتالعطورتستهلكبكثرةفيجميعمناطقالسودانالغربي،وفيأوساطالطبقةالموسرة
والرسمية،حيثلايظهرالملوكوالرؤساءفيمجالسهمإلاوالعطورتفوحمن
أردافهم.كماأنالقضاةوالوجهاءكانوايسيرونفيالشوارعأويقصدونالمساجدفيروائح
قوية ([3]).

ب- 7- المنسوجات الحريرية والقطنية:

كانمعظملباسأهلالسودانالغربيمن
المنسوجاتالقطنيةوالصوفيةوالحريريةالتيكانيأتيبهاالتجارمنالمغربالأقصى،إلىالمنطقةا

---

(1)الحسن الوزان، المصدر السابق. ص73-74.

(2) L Gayet,Histoire du commerce. Paris 1953,t 3,P62.

(3)عبد القادر زبادية، مملكة صنغاي. ص ص 220-224. زبادية الحضارة العربية والتأثير الأوربي. ص ص34-35. الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا ص331.

لتكرور،عبرأغمات،وكانالقميصالسوسيالأخضراللونالذييجلبمنسوسبجنوبالمغربالأق صىكانغالياالثمنخاصةإذاكانمصبوغا فلايلبسهإلاالملوك ([1])،وأماالمنسوجاتالحريريةالتيكانيجلبهاإلىأسواقالمغربالتجارالأوربيون،ثميحملهاالت جارالمغاربةوالمصريونإلىأسواقالسودانبعدذلك،فقدكانتفيمعظمهامصبوغةومتقنةال صنع،وخيوطهافيالغالبمنواردةالشامإلىإيطاليا ([2]).

أماالمنسوجاتالقطنيةفقدكانتبلدانالمغربومصرفيهذهالفترةقدازدهرتبهاصناعةالن سيج،وكثرتالمحايكوالحياكونفيمختلفالمدنوالقرى،وكانمعظملباسالسودانمنالمنسوجاتا لقطنيةالتييحملهالتجارالأجانبمعظمهاإلىالأسواقفيتلكالبلادوإلىمدنهاالكبرى، وفي النوازل ما يدل على أن أرض السودان كانت تنج القطن أو الكتان، لكنه غير كافي، ويستعمل من بين ما يستعمل فيه تكفين الموتى فيقول" أماالقطنفهوالموجودبهذاالقطروالعواميسمونهالكتانوليسهومعأنبينهمامشابهة،ومنيوج دأنفيأرضهتميزبينهما،وأماماتصنعهالنصارىوغيرهماليومفليسبواحدمنهما ، وإنمايصنعمننباتيسميهأهلتلكالجهةالحلفة،يوجدفيتلكالصحاريوقد يستنبت ([3]).

وقدعرفالسودانيونفيهذهالفترةصناعةالأنسجةوأخذواطرقهامنبلدانالمغرب، ولكنإنتاجهمكانلايفيبالحاجةالمحلية إلا جزئيا،كماأنصناعتهممنهذهالمادةقداقتصرتعلىبعضالمدنالكبرى،مثلتنبكت،

---

(1)الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا. ص333.

(2)زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي. ص35.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 234.

وجني،وقاو،وولاتة ([1]). وفي تنبكت كان الطلب مستمر على القماش الأبيض ([2]).

ب- 8- التمور والتين:

أماالتمور فهيقليلةفيالسودانالغربيلأجلذلكتجلبفيأحمالكبيرةإلىالسودان،ويأخذه االتجارمنالواحاتالصحراويةالعديدةوعلىرأسهاواحاتورقلةوتوات ([3]).

3- العملة وأساليب التعامل التجاري:

شهد السودان الغربيتطوراعبرالزمنفيأساليبالتعاملالتجاريبتطورالعملةالتيانتقلتمنالمقايضةإلىال عملاتالمتداولةحاليا.

أ-أساليب التعامل التجاري:

تعددت أساليب التعامل التجاري في السودان الغربي من مكان إلى آخر ومن زمن لآخر، ويذكر لنا الشيخ باي جل هذه الأنواع من التعاملات، وهذه التعاملات هي:

أ -1- المقايضة:

---

(1)عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي. ص35.

(2)فيليكس ديبوا، المرجع السابق. ص200.

(3)المرجع نفسه. ص35.

بالعودة إلى الوثائق التي تناولت أساليب التعامل الاقتصادي يتضح أن ذلك كان يتم بالعروض في غالب السودان الغربي، لأن هذه المنطقة لم تعرف استخدام العملة بصفة كبيرة حسب مختلف الشهادات التاريخية ([1])، فقد أشار الرحالة ابن بطوطة ([2]) إلى أنه كان يشتري الطعام والسمن، بالملح، وبالعطر، وحلي الزجاج. كما أكد سادا موستو في القرن 9هـ/15م، عدم وجود الدراهم المسكوكة في الصحراء والسنغال. وهذا ما يصرح به كذلك فيرناندس في مطلع القرن 10هـ/ 16م، في معرض حديثه عن سكان أراضي موريتانيا وشرقها، حيث قال: " إن العرب ليست لهم عملة باستثناء الفضة، التي تأتيهم من بلاد النصارى، والتي هي أغلى عندهم من الذهب، فليست لديهم وسيلة أخرى للشراء، أو البيع، سوى مقايضة مادة بأخرى "([3])، أي استبدال سلعة بأخرى، ولم تخص بمادة دون غيرها، حيث أنها شملت جميع المواد.

وكانالقطنيستخدمكوسيلةلشراءبضائعالشمالالإفريقي،المجلوبةللسودانالغربيبطريقةالمقايضة،والدليلعلىذلكماشاهدهالحسنالوزانأثناءرحلتهإلىمدينةجنيقائلا:"ويجني سكان البلاد أرباحا عظيمة من تجارة أقمشة القطن، التي يمارسونها مع التجار العرب المغاربة، ويبتاع منهم هؤلاء بالمقايضة الكثير من الأقمشة الأوربية " ([4]).

---

(1)LEHURAUX (C), Op. Cit. p.207.

(2) ابن بطوطة، الرحلة، ج 2، ص: 378.

(3)FERNANDES V, Description de la cote d’ Afrique de Ceuta au Sénégal (1506- 1507) Publ. Ce nival et Th. Morod, R.H.S.A.,série A N 6, 1938. p.97. وينظر الحمدي أحمد، المساهمة العلمية للمختار الكبير الكنتي بأزواد 1142- 1226 هـ / 1729- 1811 م.. ص ص 41-42.

([4])الحسنالوزان،وصفإفريقيا. ج2،ص537.

وقد ذكر الشيخ باي في نوازله أنواعا متعددة من هذا من النوع من البيع،فكان يقايض حيوان بحيوان، مثل إبدالبعيرجيدبأبعرةأقلجودةأوضعيفة ([1])،وكذلك استبدال بقرة بجمل، أو بقرة بغنم،أوحيوانبمادةغذائيةكقمحأوتمر([2]).

وقد أشار إلى هذا الوضع الكاتب شامبونو في الربع الأخير من القرن 11هـ / 17م، بأن: " كل التبادل يتم عن طريق المقايضة، دونما استخدام للعملة "([3]). كما أكد ذلك الشيخ محمد المامي في القرن 13هـ / 19م، عندما اعتبر: " التقويم بالعروض في أرض لا سكة لها تشهد به الأصول"([4]).وأحياناتكونالمقايضةفيمكانبسلعةفيمكانآخر،كأنيأخذشخصملحافيت نبكت مقابل ملح في السوق ([5]).

ذكر الشيخ باي مثل هذه الحالة في رجلين لكل واحد منهما طعام ببلد الآخر وكل منهما يشق عليه حمل طعامه، فأحبا أن يأخذ كل منهما ما ببلده والحال أن الطعام من جنس واحد وقدرهما متحد، فالحالتين من البيوع المحرمة كونها عين الربا ([6]). وفي حالات أخرى يكون استبدال جزء مقابل

---

(1)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 469.

(2) المصدر نفسه. ورقة 468.

(3) DE CHAM BONNEAU (L.M), Histoire du Toubenan ou changement de Souverains". In BIFAN, T. XXX, série B, N 1, 1968. p. 338

(4) محمد المامي، كتاب البادية، نسخة مخطوطة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي بنواكشوط ، بدون رقم. ص ص 16- 17.

(5)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة511.

(6)المصدر نفسه. ورقة 476.

سلع مختلفة والجزء الآخر يدفع الشاري مقابله نقود، كجمل مقابل تمر، وحناء، وتبغ، وريالات ([1]).

وقد وجد نوع من البيوع كنا نحسبه من أنواع البيوع المتأخرة، لكنه قديم، وهو ما يسمى البيع بالتقسيط، أي بيع سلعة بالدين غاليا وبالحاضر رخيصا ([2]). ومن ذلكأيضا بيعالجلدغير المدبوغبالحيوانمنجنسهكجلدالبقر ([3]). من ذلك أيضا بيع المخلول بالرقيق مقايضة ([4]) ومنها أيضا الشراء بالدين كشراء بعض الحوائج بالزرع كالقمح لكن بالدين ([5]) وكذا بيع كباش بمقوم كاللباس ([6]).

وقال المامي بضرورته :"فيبلادنا التي لا توجد فيها السكة "([7]). وإنما عروض تغلب في جزء من البلد، وغيرها يغلب في جزء آخر، ويتعين التقويمبها.

ومنخلالتصفحنالنوازلالشيخباياتضحأن المقايضةلاتشملسلعةمقابلسلعةأخرىوإنماأشكالهامتعددةغيرالتيذكرناها، منهاأنهقديعجزالشخصعندفعدينعليهلمدينهأويشتريعليهسلعة،فيكونالقضاءبخدمته

---

(1)المصدر نفسه. ورقة 534.

(2) باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 476.

(3)المصدر نفسه، ورقة 471.

(4) المصدر نفسه، ورقة 486.

(5) المصدر نفسه، ورقة 488.

(6)المصدر نفسه، ورقة 646.

(7)محمد المامي، المصدر السابق، ص18.

مدةمعينةممايستوفيعنهدينه ([1]). كذلككانت هناك طرقأخرى لقضاءالدينمتعددة،منهاماوردفيالنوازل أنه يجوز لمن ملك عليه دين أن تقول له احرث معي واقطع من دينك، أواكر لي دارك الفلانية،أوبعيرك الفلاني، أو عبدك واقطع من الدين أي الذي عليك، أو خط لي هذا الثوب ونحوه ([2]).

وظلت طرق التعامل تسودها المقايضة، حيث أدت المواشي وبعض المواد المحلية، دور ووسيلة التبادل الأساس في تلك الفترة. وإضافة إلى الدور الذي أداه الملح، والذهب، في التجارة الصحراوية، فإن الودع، وبيصة النيلة، والأنعام، قد شكلت وسائط التقويم والتبادل الأساسية في السودان الغربي([3])، تبعا لخصوصيات كل جهة.

ا- 2-الشركة:

كمايوجدهناكنوعأخرمنالتعاملاتالتجاريةوهونظام الشركة والتيمعناها لغة خلطأحدالمالينبالآخربحيثلايمتازانعنبعضهما([4])، وهي ثلاثة أنواع:

شركة الأموال: وهي التي يشترك فيها الشركاء برؤوس الأموال أو العروض.

---

(1)باي بن عمر، المصدر السابق. ورقة513

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة525.

(3) GAUTIER (E. F), Op. Cit. p. 216.

(4)الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة. الأزهر، القاهرة. المكتب الثقافي، ج3، ص52.

شركةأبدان: تختص في الصنائع والأعمال، يشترك فيها صانعان أو أكثر ثم يقتسمان الأجرة بينهما وفق نسبة العمل.

شركة الوجوه

أوالذمم:ويشتركفيهاالشريكينعلىغيرمالولاعملوهيالشركةعلىالذممكلمااشترياهكا نفيذمتهما،وإنباعاهقسمتاالأرباحبينهماوهيباطلةعندالمالكية ([1]). وهيعموما أن يشتركشخصانأوأكثرفيتجارةمافيتقاسمانالأعباءوالمخاطر،إلاأن هذالايخلومنوقوعمشاكلبينالشركاء ([2])، وقد يكون بصيغة أخرى حيث يجمع بين الشراكة والقرض، كأن يقرض شخص شخصا آخر مالا ويكون شريكه في الربح، أو أن يدفع له ثمن القرض سلعة، ويكون شريكه في الربح ([3]).

ا- 3- الوساطة (السمسرة):

وقد وجد نوع آخر من التعامل التجاري هو السمسرة انتشرتفيتنبكت،حيثتعتبرمكاناالتقاءلكلالذينيسافرونبالقوافلأوالقوارب،وكونالمنط قة منطقة عبور وازدحام بالمواد فقد وجد هناك سماسرة يسهلون عملية التبادل ويجنون من ورائها أموالا طائلة فقد كان الكل يقوم بهذا العمل من الأب إلى الابن وحتى النساء والأطفال، ثم يتحول هؤلاء السماسرة إلى تجار يشتغلون لحسابهم الخاص، فيصبحون ينتظرون القوافل لشراء السلع منهم

---

(1)الجزيري، المرجع السابق. ص61.

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة545.

(3)المصدر نفسه، ورقة534.

([1]). فهمالوسطاءوالمقاولون وأصحابالأرض،يقولمثلعربي:"إن الضيفهبةمناللهخاصةفيتنبكتالتيلايوجدبها رجالقوافل"([2]).

ا- 4- الوكالة:

وهناكالبيعبالوكالة، حيث تعرف على أنها لشخص ما ينوب عن غيره في أمور محددة ([3])، ولقدحددهاابنعرفة "...بنيابة ذي حق غير ذي إمرة ولا عبادة لغيره فيه غير مشروطة بموته..." ([4]). حيث كان التجار يوكلون أشخاصا ينوبون عنهم في تجارتهم في البلدان التي يتعذر عليهم الذهاب إليها لأسباب،ويكونهذامقابلأجرمعين، وظهرهذاالنوع من المعاملات التجارية فيتنبكتبشكلكبير،حتى أنأحدهمقاللفيليكسأنهميعهدونبتجارتهمللناسالذينليسلهمبضائع،وهميقومونببيعهان يابةعنهمفيكلالبلاد([5]).

كانالشائعأنيتصرفالأبفيمالابنهببيعاوشراءوالعكس ([6])،أويقومالرجلعلىمالزوجته ([7]).وقدحفلتكتبالنوازلبذكرنظامالوكالة،حيثيذكرالبلباليفينوازلهالغنيةمكانة

---

(1)فيليكس ديبوا، المصدر السابق. ص204.

(2)فيليكس ديبوا، المصدر السابق، ص205.

(3)البلبالي محمد بن عبد الرحمن وآخرون، غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل (الغنية البلبالية). ورقة326.

(4)عمر سلمان، المرجع السابق. ص240.

(5)ديبوا، المصدر السابق. ص154.

(6)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة513.

(7) المصدر نفسه. ورقة551.

نظامالوكالةلحاجةأهلالإقليملمنيقومعلىأموالهمالتجاريةخاصة،باعتبار أنأهلالإقلي مجلهميمتهنونالتجارة،ولذلكفهمبحاجةإلىوكلاءيسيرونأمورهموأنشطتهمالتجاري ةبتواتوخارجها ([1]). ومنالنوازلالتيتبيننظامالوكالةأنوكلشخصشخصاآخر ليشتري له جنانا،فلميتمكنمنذلكثماشترىلهالوكيلجناناعلىخيارهوهوغائب،فأفتىالقاضيبضرو رةضمانالوكيللموكله ([2]).

ب- أنواع من البيع المتنوعة:

وهناك أنواعأخرىمنالبيوعيوردهاالشيخباي،لكنهالمتكنهيالغالبةفيالسودانالغربي،بحيثيت مالبيع بالدفع،أما الدفعفيكوننمؤجلابأجل،أوبدونه،وقدتعارفالناسعنضربالأجلفيقضاء الدين ([3])، وأحيانا يكون البيع بثمن معلوم إذا كان الدفع عاجلا، ويزيد الثمن إن تأخر الدفع ([4]).

كماعرفتظاهرةبيعسلعتينأوثلاثمعبعضها، كبيعالسكروالشايمعا ([5])،أوبيعغنمصغيرة وكبيرةمعادونتمييزفيالسعر،

---

(1)هرباش زاجية، الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12 و13 الهجريين 18 و19 الميلاديين. ص347.

(2)البلبالي، الغنية. ورقة336.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة466.

(4)المصدر نفسه، ورقة476.

(5) المصدر نفسه، ورقة472.

أويجمعمجموعةمنالأشخاصغنمهمويبيعونهامعادونتفريقبينغنمهذاوغنمهذا ([1]).ومنالبيوعأيضا بيعالوزيعةالتيقلناسابقا هيمنأنواعالتكافلالاجتماعي، فهي نوعمنأنواعالبيوعوهياشتراكمجموعةمنالناسفيشراء شاة وذبحهاوتوزيعلحمهابينهم،وهذاالنوعمنالمعاملاتمنتشرفيالباديةحيثلا وجود لجزار خاص([2]).

كما وجد نوع آخر من البيوع وهي أن يبيع شخص سلعة في مكان وهو في مكان آخر ويقبض ثمنها دون أن يرى المشتري السلعة "وأجاب عن جمع رجلين سلعتيهما في بيعة لا يعرفان ما ناب كل سلعة أن حكمها المنع ([3])، وعن السلع التي يكثر عليها الطلب، كأن يبيع سلعة قافلة لمتخرجبلدها،وتدخلبلدالشاري،وقبلأنيقبضثمنها،وكانالناسيخلطونفيأمرهذهالق ضية،فيبيعونلبنالشاةفيضرعهاغيبة،والشارييقومبحلبهاكليوم،وفيهذاالعملنهيمن الشارع،وقدأفتىالشيخباي بن عمر بمنع ذلك([4]).

ج- الإتجار بالعملة:

من خلال نوازل الشيخ باي يظهر لنا جليا هذا النوع من التجارة التي انتشرت خلال القرن التاسع عشر لأسباب متعددة أهمها كثرة العملات واختلاف وزنها وقيمتها باختلاف المناطق، فيحصل النفع باستبدال عملة

---

(1)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 491.

(2) المصدر نفسه، ورقة 478.

(3)المصدر نفسه، ورقة 495.

(4)المصدر نفسه، ورقة 516.

بعملة أخرى، وقد أفتى الشيخ بجواز استبدال الريالة بالدراهم أو الأوراق النقدية الفرنسية ([1]).

كما وجد تجار للعملة يمارسون مهنة الصرافة، ويكون الصرف بنقصان سدس من كل ريال يتم استبداله، ويحصل لهم الربح وراء ذلك ([2]).
نتجعنتجارةالعملةتجاوزاتشرعيةكانتشارالرباومالنجرعنه من مشاحناتبينالعلماءوالتجار حول هذا النوع من المعاملات، فكان بعض الناس يرفض التعامل مع المسلمين بالربا لكن مع غير المسلمين يجيزه ويتعامل به ([3])، وقدوقع الخلاف بين العلماء في التعامل بالعملة الورقيةالمتمثلةفيالكارطة ([4]).

د- العملات:

من خلالتصفحنالكثيرمنالمصادرالتيتتحدثعنالسودانالغربيلم نعثر على عملة موحدة خاصة بالمنطقة، بل هي مجموعة من العملات المختلفة يؤتى بها من المناطق المجاورة، وحتى من مناطق بعيدة، وبسبب هذا الغياب للعملة الموحدة لجأ الناس إلى المقايضة في تعاملاتهم التجارية، ولعل أهم العملات التي كان يتداول بها في المعاملات التجارية:

---

(1)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 503.

(2)المصدر نفسه، ورقة 510.

(3)المصدر نفسه، ورقة 527.

(4)المصدر نفسه، ورقة 533.

د- 1-الودع[1] أو الصدفأوالمثقال:

تعرف بالكوري(cauris)، يذكر الحسن الوزان أنه مستورد من بلاد فارس 400 منه يساوي مثقالا ([2])، تنموفيالبحارالحارةجلبهاالعربمنالمحيطالهنديعنطريقالرحالة البرتغاليين،صرفهافيتنبكتيساوياالآلافقكل4000كوريبقابلهامثقالواحد من الذهب أو الفضة ([3])، فقد أخبرنا ابن فضل الله العمري في القرن 8هـ / 14م: "... أن المعاملات في بلاد التكرور بالودع، وأن التجار أكثر ما تجلب إليهم الودع، وتستفيد به فائدة جليلة ويتحلون به في بلادهم "([4]). كما كان يجري العمل بالودع في البلاد التي هو صرفها كتنبكت ([5]).

لقدكانالصرففيتنبكتمنذعهدالمغاربة،يعنيمايقابلالمثقالالذهبيالواحدمنآلافالقواقع ([6])،وحسبمونييفإنالمثقالالذهبيالذيكانوحدةالعملةالذهبيةهوالذيتقدرعلىأساسهأسعار البضائعوالعبيدومختلفالمزروعات،وذلكبموجبمايقابلتلكالوحدةالذهبيةمنقواقعا لكوري،ومعنىذلكأنالكوريكانهوالوحدةالمفردةللمثقال، فإذا كان المثقال الواحد

---

(1) الودعة جمع ودعات وهو عبارة عن خرز أبيض اللون يستخرج من البحر يوضع على العنق دفعا للعين. الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، ص1388.

(2)الوزان، المصدر السابق. ج2، ص166.

(3)هرباش زاجية، المرجع السابق. ص316.

(4) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص 190.

(5)باي بن عمر، مخطوط النوازل. ورقة 504.

(6)محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص 433.

مثلا يساوي 2000 ودعة، فإن نصف المثقال هو 1000ودعة، وكان المثقال يساوي 72 حبة من القمح المتوسط.

يأتيبعدهالدرهمالذيكانيعادلسبعةأعشار المثقال،ثمالدينار الذيكانيساويأربعيندرهما ثمالأوقيةالفضيةوكانوزنالواحدةمنها33غراما،وكلوحدةمنهذهالوحداتتحولإلىود عبمقتضىقيمتهاإلىقيمةالمثقال([1])،أمامشتقاتالمثقالالتييهيقواقعالكوريفكانعددهايختل فمنسنةإلىأخرى ([2]). كما كان نصاب الفضة عشرون ريال من سكة الفرنسيين في ذلك الزمن ([3]).

ويورد لنا الشيخ باي في نوازله تعامل الناس بالريال والتتمات وهي الدراهم، أو السليات وهي القراطيس من ناحية الفلوس ([4]). كما تعامل الناس بالأوراق النقدية أو ما كان يسمى الكاغد ([5]).

د- 2- الملح:

استعمل الملح في السودان الغربي كعملة ذات قيمة كبيرة، تحسب بالعديلة([1])،والعدلهونصفما

---

(1) R.Mauny, Tableau géographique de l' Ouest Africain au moyen age, Dakar, 1961, p430.

([2])J . D . Breth,Lontribution à l’ histoire du Maroc par les recherches numismatiques. Casablanca1939. P130

(3) باي بن عمر، مخطوط النوازل.ورقة 284.

(4)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 504.

(5)المصدر نفسه. ورقة 244-245.

يحملهالجمل([2])،أماالعديلتانفهماالغرارتانالمتساويتان،ولميردذكرالغرارةعندالجغرافيينبلاستعملتكلمةالحجارةوالألواح ([3]). بلغ سعر الحمل حسب رواية ابن بطوطة في منطقة إيولاتن ([4]) بعشرة مثاقيل إلى ثمانية ([5])،أي مايعادل 34 إلى 4205 من الذهب ([6])، وقدوذكر الونشريسي أن أهل الصحراء كانوا يستخرجون الملح ويقطعونه ألواحا كألواح الرخام، فيحمل الجمل منها لوحين، أحدهما على الجانب الأيمن، والآخر على الجانب الأيسر ويسمى بالحمل،أما أثمانها فإنها تختلف باختلاف أحجامها، التي تشترط فيها السلامة

---

(1)العديلة في الإصطلاح اللغوي مأخوذة من العدل والموازين والمكاييل، وعدل الشيء، يعدله عدلا، وعادله يعني وازنه. أنظر الفيروز أبادي، المصدر السابق. ص847.

(2)المصدر نفسه، ص847.

(3) ذكر البكري أن الملح كان يقطع كما تقطع الحجارة، وأطلق إسم تاتنتال، وأن له غلة عظيمة. البكري، المصدر السابق. ص171.

(4)إيولاتن هي أول عمالة سودانية، بها نائب للسلطان ،شديدة الحر، بها نخل يسير، أكثر سكانها من مسوفة لم ترق لابن بطوطة في سيرة قومها وضيافتهم له. ابن بطوطة، المصدر السابق. ص676 -677

(5)هنا ذكر ابن بطوطة أن الملح يحمل الحمل منه لوحين وهو كالذهب والفضة يقطع قطع ليتبايعوا به. المصدر نفسه. ص674

(6) حسب حسن الحافظي أما أوليل فقد ذكر 47,2غ من الذهب بولاتة و 141,6 من الذهب في مالي أي ب 30 مثقالا، وذكر يحي بوعزيز ان مقدار ثمن الملح حسب حسن الوازن فهو 80 دوخة ducat القطعة منه ب 20 دوخة أي 160فرنكا.حسن حافظي، المرجع السابق. ص 164. يحي بوعزيز، طرق القوافل. ص118

من الكسر،تقدر قيمتها بالشبر في طولها وعرضها وغلظتها،ولذلك اختلف الفقهاء حول وزنه هل يقدر بالشبر أم بالوزن؟ ([1]).

د- 3- الدينارالسلطاني:

ويعرفكذلكبالدينارالذهبي،يظهرمنخلالتسميتهأنالمقصودبههوالدينار العثماني،وي عدالسلطانالعثمانيسليمالأولهوالذيصككهذهالعملةالذهبيةسنة923هـ/1517م،وكتبع ليهاكلمةسلطان،كماعرفتباسمالدينارالأشرفيوأطلقعليهاسمالمحبوب،أيالذهبالمح بوب،وكانلهأجزاءبمقدارالنصفوالربع([2]). كماوردت العملات الورقيةالسلطانيةوقدورذكرهافيالنوازلبالكاغدالذيفيهختمالسلطان ([3]). كمااستعملالقراضبالكارطة(الصك) ([4])،كذلككانتتتمالتعاملاتبالكاغدوالفضة ([5]). أيضا استعملت الدنانير النحاسية المحتومة بختم السلطان ([6]).

كماتعرضتهذهالمنطقةإلىخطرالتواجدالأجنبيالمتمثلفيالأوربيينالذينضاقتبهم سبلالعيشفيبلادهم،فوصلواإلىالسودانالغربي، عن طريق البحوث العلمية المريبة وعن طريق التجارة أو الاكتشاف، وجلبوا معهم عملاتهم التي

---

(1) يذكر الطول 5 أشبار والعرض 3 أشبار وفي الغلظ على الوسط لا رقيقة ولا غليظة. الونشريسي: المصدر السابق. ج 5، ص ص136-137

(2)مبارك جعفري، المرجع السابق .ص376.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 503-505

(4)المصدر نفسه، ورقة 533 .

(5) المصدر نفسه، ورقة 538.

(6)المصدر نفسه، ورقة 244.

استعملت في السودان الغربي ومن بين هذه العملات العملة الورقية الفرنسية وقد ورد ذكرها مرات في نوازل الشيخ باي بن عمر ([1]).

د- 4- الريال:

يبدو أنهكانمتداولا في الأزواد،وهوعلىالأرجحالريالالعثمانيالذيكانيصنعمنالفضة،وكانيضربفيدارالسكةفيكلمنتونسوالجزائروليبيا،وكتبعلىأحدوجهيه- سلطانالبرّينوخاقانالبحرينالسلطانمحمدخانعزنصره، وعلىالوجهالآخركتب- فيتونس1243هـ. كما ضرب الريال في الجزائر وعرف بريال بوجو.كما ورد ذكر الريالفيالنوازلفيأماكن متعددةمنهاقوله"قل أجل ذلك الريال واشترى به ماشية أو عرضا على نية الأكل منه" ([2])، كما ورد ذكره في بيع العملة فقال" وأما إبدال التمات والنّتكات بالريال الكامل ففيه خلاف، المعمول به منه الجواز"([3]). وفي موضع آخر حيث قال" وانظر ما وجه المنع من إبدال الريالين مثلا باثنين وثلاثين درهما حيث كان صرفه بستة عشر درهما كما في زمننا هذا "([4]).

د- 5- البيصة:

---

(1)المصدر نفسه، ورقة 503-533.

([2])باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة247.

([3]) المصدر نفسه، ورقة505.

([4])المصدر نفسه، ورقة 508.

عملةرائجةإضافةإلىكونهاوحدةقياس،فقدجاءفيعقدبيعبينمحمدمحمودبنالمجتبىومحمدالمصطفىبنحبيباللهفيثوراشتراهابن
المجتبىمنابنحبيباللهببيصتينوخمسةعشرذراعامنالكتانعلىألايرده ([1])،
وقدوردذكرالبيصةفينوازلالشيخبايفيموضعين:أحدهمافيقرضبينشخصين،علىأني ردالمدينالقرضبزيادةبيصة،وهوعينالرباكماقالالشيخ
([2])،والموضعالثانيفيأجرةالمرضع،وهوبيصةفيالشهر([3]).

4- المقاييس والمكاييل والأوزان:

كما عرفت الحضارة العربية الإسلامية استخدامات متعددة للمقاييس والأوزان في مختلف مناحي الحياة بالدقة اللامتناهية، فقد شارك المسلمون في السودان الغربي إخوانهم العرب في استعمال عدد منها:

ا- المقاييس:

الشبر:يساوياالامتدادبينالخنصروالإبهام،حتىتكونالكفمفتوحة،وقدقدرهموني ب21,5 سنتمترتقريبا([4]).

(1)مبارك جعفري، المرجع السابق، ص375.

(2)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة533.

(3)المصدر نفسه، ورقة462.

(4) Raymond Mauny, Tableou geographique de l’ Ouest Africain au mayen Ages, Dakar1961.p 412.

الذراع: هو الامتداد بين عقدة المرفق و نهاية الوسطى و يساوي حوالي 50 سنتمتر تقريبا ([1]). وفي النوازل "عمق القبر على قدر الذراع فقط " ([2]).

- الميل: يستعمل في قياس المسافات بصفة خاصة، وقد قدره موني ب1920 مترا ([3])، ورد في النوازل"الخيار في أخذ كراء الميل الزائد"([4]).

- **الفرسخ:** لقياس المسافات الطويلة، كان يساوي ثلاثة أميال أي ما يعادل 5760 متر تقريبا ([5]).

- القدم: كانت تستخدم لمعرفة وقت دخول الصلاة، وهي في المتوسط ثلاثين سنتيمتر ونصف ([6]).

-

البيصة: وحدة لقياس القماش تساوي ثلاثين ذراعا من الكتان، ما يقارب خمسة عشر متر. وقد وردت في النوازل في قوله "كانت البيصة ربحا إذا الطعام ينالبدون ذلك" ([7]).

-

المرحلة: وهي المسافة التي يقطعها المسافر في اليوم على الدابة و جمعها مراحل، وهي المدة ا

---

(1) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي. ص53.

(2) باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 237.

(3) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية، ص53.

(4) باي بن عمر ،مخطوط النوازل، ورقة 545.

(5) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص53.

(6) جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 382.

(7) باي بن عمر، المصدر السابق، ورقة 462.

لمتوسطةالتيتقطعهاالقافلةفياليوموتساوي متوسط ما يقطعه الجمل في اليوم ([1]).

ب- **الموازين أو الأوزان:**

- **المثقال:** وحدة قياس الأشياء الثمينة كالذهب، يساوي أربعة وعشرون حبة من الخروب وكل حبة خروب بأربع حبات من القمح ([2]).وفيالنوازل"كرهمالكأنيعطىالرجلالمثقالأو يأخذ أربعة وعشرين قيراطا معدودة بغير مراطلة" ([3]).

- **القيراط:** وجمعها قراريطيقرب وزنه ثلاث حباتمن القمح، وقيل ثلاث حبات من الشعيروهو واحد من أربعة وعشرون(24/1) من المثقال واستعمالهكان قليلا لأنهدقيق ولأنالمعادن النفيسة كانت متوفرة ([4]) وفي النوازل "وهي كون صاحب القراريطإنما ترك فضل قراريطه لفضل الدينار الوازن " ([5]) و أيضا ذكر " يعطي دينار في أخذ نصفين أو درهما بقيراطين فأجازه أبو القاسم" ([6])

---

(1) بول مارتي، كنتة الشرقيون، ص168.

(2)جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 378.

(3)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 505.

(4)جعفري مبارك، المرجع السابقن ص 378.

([5]) باي بن عمر، المصدر السابق، ورقة 506.

([6]) المصدر نفسه، ورقة 507.

- **الدينار:** يساوي أربعين درهما، وقد ورد ذكره في نوازل الشيخ باي بن عمر في "ولا بأس أن يبيع الرجل الثوب معجلا بدينار إلى شهر، والدينار بكذا". ([1]) وأيضا "وأجاز ذلك ابن القاسم استحسانا على وجه المعروف في الدينار الواحد، كما أجازوا مبادلة الدينار الناقص بالوازن على وجه المعروف" ([2]).

- **الدرهم:** وكانيساويأربعأعشارالدرهم، وفي النوازل " بيع الدرهم بقيراطين دون مراطلة جائز" ([3])

- **الأوقية(الوقية):** الأوقيةالواحدةتزن حواليسبعةوعشرونونصفغرام ([4]).

ج- المكاييل:

-

المد: يساويسعةأربعةألواحبجمعاليدين،وقدقدرهمونيبـــ0,75س،لتربالتقريب ([5]). أما أهل سجلماسة (تافيلالت) وبينها وبين واحد وأربعون مرحلة فكيلهم بالمد أيضا، ومد النبي صلى الله عليه وسلم عندهميسع خمسة وسبعون ألف حبة من القمح ، نظرا لكونه رقيقا، ويقدر مدهم باثني عشر قنفلا، وكل قنفل يقدر بثمان زلافات، والزلافة عندهم تقدر بثمان أمداد بمد الرسول صلى الله

([1]) المصدر نفسه، ورقة 475.

([2]) باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 506.

([3]) المصدر نفسه، ورقة 507.

(4) زبادية، مملكة صنغي، ص200.

(5)زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي، ص54.

عليه وسلم، والتبايع عندهم في الذهب يكون عدا لا وزنا نظرا لكثرته، ووجودها بجوار أرض التبر([1]). وقد لاحظ البكري أن التبايع أيضا في أدغشت في السودان الغربي يتم بالتبر ومثال ذلك في إيجلي قاعدة السوس الأقصى، وتسمى مثاقيلهم غير المضروبة القصديرية، أما تادمكة فتعرف دنانيرهم بالصلع لأنها خالصة وغير مطبوعة ([2])، وذكر في النوازل "والمد حفنة باليدين المتوسطتين " ([3])، وأيضا "وذلك لأن المد كما تقرر ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين" ([4]).

- **الصاع:**يساويأربعةأضعافالمد،أيمايعادلثلاثةلتراتتقريبا ([5]). وقد ورد ذكره في نوازل الشيخ باي بن عمر في مواطن كثيرة،منها "ومن المعلوم أن النصاب ثلاثمائة صاع والصاع أربعة أمداد"([6])،"والصاع منهأربعحفناتوقدجربتهأنافوجدتهصحيحا" ([7])، ومنهاقوله" نحنعارضناذلكمعماوجدنافيقريتنامنصيعانفوجدناالصاعملاوهممسوحاباأربعحفنا

(1)البكري، كتاب المسالك والممالك، ص 151.

(2)البكري، كتاب المسالك والممالك، ص 154.

([3]) باي بن عمر، مخطوط النوازل،ورقة 287.

([4]) المصدر نفسه،ورقة 291.

(5) زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي، ص54.

(6)باي بن عمر، مخطوط النوازل، ورقة 289.

(7) المصدر نفسه، ورقة 290.

ت" ([1])،وفيباباإخراجزكاةالفطرأرزبقشورهذكرالشيخباي" أنماعليهأكثرفقهاءتنبكتالمخرجصاعمنهلاغير" ([2]).

- **القنطار:**وقدقدرفي دائرة المعارف الإسلامية بحواليمائةرطلتقريبا ([3])

- **المودي:** هومايحملهالعبدأوالرجلمنحبوبأونحوهفيكيسمنالجلد ([4]). وقد أشار إلى تواجده في السودان محمود كعت ([5]).وكان من بين المكاييل المستعملة في أزواد، ويعرفه المختار الكبير بأنه: " ما يحمله العبد أو الرجل من حبوب أو غيرها في كيس كان يتخذ من الجلد" ([6]).

---

(1)المصدر نفسه، ورقة291.

(2) المصدر نفسه، ورقة 292.

(3)الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا. ص 337. عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي. ص54.

(4)الهادي، المرجع نفسه ص337. زبادية، المرجع نفسه ص54.

(5)كعت، تاريخ السودان. ص249.

([6])الحمدي أحمد، المساهمة العلمية للمختار الكبير الكنتي بأزواد 1142- 1226هـ/ 1729-1811م. ص330

الخــاتمــة

فيختام هذا الموضوع الذي حاولنا أن نجلي فيه بعض ما كان يسود السودان الغربي من مظاهر اجتماعية واقتصادية، حيث وجدنا أن النوازل تناولت في ثنايا فتاويها معلومات قيمة عالجت الجانب الاجتماعي والاقتصادي والتي استنتجنا منها ما يلي:

أن المجتمع بتشكيلاته المختلفة من الحكام والعلماء، وعوام الناس من حرفيين وعبيد، قد ساهم في تنوع المجتمع السوداني تنوعا تم فيه التعايش بين أفراده كل من موقعه حيث خدم العلماء الناس بفقههم وعلمهم وإنارتهم

الطريق لهم، في حين كان للحرفيين والعبيد عملهم الذي بتأديته تكامل المجتمع

أظهرت لنا النوازل عادات المجتمع السوداني وتقاليده في الزواج وكيف أن الأسرة حضيت بكثير من الفتاوى لتوضيح الحلال من الحرام في مجتمع مسلم لكنه قريب من بعض البلاد الوثنية كما أن به هو في حد ذاته بعض الأمور التي لا تمت إلى الدين بصلة فوجدت هذه الفتاوى لضبطه مثل بعض المظاهر السلبية في المجتمع ذكرت في حينها

كما كان يسود المجتمع السوداني رغم تباين تركيبته، بعض العادات والتقاليد التي تمسك بها المجتمع السوداني، من تقاليد دينية كالاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، والأعياد،كعيد الفطر، وعيد الأضحى المبارك،والعشريات المعروفة بعشريات أبي زيد الفازازي، وما كان يسود المجتمع من مساندة لحفظة القرآن الكريم، من خلال الاحتفال بمن كانوا يحفظون ولو أجزاءمنه تشجيعا لهم، كما حفلت النوازل بقضايا متنوعة عن المأكل والمشرب والملبس والمسكن لمختف طبقات المجتمع، كما عرجنا على التعليم ومراحله وأماكنه مشيرين إلى علماء المنطقة، ودورهم التعليمي

إن تنوع الأراضي بين الخصبة على ضفاف الأنهار خاصة نهر النيجر ونهر السنغال، والأودية والأراضي الصحراوية، والأراضي السهبية الواقعة على خط السافانا، هذا التنوع ساهم في إيجاد تنوع للمنتجات الفلاحية والزراعية، وكل هذا حسب الطرق المستعملة والمستغلة في خدمة هذه الأراضي، وما كانت تنتجه من خيرات متنوعة بعضها يستهلك محليا والبعض الآخر يصدر. كل هذا والسودان الغربي يحتاج إلى واردات لتلبية

حاجات المجتمع لقلة توفرها في الداخل. ثم في هذه الأراضي كانت هناك ثروة حيوانية معتبرة على رأسها الجمال والأغنام والأبقار، فبالإضافة إلى استعمالها في الترحال والتنقل استعمل بعضها الآخر في حراثة الأرض أو للذبح. كما وجد على ظهر هذه البقعة من الأرض حيوانات برية متنوعة بعضها تمكن الناس من اصطياده والاستفادة منه وبعضها الآخر صعب المنال، لكنها على العموم أرض معطاع حيوانيا ونباتيا

تناولت النوازل أقضية متنوعة عن البيوع من حيث الضبط بين الحلية والحرمة وهذا لضبط الأسواق من التفلت الشرعي حتى لا تصبح بيد الأجانب خاصة الوثنيين الذين تعامل معهم المسلمون أو المستعمرون بعد أن حطوا رحالهم في البلاد وأخص بالذكر الاحتلال الفرنسي وكيف حاولوا فرض نوعا معينا من التعامل الاقتصادي فكان الناس يلجأون إلى الفقهاء لأخذ الفتوى في كل ما أشكل عليهم. كما ظهرت الفتاوى جليا في عمليات الكراء خاصة كراء الدواب للتنقل أو لنقل البضائع وما قد يحدث فيها من خلاف فوجد الناس عند الفقهاء والعلماء حلولا لمثل هذه القضايا. كما أوردت لنا النوازل فتاوى من خلالها نستشف الطرق التي كانت تسير بها القوافل والاحتياطات التي كانت تقوم بها. إضافة إلى فتاوى لها علاقة بتنظيم الأسواق من خلال ضبط المكاييل والأوزان والمقاييس وما كان يتعامل به حتى لا يعم الربا والبلا، كما وردت إشارات كثيرة إلى أنواع من العملات كانت متواجدة في المنطقة منها ما كان قديما ومازال مستعملا ومنها ما هو جديد خاصة بعد دخول الاحتلال الفرنسي

هذه بعض النتائج التي توصلت إليها، والتي جاءت على شكل أسئلة، أجاب عنها الشيخ باي في نوازله، ولم تشر إلى إحصائيات ولم ترد في المواضيع المختلفة. وأملي أن يساهم هذا العمل في فتح الباب أمام من يهتم بمخزوننا المخطوط، لإماطة اللثام عن محتوياته لأنها إرث علمي كبير لازال حبيس المكتبات والخزائن العامة والخاصة، وتحقيقه يزيد من إثراء مكتباتنا بذاكرة علمائنا في فترات متفاوتة من الزمن أكلها الإهمال.

قائمة

الملاحق

الملحق رقم 1

الورقة الأولى من مخطوط النوازل للشيخ باي بن عمر

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد فنريد أن نرتب نوازل الشيخ غوث العالمين وخاتمة المحققين شيخنا وسيدنا وملاذنا

وعمدتنا شيخنا سيدي باي بن شيخنا سيدي عمر بن شيخنا الشيخ سيدي محمد بن شيخنا وسيدنا الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر على ترتيب أبواب الفقه ولنقتصر على نوازل الأسئلة فقط من غير بعض وصاياه العديدة ورسائله المفيدة إلا ما كان مؤسسا منها ومتسببا عن سؤال فذلك نثبته إن شاء الله لا محالة وعلى الله في ذلك الاستعانة

مسائل من التوحيد والأوراد وما أشبه ذلك ، سئل رضي الله عنه عن شرح هذه الألفاظ وهي نفي الغرض عن الله وجواز الفعل والترك ونفي التأثير بالقوة وحدوث العالم بأسره **فأجاب** بما نصه كل عامل إنما يعمل بغرض إما لدفع مصرة أو جلب منفعة لنفسه والباري جل جلاله هو الغني الغنى المطلق فليس فعله سبحانه لدفع نقص عنه وإنما هو نعم على المخلوق أو نعم بحسب سابق قدرة والممكنات كلها سواء بالنسبة إلى قدرته فلا يجب فعل شيء منها ولا تركه وما فعل من ذلك فهو الحسن الجميل والعالم وهو اسم للإعراض والإجرام سمي بذلك لأنه علامة على وجود محدثة مخترع من العدم المحض لا من عادة متقدمة فلا قديم منه أصلا ولا فرعا بل جميعه محدث أو محدثه هو الفاعل المختار وليس فعله سبحانه بمعالجة ومزاولة كما هو المشاهد من أحوال المحدثات ولا بطبيعة من غير شعور واختيار بل هو فاعل مختار إذا أراد تكوين شيء فإنما يقول له كن فيكون أي فيكونه بلا مماسة ولا معالجة وقد أجرى العادة بإحراق النار إذا مست شيئا يحترق وأن الماء إذا ازداد أنفع العطش وكل ذلك صنعه في النار يحصل الاحتراق عندها لا بها،

الملحق رقم 2

وكذلك حصول الري عند شرب الماء فلا اثر لهما في ذلك الا انهما جمادان ليس
شعور لهما فضلا عن التصرف وليس ذلك بقوة مودعة فيهما عند المحققين
وجل الباري ان يكون مؤثرا بالمعالجة المعبر عنها بالقوة او
بالطبيعة كهذه الجمادات المؤثرة بالطبيعة من غير شعور بل هو فاعل
مختار وفعله بمجرد الملك لا بالمعالجة **وأجاب** عن حكم كتب
الفقه او الحديث بمداد النصارى بما نصه اما كتب الفقه او الحديث بهذا المداد
التي يأتي من جهتهم فلا كراهة فيه عندي لانه فيما نرى نقي نظيف واكثر الاشياء
التي نرى هو ماخوذ من ايديهم وقد جاء في الصحيح لبسه صلى الله عليه وسلم
لمنسوجاتهم واهدي له خف من جهتهم فلبسه ومسح عليه واكل طعامهم
فلنا فيه اسوة حسنة وانظر تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في
كاغد الروم للامام العلامة ابن مرزوق الحفيد يتضح لك جواز كتب ما ذكرت
بحبرهم ولا انكار الكتب بحبرنا خير منه والله اعلم واحكم **وأجاب**
عن هل يجوز ترك هذه الكارطة على التراب او لا يجوز للحروف التي فيها بما
نصه ان ذلك لا ينبغي ان كانت الارض نجسة واما الارض الطاهرة النقية فلم
يمنعوا وضع المكتوب فيها على حال الاستنجاء فيه مع ان ترك ذلك احسن
وهنا كلام فيه طول يعسر على كثير مما يتعلق بهذه المسألة وبالتي بعدها
قال في جامع العتبية سئل مالك عن تغيير الدراهم لما فيها من كتاب
قال مالك اول ما ضربت الدراهم على عهد عبد الملك بن مروان والناس
متوافرون فما انكر ذلك احد وما علمت ان احدا من اهل العلم انكره ولا
ارى به باسا قال مالك ولقد بلغني ان ابن سيرين كان يكره ان يبيع او يشتري
بها وما ذلك من شأن الناس وما ارى بها باسا **قال** ابن رشد في شرحها
انما لم ينكر سلف الامة الدنانير والدراهم المضروبة لما فيها من اسماء
الله جاز والبيع والشراء بها وان كان ذلك يؤدي الى ان يمسها الطاهر والنجس

كان

بها

الورقة الثانية من مخطوط النوازل للشيخ باي بن عمر

الملحق رقم 3

الورقة ما قبل الأخيرة من مخطوط النوازل للشيخ باي بن عمر

الاصطلاح وقدر على فهم ما في الكتب أن ينقطع بنفسه ويلازم النظر ونظمه في أبيات فقال:

إذا لم يكن في مجلس العلم نكتة   وتقرير إيضاح لمشكل صورة
وعزو غريب النقل أو فتح مقفل   أو إشكال أبدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد   وإياك تركا فهو أقبح خلة

وبالجملة فالبليد لا بد له من معلم وإن اكتفى بنفسه وقيل أنه يدرك الحقائق بحدسه فهو الجهل المركب وغيره لا بد له من فتح كل باب ثم إن استقل بعد ذلك فله فسحة ولكل شيء وجه وليس المأخوذ من أفواه الرجال كالمأخوذ من بطون الكتب انتهى المراد منها وكتب لبعض أبناء عمه في عرس لابنه منع فيه العوائد المحرمة في الأعراس التي عمت بها البلوى في هذا الزمن من عرقبة البهائم واستحلال مال الغير والكلام المحرم كالغيبة والفحش واستضاعة المال واختلاط الأجانب ونثر الطعام بالأرض وإكراه من قدر عليه على ما لا يليق شرعا أو مروءة إلى غير ذلك بما نصه أن الحق أعانك الله وجعلنا وإياك من المفلحين الناجين من الخسران وهم المتواصون بالحق وهذا منكر أمات السنة وقام ذلك المنكر الذي لا شك في كفر من استحله وفسق من ارتكبه أو أعان عليه غير مستحل وقد أردت الانتداب لرد ذلك طمعا في نيل ثواب من أحيا سنة أميتت أو أمات بدعة ارتكبت ومن أراد قبول ما قال من الحق فليبدأ بنفسه وقد قال العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، فقم معي في الحق ولا تسمع كلام من لا يعرف حقا ولا يهدي إلى رشاد والسلام والمخاطب بهذا ولي زوجة ابنه المذكور والسلام، ومن كلامه رضي الله عنه وعنا به بما نصه قال المقدسي في كتاب مناهج الصالحين رأيت بخط بعض الفضلاء قال وجدت بخط العلامة المحقق سيدي احمد بن محمد المقري من أراد بيان ما فيه الخيرة فليقرأ الفاتحة مرة وآية الكرسي مرة والإخلاص ثلاثا ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثم يفتح المصحف قاصدا ما يريد وينظر ورقة المصحف اليمنى فإن كانت خالية من لفظ الجلالة عدد ما فيها من الخاءات
الملحق رقم 4

الورقة الأخيرة من مخطوط النوازل للشيخ باي بن عمر

والشينات فإن كانت الخاءات أكثر دل على الفعل والاترك وإن كان فيها لفظ الجلالة فيعد بعدها ورقات ويعد ما في الصفحة اليمنى من الخاءات والشينات كما سبق وقال رضي الله عنه بعد كتبه وجود هذا بخطه لا يدل على أنه يعتقد جوازه ولا أنه يفعله

والتحقيق عندنا منع أخذ المال من المصحف وبذلك جزم الطرطوشي ومن أصحابنا ونقله القرافي عنهما وأقره قال ابن ناجي وهو من الاستقسام بالأزلام ونقل عياض في المدارك عن أبي عبد الله محمد الجهني الطلطيلي أنه كان يستحسن أخذ الفال من المصحف التماسا للبركة وأنه كان يريد السفر في مركب فخرج له واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون، فلم يسافر فغرق أصحابه ونجا. ونقل في الأصل عن أبي مرزوق أنه اتفق له في مثل هذه الحكاية وهذا يدل على جوازه عندهما، وقال الكمال الدميري الشافعي أباحه ابن بطة من الحنابلة ومقتضى مذهب الشافعية الكراهة، وقال شيخنا بعد نقله هذا أيضا لا يقاوم الأول وإنما أتى الناس من قبل الترخيص في البدع المضلة وحسب المؤمن ما أرشد إليه رسوله صلى الله عليه وسلم من الاستخارة الثابتة عنه في صحيح البخاري من خط شيخنا سيدي محمد بن باد قائلا انتهى من خط شيخه صاحب النوازل فجازاهما الله عنا جزاء لا منتهى له إلا رضاهما عنه أمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين انتهى ما وجد من النوازل بحمد الله تعالى وحسن عونه على يدي ناقله من خط سيدي محمد بن حماد بن حبيب الله بن المختار بن عمر بن سيدي المختار الكبير بن أحمد بن أبي بكر الكنتي ثم الوافي جعلنا الله وإياكم ممن سبقت لهم منه الحسنى ألئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون نقله كاتبه لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده محمد التهامي بن عبد القادر بن الحاج أبي بكر غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولأحبابه والمسلمين ختم له بالحسنى والمقر الأسنى بجاه عين الرحمة سيدنا ونبينا وشفيعنا ووسيلتنا إلى ربنا محمد صلى الله عليه وسلم وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمت المقابلة بحمد الله وعونه وتوفيقه بعد عصر يوم الإثنين من شعبان على يد مالكه ومحمد بن مصطفى التيطي رزقنا الله البركة والنفع بجاه صاحب التآليف آمين

وقد تم نقلها يوم الخميس من جمادى الثانية سنة 1371هـ ويغفر الله لمن دعا للمتمم بحسن الخاتمة وله الشكر

ملحق رقم: 5

الطرق التجارية في السودان الغربي في القرن 18- 19.

حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهراء للإعلام، ط 1، ص404.



الفهارس

فهرس الأعلام

حرف الألـف (أ)

حرف البـاء (ب)

حرف التــاء (ت)

حرف الجــيم (ج)

حرف الحــاء (ح)

حرف الخـاء (خ)

حرف الـدال (د)

حرف الـراء (ر)

حرف الزاي (ز)

حرف السين (س)

حرف الشين (ش)

حرف الصاد (ص)

حرف الضاد (ض)

حرف الطاء (ط)

حرف العين (ع)

حرف الفاء (ف)

حرف القاف (ق)

حرف اللام (ل)

حرف الميم (م)

حرف النـون (ن)

حرف الهـاء (هـ)

حرف الـواو (و)

حرف اليـاء (ي)

فهرس القبائل والشعوب

حرف الألف (أ)

حرف البــاء (ب)

حرف التــاء (ت)

حرف الجيــم (ج)

حرف الحــاء (ح)

حرف الـذال (ذ)

حرف الــراء (ر)

حرف الــزاي (ز)

حرف السيــن (س)

المشطوف : 27.

حرف الهــاء (هـ)

هوقار تيتوق إيفوقاس: 8.

حرف الــواو (و)

الولوف :26- 28- 182- 201.

فهرس الأماكن والبلدان

حرف الألـف (أ)

حرف البــاء (ب)

حرف التــاء (ت)

حرف الجيـم (ج)

حرف الحــاء (ح)

حرف الـدال (د)

حرف الـزاي (ز)

حرف السيـن (س)

حرف الشيــن (ش)

حرف الصـــاد (ص)

حرف الطــاء (ط)

حرف العيــن (ع)

حرف الغيـن (غ)

حرف الفــاء (ف)

حرف القــاف (ق)

حرف الكــاف (ك)

حرف الــلام (ل)

حرف الميـم (م)

حرف النــون (ن)

حرف الهــاء (هـ)

حرف الـواو (و)

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

المصادر المخطوطة:

1- الأرواني أحمد بن بابير، مخطوط السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، دون ترقيم المكتبة الزيدانية نيامي، النيجر.

2- البلبالي محمد بن عبد الرحمن وآخرون، غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل(الغنية البلبالية). مخطوط دون ترقيم خزانة المطارفة أدرار، الجزائر

3-محمد المامي، كتاب البادية، نسخة مخطوطة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي بنواكشوط، بدون رقم.

4- المختار الكبير الكنتي، البرد الموشا في قطع المطامع والرشا، مخطوط بخزانة فيلي موسى بتمنراست، دون رقم، ج 1.

5-سيدي محمد بن المختار الكبير الكنتي، الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد مخطوط في خزانة الشيخ عبد القادر بن عبد الكريم المغيلي بالحي الغربي بأدرار.

6- الغلاوي مصطفى بن أحمد، العمل المشكور في جمع نوازل التكرور،مخطوطة بمعهد أحمد بابا التنبكتي، مدينة تنبكت مالي.

المصادر المطبوعة

المصادر باللغة العربية:

8- الإدريسي الشريف أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د ت، ج 1.

9- أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج. تقديم عبد الله الهرامة، ط1، ج1-2-،طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية 1989.

10- الأرواني محمد محمود، تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان . دراسة وتحقيق وتقديم الهادي المبروك الدالي، بنغازي. ليبيا .دار الكتب الوطنية 2008.

11- بول مارتي، كنتة الشرقيون. تعريب وتعليق محمد محمود ولد ودادي، نواكشوط. موريتانيا د ت.

12- بول مارتي، من عرب مالي والنيجر. تعريب محمد محمود ولد ودادي. دمشق د ت،

13- بول مارتي، كتاب البرابيش (بنو حسان) تعريب وتعليق محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت دمشق، ط 1985.

14- ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي شمس الدين أبي عبد الله الطنجي ت 779هـ/1377، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. بيروت، دار الكتاب اللبناني د ت.

15- البكري أبو عبيد، المغرب في بلاد إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. بغداد، مكتبة المثنى، د ت .

16- البكري أبو عبيد، كتاب المسالك والممالك، حققه وقدم له أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات تونس، 1992.

17- البرتلي أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني محمد حجي. بيروت، دار الغرب الإسلامي 1981.

18- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك ت 578هـ/1182م الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، القاهرة، تصوير جامعة الدول العربية نشر وتصحيح ومراجعة عزت العطار الحسيني 1375هـ/1955.

19- الجاحظ عمر بن بحر ،كتاب فخر السودان على البيضان رسائل الجاحظ،تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1906.

20- ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج 10، بيروت، دار صادر 1960.

21- الجوسقي محمد علوان بن حسنين، النفحة القدسية في سيرة الأحمدية التيجانية، المندرج في الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني لمحمد بن عبد الله التيجاني طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1958.

22- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب.ج 10، الرباط، المملكة المغربية. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.1981.

23- الواداني ابن طوير الجنة أحمد طالب الحاجي، تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ط 1995.

24- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. لبنان، ج 5، بيروت، دار العلم للملايين. ط15 2002.

25- ابن أبي زرع علي بن محمد الفاسي ت 727هـ / 1326م، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس.ج 1، تحقيق محمد الهاشمي الفيلالي الرباط 1252هـ/1936م.

26- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، كتاب صورة الأرض. بيروت، دار مكتبة الحياة 1979.

27- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار. تح إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان 1975.

28- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي ، وصف إفريقيا. تر محمد حجي ومحمد الأخضر. بيروت لبنان. دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983.

29- كعتمحمود، تاريخ الفتاشمن أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار ، باريس، نشر هوداس، 1964.

30- ابن كثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ. تح مجموعة من العلماء. ج 8، بيروت، دار الكتاب العربي، ط5، 1405هـ/1985.

31- الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3، تح الشريف محمد حمزة بن علي

32- الكتاني عبد الحي بن عبد الكريم، فهرس الفهارس. بيروت دار الغرب الإسلامي، د ت.

33- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. (لمؤلف أندلسي عاش في القرن الثامن الهجري) تح سهيل زكار وعبد القادر زمامة، المغرب، دار الرشاد الحديثة ط1، 1399هـ.

34- مؤلف مجهول، خبر السوق ويليه ملحق بأهم المصادر العربية لتاريخ السودان الغربي. تقديم وتعليق عبد الحميد عبد الله الهرامة. بنغازي منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 2003.

35- مؤلف مجهول، الخوض في أخبار وأنساب أهل الحوض. تحقيق محمد الداه أحمد.

36- مؤلف مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان. باريس، نشر هوداس،.1899.

37- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت711هـ/1311م): لسان العرب. تح عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، ط2 ج6.بيروت، دار صادر، 1417هـ/ 1996م.

38- مرمول كربخال، إفريقيا. ترجمة محمد حجي وآخرون . الرباط، دار المعرفة للنشر والتوزيع ج3، 1989م.

39- ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بان مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

40- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن (ت354هـ/956)، مروج الذهب ومعادن الجوهر. ج1، مصر1303هـ.

41- المقري: شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض . تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي.منشورات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية (بيت المغرب) ،ج 3، طبعة القاهرة 1358 هـ / 1939م.

42- المراكشيابن إبراهيم عباس، الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، ط، ج9. .1977

43- السوسي محمد المختار، المعسول، ج5، المغرب للنشر والطبع د ت.

44- السكتاني عبد الرحمان الرجراجي المالكي، تحقيق أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، لبنان، دار ابن حزم بيروت ط 1 ، 2011.

45- سكيرج أحمد بن العياش ي، كشف الحجاب .مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة 1961.

46- سكيرج أحمد بن العياشي، تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، تحقيق محمد الراضي كنون، دار الأمان للتوزيع 2011.

47- السلاوي الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري. ج 5، الدار البيضاء، دار الكتاب 1955.

48- السملالي العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام.ط2، ج6. الرباط، المطبعة الملكية .2001

49- السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر ، تاريخ السودان.باريس، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية 1981.

50- ابن عبدون أبو محمد بن عبد المجيد اليابري، رسالة في الحسبة. القاهرة،مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثارالشرقية، 1955.

51- العمري ابن فضل الله، كتاب مسالك الأمصار في ممالك الأبصار،ج4، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية 1988.

52- الفاسي عبد الكبير ، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحادث السنين ضمن كتاب موسوعة أعلام المغرب . تحقيق وتنسيق محمد حجي، بيروت. دار الغرب الإسلامي، ط1، ج7، 1417هـ/ 1996م.

53- الفازازي أبو زيد عبد الرحمان، القصائدالعشريات. بيروت المكتبة الشعبية، د ت.

54- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب دار الفكر بيروت لبنان 1409هـ/1988م.

55- فيليكس ديبوا، تمبكت العجيبة. ترجمة عبد الله عبد الرزاق إبراهيم. القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة 2003.

56- الفيروز أبادي الشيرازي محمد بن يعقوب مجد الدين، القاموس المحيط. القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ط3، 1980.

57- القادري الحاج إسماعيل بن السيد محمد سعيد ، الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ويليه القصيدة الخمرية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.(عقيدة الغوث الأعظم)

58- القاضي عياض بن موسى بن عياض ت 544هـ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . تحقيق أحمد بكير، بيروت، لبنان، دار مكتبة الحياة.

59- القزويني أبي الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام هارونج5. دار الفكر للطباعة والنشر 1399هـ /1979م.

60- القزويني زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد.بيروت، دار صادر د ت.

61- القلقشندي، أبا العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا. القاهرة المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر سنة 1963.

62- الشنقيطي أحمد بن أمين، الوسيط في ترجم أدباء شنقيط. مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء ومؤسسة الخانجي بمصر، ط 2، 1958.

63- الشفشاوني محمد بن عسكر ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من القرن العاشر. منشور ضمن موسوعة أعلام المغرب العربي تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي 1996.

64- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. تحقيق درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية، ط1 1999.

65- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.ج5، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر 1979.

المراجع

66- إبراهيم طرخان، امبراطورية غانا الإسلامية. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973.

67- ابراهيم طرخان،دولة البرنو الإسلامية. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب1975.

68- أحمد امطير سعد غيث، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، بيروت، المدار الإسلامي .2005

69- أحمد بوكاري، الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب. المغرب،

ج2، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ط1، 2006.

70- أحمد طاهر، افريقيا أصول في الماضي والحاضر. القاهرة، دار المعارف، د ت.

71- أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا.القاهرة، الزهراء للإعلام العربي ط1، 1987م.

72- أحمد نجم الدين فليجة، إفريقية دراسة عامة وإقليمية . الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة 1978م.

73- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج 6، القاهرة، النهضة المصرية، 1392هـ/1972م.

74- أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1394 هـ/ 1974م.

75-الألوري عبد الله آدم ، الإسلام في نيجيريا. القاهرة، دار المعارف . ط3 .1978

76- الألوري عبد الله آدم ، موجز تاريخ نيجيريا ، بيروت، دار مكتبة الحياة 1965.

77- أمين حسن، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد، المكتبة الأهلية 1965.

78- أسماء فهمي،مبادئ التربية الإسلامية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1947.

79- إسماعيل أحمد ياغي،أحمد شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الجزء الثاني، قارة إفريقية، الرياض، دار المريخ للنشر، 1993

80- بانيكار.ك.مادهو، الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غربي إفريقيا، تر أحمد فؤاد بلبع، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1995

81- بورواق أندوين سا إينت دي، خطة مرقم لصحارى حية ابتداء من منطقة تيرس في المناطق المحررة. ترجمة عبداتي سيدي محمد وسيدي محمد مولاي، اسبانيا، مصلحة النشر المركزية للحكومة الباسكية، 2010.

82- بزيد سيدي محمد بن محمد عبد الله، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، تونس، منشورات سعيدان سوسة، 1996م.

83- أبو بكر إسماعيل ميقا، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ،الرياض، مكتبة التوبة، 1997.

84- بكر بن عبد الله أبو زيد، طبقات النسابين. الرياض، دار الرشد. ط 1 1407هـ/ 1995م.

85- جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تعريب مختار اليوسفي،القاهرة. دار الكتاب المصري 1984.

86- الجزيري عبد الرحمن، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة. الأزهر، ج3، القاهرة. المكتب الثقافي.

87- جميلة التكيتك، مملكة صنغي الإسلامية في عهد الأسقيا محمد الكبير 1493-1528م. الجماهيرية الليبية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1998.

88- دونالد ودنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، تر راشد البراوي. القاهرة، دار الجيل للطباعة، د ت .

89- دريد عبد القادر نوري، تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن 4-10هـ/ 10- 16م،بغداد، المكتبة الوطنية، 1985.

90- الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء لصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1999.

91- الهادي المبروك الدالي، قبائل الهوسا، دراسة وثائقية. بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط3، 2009.

92- الهادي المبروك الدالي، قبائل الفولآن، بنغازي، دار الكتب الوطنية ، دت.

93- هوبكنز(توني)، التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1998.

94- هوتسي وقتسنك، وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية . تعريب زكي خورشيد أحمد السناوي عبد الحميد يونس. مادة البمبارة الجزء الرابع ، القاهرة، دار الشعب، د ت.

95- هوتسي وقتسنك، ليفي برفنصال وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية. تعريب زكي خورشيد أحمد السناوي عبد الحميد يونس. الجزء الخامس، مادة التكرور.

96- الورجلاني أبي زكريا يحي بن أبي بكر كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تح عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر 1985.

97- زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968.

98- زبادية عبد القادر، مملكة صنغي في عهد الأسكيين 1493-1592، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع د ت.

99- زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989

100- زين العابدين عبد الحميد السراج، أبرز مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي والقضايا التي تناولتها، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية 1995.

101- زكي عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، القاهرة، مطبعة يوسف.د ت.

102- حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 2، 1963.

103- حسن مرموري، الطوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين،الوادي، الجزائر، مطبعة مزوار، 2010.

104- حسن علي إبراهيم وآخرون، معجم المصطلحات الطبية، ج 2 القاهرة، دار الشعب ، ط2، 2002-2003.

105- الحشائشي (محمد بن عثمان)، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، قدم لها وعلق عليها محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، ط 1988

106- طموح زهرة، تنظيم القافلة خلال القرن 19م، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ. جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. المغرب 1989.

107- كارل بوكلمان، تاريخ الأدب العربي. نقله إلى العربية عبد الحليم النجار. ج5، القاهرة، دار المعارف، دت.

108- كولين ماكيفيدي، أطلس التاريخ الإفريقي، تر مختار السويفي القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

109- كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1998.

110- لويد بيتر، افريقيا في عصر التحول الاجتماعي، تر شوقي جلال، سلسة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم 28 أفريل 1980

111- مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة للنشر، دت.

112- مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية ،الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1419هـ/1998.

113- محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر . دار هومه، د ت.

114- محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة. ط1، دار الغرب الإسلامي 2002.

115- محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978.

116- محمد بن عبد الله التيجاني ، المندرج في الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني،القاهرة، طبعة مصطفى البابي الحلبي، 1958.

117- محمد بن شريفة، من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1999

118- محمد المختار ولد السعد، الفتاوى والتاريخ دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل. بيروت، دار الغرب الإسلامي.ط 1، 2000.

119- محمود سالم زناتي، الإسلام والتقاليد القبلية في افريقية. القاهرة 1992.

120- محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية. القاهرة 1966.

121- محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي. بغداد، دار الرشيد، 1982.

122- ممدوح الزوبي، معجم الصوفية. بيروت، دار الجيل ط1، 2004.

123- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، طبقات الأولياء . تح نور الدين سريبة. القاهرة مكتبة الخانجي،ط 2، 1415هـ/1994.

124- المختار بن حامد، حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها، تقديم وتحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، ط 1، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، الإمارات العربية المتحدة 2011.

125- ناجي معروف،أصالة الحضارة العربية. بيروت، دار الثقافة 1975.

126- الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين، دار المدار الإسلامي بيروت، ط 2007.

127- نعوم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث. القاهرة، 1903

128- نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام. الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2 1974.

129- سعيد اعراب، القراء والقراءات بالمغرب. بيروت ، لبنان، مطبعة دار الغرب الإسلامي، دت.

130- العبادي بن احمد، فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام من القرن التاسع إلى نهاية القرن الرابع عشر، الدار البيضاء المغرب مطبعة النجاح الجديدة،ط1، 1999.

131- أبي عبد الله محمد بن مليح، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تح محمد الفاسي، المغرب، مطبعة محمد الخامس فاس، ط 1970

132- عبد الحميد عبد الله الهرامة ، آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي. نصوص أدبية من القرن الهجري السابع . جمعها بعض تلامذته في حياته. بيروت. دار قتيبة للطباعة والنشر ط1، 1991.

133- عبد الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحادث السنين ضمن كتاب موسوعة أعلام المغرب . تح وتنسيق محمد حجي، بيروت. دار الغرب الإسلامي، ط1، 1417هـ 1996.

134- عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث. القاهرة. مطبعة الشبكشي بالأزهر. 1935م

135- عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا. القاهرة، مطبعة يوسف، دت.

136- عبد الفتاح الغني، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا. القاهرة، مكتبة نهضة الشروق د ت.

137- عدنان مراد، المجتمعات الإفريقية أصولها وتاريخها . دمشق، مطبعة أنجاد الكتاب العرب 1995.

138- علي حرزام بن العربي برّادة الفاسي،جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، ج1، تح وتصحيح محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني، بيروت، دار الكتب العلمية، 2007.

139- علي سعد إسماعيل، معاهد التربية الإسلامية،القاهرة، دار الفكر العربي، 1986.

140- عمر محمد صالح الفلاني (عمربا)، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، 1427هـ/ 2007م.

141- عثمان برايماباري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي،القاهرة، دار الأمين، 2000.

142- الفهري حبيب عمر، القبائل العربية شمال مالي والنيجر. ط 1، النيجر، 2004.

143- فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية افريقيا، دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983م.

144- القادري الحاج إسماعيل بن السيد محمد سعيد، الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ويليه القصيدة الخمرية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.(عقيدة الغوث الأعظم).

145- القاضي أبو الفضل عياض، تراجم أغلبية مستخرج من مدارك القاضي عياض. تح محمد الطالبي. الجامعة التونسية. ط1، 1968.

146- القشاط محمد سعيد، من نقائض الشعراء العرب في الصحراء. بيروت، لبنان.دار الملتقى للطباعة والنشر، د ت.

147- القشاط محمد سعيد، الطوارق عرب الصحراء الكبرى. ط 2، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، إيطاليا، مطابع أديتار كاليرى، 1989.

148- الرباطي،الدرر السنية في الطريقة التيجانية . القاهرة، مطبعة حجازي، 1375هـ/1956م.

149- شوقي أبو خليل ، أطلس دول العالم الإسلامي ، دمشق ، دار الفكر 2003.

150- شيخ الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغي، جدة، دار المجمع العلمي، 1979م.

151- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإمام. ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1970.

152- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط ،تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1978

الرسائل الجامعية

153- إبراهيم موسى جوب، انتشار الإسلام وتأثيره على تطور العلاقات الفلانية العربية. رسالة دكتوراه، طرابلس، جامعة الفاتح، 2004.

154- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، دولة سوكوتو، رسالة دكتوراه، القاهرة. معهد البحوث والدراسات الافريقية 1982

155- أحمد فتوح عابدين، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا، رسالة دكتوراه، القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية .1989

156- جعفري مبارك، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/19م أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.جامعة الجزائر2 ، 2013-2014..

157- هرباش زاجية، الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12 و 13 الهجريين 18 و 19 الميلاديين. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة وهران 2011-2012.

158- الحمدي أحمد، المساهمة العلمية للمختار الكبير الكنتي بأزواد 1142-1226هـ / 1729- 1811م. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران 2007-2008م.

159- محمدحوتية،قبيلةكنتةبينإقيميتوات والأزواد. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1992-1992.

160- محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ - 12 إلى 15م). أطروحة دكتوراه، جامعة الحسن الثاني. عين الشق، الدار البيضاء سنة 1996

161- محمد حسن علي منيسي، دولة ماسينا الإسلامية في الفترة من عام (1815-1863). رسالة دكتوراه، القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية 1999.

162- نبيل حسن محمد، انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب. كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1971م.

163- عبلة محمد سلطان ، العناصر المغربية في السودان الغربي ، رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الإفريقية. جامعة القاهرة 1999.

164- شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1219هـ/ 1804م إلى 1386هـ/1966م رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم. جامعة القاهرة 1394هـ/1974م

المقالات:

165- أحمد فؤاد بليغ، عبد الرحمان السعدي عصره وكتبه، المجلة التاريخية المصرية. العدد 20 القاهرة.1973.

166- زبادية عبد القادر، وركلة عروس مدائن الجنوب مجلة الأصالة (عدد خاص) الجزائر.1مارس،1977. ص ص 141- 146

167- محمد حوتية،مخطوطات إقليم توات ، عرض وتقديم لمخطوط نوازل الشيخ باي الكنتي. مجلة الثقافة عدد 117- 118 سنة 1999 الجزائر. ص ص 281 - 294

168- محمد الهيلة، «الزاوية وأثرها في المجتمع»، بحث منشور في المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية تونس، عدد 40- 43، سنة 1975. ص ص 94- 103.

169- أبو سعد عبد السلام، أهم العوامل التي ساعدت في انتشار الإسلام في إفريقيا. مجلة كلية التربية ، عدد 16، سنة 1982. جامعة الفاتح، طرابلس. ص ص 110 - 122.

170- سعد غراب، كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية، حوليات الجامعة التونسية العدد 16 سنة1987. ص ص 65 – 102.

171- علي محمد مختار، دور المسجد في الإسلام . مجلة دعوة الحق، السنة الثانية، العدد 14 عام 1402ه-/ 1981.

172- الشطشاط علي حسين، وسائل انتشار الإسلام في افريقيا. مجلة الجامعة الأسمرية، السنة الثانية، العدد الثالث لسنة 2004، الجامعة الأسمرية (زليت، 2004) ص ص 467-486.

173- شخوم سعدي، مخطوط نوازل الشيخ باي بن عمر، عرض لمعالم النشاط العلمي والديني في توات خلال القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد السابع 2010. ص ص241-258.

المراجع الأجنبية:

174- Bovill .E.W, the Niger And The Songhay, Empire, The Journal Of The Royal African Society, Vol 25, No 98 (Jan 1926)

175-Breth J D, Contribution a l’histoire du Maroc par les rechèrches numismatique. Casablanca1939.

176- Camille. Sbatur, Touat, Sahara, Soudan etude géog polit ecomom, et militaire. Société d'edition scientifique. Paris, 1891.

177- Constantin P, Alger et Timbouctou etude sur le commerce transaharien.Challamel aine éditeur, Paris 1885.

178- Cline. Eric. And Takacs, Sarlota. The Ancient Word.Vol 1, Civilizations Of Africa. Sharpe Référence, Malysia, 2007

179- DE CHAM BONNEAU, L.M, Histoire du Toubenan ou changement de Souverains". In BIFAN, T. XXX, série B, N 1, 1968.

180- Delafosse M, Haute Senegale Niger, Paris, 1912.

181- Deporter Victo, La question du Touat Sahara Aglerien, Gourara,Touat, Tidikelt. Imp, Fontana, 1891.

182- FERNANDES V, Description de la cote d' Afrique de Ceuta au Senegal (1506- 1507) Publ. Ce nival et Th. Morod, R.H.S.A.,série A N 6, 1938.

183- Lewis I M. Islam in tropical Africa.Archives de sociologie des religions. 1968.

184- Mauny R, Tableau géographique de l' Ouest Africain au moyen âge. Dakar 1961.

185- Oliver, Roland et Atmore, Anthony, Medieval Africa 1250 -1800 Cambridge, university press united Kingdom 2001.

186- Rene Caillie, journal d un voyage à temboctou et a Jenne dans l'afrique Centrale,imprimerie royale. Paris 1830.

187- Rene Caillie,Voyage dun faux musulman à travers l'afrique, Tombouctu, le Niger, Jenne, et le desert à travèrs le continent noir, imprimerie Eugene, Ardent, Limoges 1882

188-Trimingham Js,The Influence of Islam Upon Africa.London , 1968.

189-SOLEILLET Paul, Exploration du Sahara central. Voyage de poul Soleillet d'Alger a l'oasis d'In-çalah, rapport présenté à la Chambre de commerce d' Alger. A. Jourdan – Alger1874.

فهرس الموضوعات

الملخص

تناولنا في هذا البحث عن الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل أحد أعلامه وهو الشيخ باي بن عمر، حيث أن نوازله برصيدها الضخم من المعلومات التي حفظت الكثير من التراث الإفريقي، الذي لا زال لم يستغل بشكل كافي في الدراسات التاريخية، وبقي مع الكثير من المخطوطات بين الخزائن ولم يخرج إلى الواقع إلا القليل منه. وإذ نساهم في مثل هذا العمل في العادات و التقاليد التي كانت في المجتمع السوداني من أقوال الكتاب الأوائل والرحالة الذين زار بعضهم هذه المنطقة و تطرقنا إلى الجانب العلمي و الديني و الاقتصادي و تناولنا حالة التجارة في السودان الغربي.

الكلمات المفتاحية:

السودان الغربي؛ باي بن عمر؛ العادات والتقاليد؛ الأعياد الدينية؛ التجارة؛ الزراعة؛ الفلاحة؛ الصيد البحري؛ الرعي؛ تربية المواشي؛ المكاييل و الأوزان .

نوقشت يوم 3 جويلية 2016